



مقدمة المركز

ليس الحديث عن سيرة وتاريخ الأئمّة : حديثاً عن الماضي ، بل المقصود بذلك إغناء حركة الواقع الإسلامي في مسيرته المعاصرة من خلال معرفة العظماء وبناة الحضارة الإسلامية الذين أغنوا تلك الحركة في عصورهم بإجابات وحلول ، لا زالت هي الجواب المحكم لأكثر من سؤال معاصر ، والحل الأمثل لجلّ المشاكل القائمة. وهكذا يكون هدفنا في دراسة أيّ من عظماء الفكر وقادته ، خصوصاً من كانت له مواقع مميزة في حياته كموقع الإمامة. ذلك لأن الإمام لا ينظر ـ من منطلق إمامته ـ في طرح المفاهيم ومعالجتها ، والمشاكل العالقة وحلّها إلى مرحلة معينة ، بل يطرحها على صعيد الحياة برمّتها ، انطلاقاً من ذلك الموقع المعبّر عن نظرة الإسلام تجاه مفاهيمه وتعاليمه.

وفي هذا الصدد رأينا باقر العلم عليه‌السلام من خلال دراسة سيرته المشرقة وتاريخه الوضّاء الحافل بأنواع العطاء ، ليس كبقية العظماء من العلماء والمجدّدين في تاريخ هذه الأُمّة الذين قادوا حركة الفكر في أزمانهم ، بل رأيناه رسالة تتحرّك على أرض الواقع ، رسالة تحمل الإسلام وتحميه ، بتدبير حكيم فذّ ، وعقل منفتح على العالم بأسره ، وحلول ناجعة شافية لمشاكل الأُمّة على أكثر من صعيد لا في حاضرها فحسب ، بل في عمرها ومستقبلها إلى أن يرث اللّه الأرض ومَن عليها.

ولا عجب فيمن يصطفيه اللّه تعالى لحماية دينه ، وردّ كيد الكائدين به ، بل العجب من حثالات أدعياء العلم وجهلة هذه الأُمّة من الذين تجرّأوا على وضع باقر العلم عليه‌السلام موضع المقارنة مع غيره من رواة الحديث وحملته! مع أن قولهم (الباقر وغيره) لا معنى له ، ولا يصحّ من كل وجه؛ لأنّ المسافة التي تفصله عليه‌السلام عن غيره شاسعة تتّسع لكل الدنيا ، ولو كانت المسافة واحدة لما

خُصّ الباقر عليه‌السلام بالاصطفاء والولاية والإمامة وعُدّ من مات في زمانه ولم يعرفه مات ميتة جاهلية.

و (الباقر) كلقب ، بل وسام قلّده النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لحفيده كما في حديث جابر المشهور ، يكفي وحده للإطاحة بكل مقارنة.

نعم ، إنّه عليه‌السلام بقر العلم بقرا ، وأسكت الكلّ في زمانه ، وانقادوا لحجّته ، ويحدّثنا تاريخ الإمام الباقر عليه‌السلام إن فطاحل العلماء في زمانه كانوا لا ينبسون ببنت شفة في محضره ، وكان أعظمهم علماً إذا ما حضر بين يديه صار كالحجل في كفّ البازي لا يدري ما يقول.

وأما عن مدرسته ، فقد تنوّعت مسارب العلم فيها ، وتعدّدت آفاقها المعرفية ، واتّسعت اتّساعاً هائلاً ، فكانت ضروباً وألواناً شتّى ، ناهيك عن علوم الشريعة فيها من فقه وتفسير وحديث وكلام ، حيث بلغت ذروتها في تلك المدرسة الشريفة.

وأمّا عن روّاد مدرسته عليه‌السلام ، فبفضل انفتاحها الواسع رأينا صنوفاً شتّى من تلامذتها ، إذ لم يكونوا كلهم أرباب فكر واحد أو اعتقاد واحد ، ولكن مدرسة الإسلام الباقرية جمعتهم في صعيد واحد بعد أن جمعهم الانتماء إلى الإسلام وفرّقتهم مدارس المسلمين ، الأمر الذي شهدت عليه بكل وضوح سيرة الإمام وتاريخه في هذا الكتاب.

إنّه لجهد مميّز في بابه ، حيث اقتنص مؤلّفه المحترم الكثير من الحقائق التاريخية بدراسة علمية واعية موثّقة ، ليجعلها في متناول القرّاء بأسلوبه السهل الممتنع.

سائلين المولى عزّوجلّ أن يشركنا في ثوابه إنّه سميع مجيب.

مركز الرسالة

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين ، وسلامه على عباده المصطفين محمد وآله الميامين.

إنّ سيرة أهل البيت : تكتنز تاريخاً غنياً بالعطاء وبالجهود التي بذلوها من أجل نشر معارف الدين السامية ، وإشاعة نور الإصلاح والحقّ والعلم في دياجير الانحراف والظلم والباطل ، سيّما وهم : الركيزة الراسخة التي يقوم عليها صرح الإسلام بعد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فصاروا قبلة يهوي إليها طالبو الحقّ والعدل والعلم ، وقدوة حسنة يصبو إليها أهل التقى والمكارم.

وإمامنا الباقر عليه‌السلام واحد من أفذاذ تلك السلسلة المحمدية المعصومة ، فأبوه سيّد العابدين علي بن الحسين عليهما‌السلام حليف المحراب والدعاء والابتهال ، وجدّه الحسين عليه‌السلام شهيد الإصلاح والثورة على طغاة بني أمية ، وهو الذي سمّاه جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بـ (محمد الباقر) وأخبر عن توسعّه في العلم وتبحّره في دقائقه ، لقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لجابر بن عبد اللّه الأنصاري رحمه‌الله : «يا جابر ، يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً ، فإذا رأيته فاقرأه منّي السلام» (1).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) هذا الحديث مروي بطرق متعدّدة ، سنأتي على ذكرها في الفصل الثاني.

إنّ التفوّق العلمي ، هو أحد الظواهر البارزة في حياة إمامنا الباقر عليه‌السلام ، فقد كان كما قال الصادق الأمين صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه ، من هنا تربّع على عرش العلم في زمانه بكل ما حوى من حقول المعرفة ، حتى اعترف معاصروه بتفوّقه وسمّوه في منار العلم.

عن عبد اللّه بن عطاء ، قال : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلّم (1).

وإذا كان الإمام الباقر عليه‌السلام قد نأى بنفسه عن التدخّل في معترك السياسة ، فقد نشط لاستكمال جهود سلفه المعصومين : في مجال نشر معارف الإسلام ، وتفرّغ بكلّه للعلم ، فأغنى الواقع الإسلامي علماً ومعرفة ، من خلال مدرسة علمية مفتوحة على الواقع الإسلامي ، في فترة شهدت تباشير الدعوة العباسية ، وعاش فيها المسلمون صراعاً عنيفاً انتهى بسقوط العهد الأموي وبداية العهد العباسي.

كان الإمام الباقر عليه‌السلام شخصية علمية منفتحة على واقع المسؤلية ، فقد تلمّذ له ونهل من علمه جيل من أعلام معاصريه من شتّى المذاهب والاتجاهات ، واستطاع إعداد وتربية النخبة الصالحة والصفوة من فقهاء وعلماء وثقات أهل البيت المخلصين ، فنهض لإرساء قاعدة المدرسة الفقهية المستندة على أُسس الإسلام المتينة ، في وقت بدأ الحكام بترويج فقه كل من هبّ ودبّ من وعّاظ السلاطين ، فكان سفينة النجاة التي حفظت الشريعة المقدسة من أمواج الضلال والانحراف ، والنور الذي أشرق به فجر العلم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ دمشق / ابن عساكر 45 : 278 ، صفة الصفوة / ابن الجوزي 2 : 108 / 171.

وكان لتلك المدرسة ميزة عن كل المدارس التي نشأت إبّان تلك المرحلة وما بعدها ، وهي الانفتاح على الواقع الإسلامي واستيعاب كل ما فيه من تيارات فكرية ومدارس مخالفة ومناقشتها بكل هدوء من غير أن تصادر الأفكار ، أو تلغي الآخر ، وبذلك قدّمت لنا درساً في وحدة الثقافة والفكر.

ولتلك المدرسة عطاء وافر وإنجازات علمية رائعة ، لها الأثر في إغناء المعرفة الإسلامية في شتّى فنون العلم وحقول المعرفة ، كعلوم القرآن والحديث والفقه وأُصوله والعقائد والتاريخ والطب وغيرها.

واستطاع الإمام الباقر عليه‌السلام ملاحقة القضايا الفكرية التي تمثّل تحدّيات الفكر آنذاك ، سيّما ما طرأ على الواقع الإسلامي من بدع وشبهات ومفاهيم باطلة كالغلوّ والإرجاء والجبر والتفويض وغيرها ، وله احتجاجات مع أصحاب الفكر والاعتقادات المخالفة ، تركت بصماتها إلى اليوم ، إذ أجاب الإمام عليه‌السلام عن الكثير من الأسئلة التي قد تكون جواباً على أكثر من سؤال يدور في أذهان المعاصرين.

وترك لنا الإمام الباقر عليه‌السلام ثروة فكرية هائلة تهدف إلى تقويم السلوك ، وتدعو إلى الأخلاق الحميدة والصفات الكريمة ، تتجلّى في الحكم والمواعظ والوصايا والرسائل التربوية.

أما حين نتناول دراسة البعد الروحي من شخصية الإمام الباقر عليه‌السلام ، نجده كآبائه الهداة الميامين ، مثلاً أعلى في العبادة والورع والزهد والتقوى والتواضع والحلم والجود والهيبة والوقار. من هنا كان ولده الصادق عليه‌السلام يقول : حدّثني أبي ، وكان خير محمدي يومئذٍ على وجه الأرض (1).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البداية والنهاية / ابن كثير 9 : 338.

وحين نقرأ سيرة إمامنا المشرقة بالعطاء ، نأمل أن نستلهم منها دروس العظمة في الفكر والمنهج والسلوك ، لا أن نقرأ الماضي وحسب ، ذلك لأنّها تعبير عن حركة الإسلام في واقع الحياة ، والمفاهيم الإسلامية لا تعالج مرحلة معينة ، بل تعالج الحياة كلّها.

وعلى الرغم من عدم إنصاف التاريخ الذي كتبه أعوان الطغاة ، وتعمّده في طمس سيرة هذا الإمام العظيم ، فإننا تطلّعنا من نوافذ شتّى على تاريخه عليه‌السلام ، معتمدين على النزر اليسير من شتات أخباره في مصادر التاريخ ، وعلى الكم الهائل من آثاره في مصادر الحديث والتفسير ، فجاء كتابنا في ثمانية فصول ، حرصنا على أن نستوعب فيها سيرته منذ النشأة حتى قضى شهيداً وشاهداً على فصل من فصول المحنة والابتلاء بعد واقعة كربلاء الأليمة الذي كان أحد شهودها ، ومكمّلاً دوره الذي تميّز بحمل منار العلم وصيانة مسار الإسلام عقيدة وشريعة نظرية ومنهاجا. ومنه تعالى نستمدّ العون والتوفيق ، وهو من وراء القصد.

الفصل الأوّل

عصر الإمام الباقر عليه السلام 57 ـ 114 هـ

## تاريخ الباقر عليه‌السلام :

عاش الإمام الباقر عليه‌السلام خلال الحقبة الأموية التي تميزت بالعنف والقمع ، وانتشار مظاهر الجور والظلم والفساد ، فقد امتدّت حياته عليه‌السلام من سنة 57 إلى سنة 114 هـ ، فأدرك جده الحسين عليه‌السلام نحو أربعة أعوام ، وهي الفترة الممتدة من غرّة رجب سنة 57 إلى المحرم سنة 61 هـ حيث شهادة جده الحسين عليه‌السلام ، فكانت بدايات نشأته مع واقعة الطف الأليمة ، التي شهد كل فصولها ، وما جرى فيها من مشاهد القتل والترويع والسبي والأسر بشكل لم تعرفه الجريمة البشرية من قبل.

روي عن الإمام الباقر عليه‌السلام أنه قال : «قتل جدي الحسين عليه‌السلام ولي أربع سنين ، واني لأذكر مقتله ، وما نالنا في ذلك الوقت» (1).

وعاش أبو جعفر الباقر عليه‌السلام في ظلّ إمامة أبيه علي زين العابدين عليه‌السلام من سنة 61 إلى 95 هـ ، أي نحو أربع وثلاثين سنة وأشهر ، وقام بأعباء الإمامة مقام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، وروي ثلاث سنين ، كما في وفيات الأعيان / ابن خلكان 2 : 23 ، الهداية الكبرى / الخصيبي : 241 ، الفصول المهمة / ابن الصباغ : 193.

أبيه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، من سنة 95 هـ إلى شهادته في سابع ذي الحجّة سنة 114 هـ ، أي نحو تسع عشرة سنة (1).

وشهد خلال هذه الفترة فصولاً أُخرى من مشاهد الفوضى والجريمة والبغي الأموي ، كوقعة الحرّة بأهل المدينة ، وغزو مكة المكرمة ، وعاصر فترة نشوء الثورات والحركات المعارضة للجبروت الأموي ، كثورة المدينة المنورة ، وابن الزبير ، والمختار ، وثورة القرّاء ، والتوّابين ، وابن الأشعث ، وبدايات تحرّك الشهيد زيد بن علي عليه‌السلام ، وتباشير الدعوة العباسية.

## الحكام المعاصرون له عليه‌السلام :

أدرك الإمام الباقر عليه‌السلام قبل إمامته أواخر أيام معاوية بن أبي سفيان الذي عهد إلى ابنه الطاغية يزيد 60 ـ 64 هـ ، فجعل الخلافة ملكا يتوارثه آل سفيان وآل مروان ، وعهد يزيد إلى ابنه معاوية بن يزيد الذي خلع نفسه فلم يمارس الحكم ، وتوفّي بعد فترة وجيزة من البيعة له ، ومن ثم مروان بن الحكم 64 ـ 65 هـ ، وعبد الملك بن مروان 65 ـ 86 هـ ، والوليد بن عبد الملك 86 ـ 96 هـ.

وأدرك خلال فترة إمامته عليه‌السلام نحو سنة واحدة من أيام الوليد بن عبد الملك ، وأيام سليمان بن عبد الملك 96 ـ 99 هـ ، وعمر بن عبد العزيز بن مروان 99 ـ 101 هـ ، ويزيد بن عبد الملك 101 ـ 105 هـ ، وهشام بن عبد الملك 105 ـ 125 هـ ، وقضى مسموماً بعد مضي نحو تسع سنين من أيام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : الكافي / الكليني 1 : 472 ، اعلام الورى / الطبرسي 1 : 497 ، مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب 3 : 339 ، دلائل الإمامة / الطبري : 215 ، تاريخ مواليد الأئمّة : / ابن الخشاب : 25 ، كشف الغمّة / الإربلي 2 : 347.

هشام (1).

## خصائص عصره :

## أولاً ـ انحراف المسار :

لم يكن بنو أمية وعمالهم ممن يقيم للدين والقيم وزناً ، لذلك عملوا على انتهاك الحرمات ، والاستهانة بالمقدّسات ، وتعطيل سنن الإسلام وشرائعه والاستخفاف بها ، وأصبح زمانهم زمان الانحراف عن مسار الإسلام وإفراغه من قيمه الأخلاقية والروحية ، فنجد عبد الملك بن مروان أول من ينهى عن الأمر بالمعروف ، ويقول في خطبته بعد قتل ابن الزبير : ولا يأمرني أحد بتقوى اللّه بعد مقامي هذا إلاّ ضربت عنقه (2).

وترضّى يزيد بن عبد الملك على أبي لهب ، وهو في مجلس طرب ، وذلك حين غنّاه أحد بني أبي لهب بشعر الفند الزمّاني ، فقال له : عمن أخذت هذا الغناء؟ قال : أخذته من أبي ، وأخذه أبي عن أبيه ، قال يزيد : لو لم ترث إلاّ هذا الصوت لكان أبو لهب ورثكم خيراً كثيراً. فقال المغنّي : يا أمير المؤمنين ، إنّ أبا لهب مات كافراً مؤذّياً لرسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. قال يزيد : قد أعلم ما تقول ، ولكني داخلني عليه رقّة ، إذ كان يجيد الغناء (3). هذا واللّه تعالى يقول : «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الإرشاد / المفيد 2 : 168 ، إثبات الوصية / المسعودي : 153 ، دلائل الإمامة : 215 ، الهداية الكبرى : 237 ، التتمّة في تاريخ الأئمّة : / العاملي : 94.

(2) تاريخ الخلفاء / السيوطي : 216.

(3) شذرات الذهب / ابن العماد 1 : 129.

(4) سورة المسد : 111 / 1.

ووصل الأمر بالحجّاج الثقفي ـ طاغية الأُمَويين وعاملهم ـ إلى الاستخفاف بكتاب اللّه العظيم ، بل وإنكاره أيضاً! ، قال الأعمش : واللّه سمعت الحجّاج بن يوسف يقول : يا عجباً من عبد هذيل ـ يعني عبد اللّه بن مسعود ـ يزعم أنّه يقرأ قرآناً. أو قال : يزعم أنّ قرآنه من عند اللّه ، واللّه ما هو إلاّ رجز من رجز الأعراب ، واللّه لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه (1).

ورمى الحجّاج بمنجنيقه الكعبة المشرفة بكيزان النار حتى احترقت ستائرها ، وصارت رماداً ، فارتجز :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أما تراها ساطعاً غبارها  |  | واللّه فيما يزعمون جارها (2)  |

وبلغ الفسوق والعصيان بالحجّاج وغيره من ولاة بني أمية ، إلى حدّ التجاوز على مقام النبوة ، روي عن الجاحظ أنّه قال : خطب الحجّاج بالكوفة ، فذكر الذين يزورون قبر رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بالمدينة ، فقال : تبّاً لهم ، إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية ، هلاّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟ ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله (3).

وعلى نفس المنوال يقول خالد بن عبد اللّه القسري والي مكة في خطبة له : أيها الناس ، أيّهما أعظم ، أخليفة الرجل على أهله ، أم رسوله إليهم؟ واللّه لو لم تعلموا فضل الخليفة ، ألا إن ابراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحاً أجاجاً ، واستسقاه الخليفة فسقاه عذباً فراتاً. يريد بذلك بئراً حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنيّتين : ثنية طوى ، وثنية الحجون ، فكان ينقل ماؤها ، فيوضع في حوض من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المستدرك على الصحيحين / الحاكم 3 : 556.

(2) الفتوح / ابن أعثم 6 : 276.

(3) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 15 : 242 ، النصائح الكافية / ابن عقيل : 106.

أدم إلى جنب زمزم ، ليعرف فضله على زمزم ، قال : ثمّ غارت البئر فذهبت ، فلا يدرى أين هي اليوم (1).

ولما أخذ خالد القسري سعيد بن جبير وطلق بن حبيب ليرسلهما إلى الحجّاج ، خطب فقال : كأنكم أنكرتم ما صنعت ، واللّه أن لو كتب إليّ أمير المؤمنين لنقضت الكعبة حجراً حجراً (2) ، واللّه لأمير المؤمنين أكرم على اللّه من أنبيائه (3).

وأفرغت صلاة الجمعة من محتواها الروحي والعبادي ، فتحوّلت إلى مأدبة غداء ، فقد ورد أن خطباء بني أمية كانوا يأكلون ويشربون على المنبر يوم الجمعة ، لإطالتهم في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون (4) ، وأمثلة ذلك كثيرة سوّدت صحائف التاريخ ، وكلّها تحكي انحراف البيت الأموي عما يريد اللّه ورسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

## ثانياً ـ سياسة الارهاب والترويع :

اعتمد الأمويون سياسة دموية في تثبيت سلطانهم ، تعتمد القمع والإرهاب والإسراف في دماء المسلمين وإذلالهم ، فقد روي أن عبد الملك كثيراً ما يجلس إلى أُمِّ الدرداء ، فقالت : بلغني أنّك شربت الطلاء (5) بعد النسك والعبادة! فقال : إي واللّه ، والدماء شربتها (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ الطبري 5 : 225.

(2) تاريخ دمشق 61 : 161 ، سير أعلام النبلاء / الذهبي 5 : 429.

(3) الأغاني 19 : 60.

(4) شرح نهج البلاغة 15 : 242.

(5) الطلاء : الخمر.

(6) تاريخ الخلفاء / السيوطي : 215.

واتّخذ مروان بن الحكم مصلّى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في جبانة المدينة مصلباً ، فبعثت عائشة إليه : تعست ، صلّى عليه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، واتّخذته مصلباً! (1).

ووصف الوليد بن عبد الملك بأنّه شديد السطوة ، لا يتوقّف عند الغضب ، ولا ينظر في عاقبة ، ولا يكلّم عند سطوته ، وتهون عليه الدماء (2).

ولغرض الإمعان في إذلال المسلمين ، كانت بنو أمية تختم في أعناقهم ، كما توسّم الخيل ، علامة لاستعبادهم ، ونقشوا أكفّ المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة (3).

وامتلأت بلاد المسلمين خلال هذه الحقبة بولاة القمع والجور ، قال عمر بن عبد العزيز : كان الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيان في الحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض واللّه جوراً (4). وقائمة عمال الجور طويلة فيها الكثير من الجلادين سيئي الصيت أمثال : هشام بن اسماعيل المخزومي ، وعبد اللّه بن هشام ، وإبراهيم بن هشام ، ومحمد بن هشام ، ومحمد بن يوسف ، ومحمد بن مروان ، وخالد بن عبد اللّه القسري ، وعبد الرحمن بن الضحاك ، وخالد بن عبد الملك وغيرهم ممن ملأوا الأرض جوراً وفساداً.

قال المسعودي : كان عدّة من قتله الحجّاج صبراً سوى من قتل في زحوفه وحروبه مئة ألف وعشرين ألفاً ، منهم سعيد بن جبير ، قتله في سنة 94 هـ ، وكميل بن زياد النخعي ، وتوفّي الحجّاج وفي محبسه خمسون ألف رجل ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ المدينة / ابن شبة 1 : 62.

(2) التنبيه والاشراف / المسعودي : 274.

(3) شرح نهج البلاغة 15 : 242.

(4) تاريخ الخلفاء / السيوطي : 223.

وثلاثون ألف امرأة ، وكان حبسه حائراً لا شيء فيه يكنّهم فيه من حرّ ولا برد ، ويسقون الماء مشوباً بالرماد (1).

من هنا يقول عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بمنافقيها ، وجئنا بالحجّاج ، لفضلناهم (2).

## ثالثاً ـ نصب العداء لآل البيت : :

إنّ نصب العداء لآل البيت النبوي : وبغضهم وانتقاصهم وإباحة قتلهم وسفك دمائهم ، هو سلوك مألوف درج عليه حكام بني أُمية ، فقد دأب الحاكم الأموي من عهد معاوية على لعن أمير المؤمنين الإمام علي عليه‌السلام من على منابر المسلمين بعد صلاة الجمعة ثلاث مرات ، وبعضهم يزيد ذكر الحسن والحسين عليهما‌السلام ، رغم أن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول : «من سبّ علياً فقد سبّني ، ومن سبّني فقد سبّ اللّه» (3).

قال عبيد اللّه بن كثير السهمي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لعن اللّه من يسبّ علياً  |  | وحسيناً من سوقة وإمام  |
| أيسبّ المطهّرون جدوداً  |  | والكرام الآباء والأعمام  |
| يأمن الطير والحمام ولا يأ  |  | من آل الرسول عند المقام  |
| طبت بيتاً وطاب أهلك أهلاً  |  | أهل بيت النبي والإسلام  |
| رحمة اللّه والسلام عليهم  |  | كلّما قام قائم بسلام (4)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التنبيه والاشراف : 274.

(2) تاريخ ابن الوردي : 180.

(3) المستدرك / الحاكم 3 : 121.

(4) شرح نهج البلاغة 15 : 256.

وكانوا يقتلون من يمتنع عن سبّه عليه‌السلام ، يقول جابر الجعفي : لما أفضت الخلافة إلى بني أُمية سفكوا في أيامهم الدم الحرام ، ولعنوا أمير المؤمنين عليه‌السلام على منابرهم ألف شهر ، واغتالوا شيعته في البلدان ، وقتلوهم واستأصلوا شأفتهم ، ومالأتهم على ذلك علماء السوء رغبة في حطام الدنيا ، وصارت محنتهم على الشيعة لعن أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فمن لم يلعنه قتلوه (1).

ولا يختلف إثنان في كون آل مروان من أقبح النواصب ، يقول الذهبي : في آل مروان نصب ظاهر ، سوى عمر بن عبد العزيز (2). وقد قصد الوليد بن عبد الملك سيّد الساجدين وزين العابدين عليه‌السلام ، فدسّ إليه السمّ سنة 95 هـ (3).

ووصل بهم النصب والبغض أن حاربوا حتّى مَن يتسمّى بأسمائهم ، فقد روي أن إنساناً وقف للحجّاج الثقفي فصاح به : أيها الأمير ، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني علياً ، وإنّي فقير بائس ، وإلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجّاج قائلاً : للطف ما توسّلت به ولّيتك موضع كذا (4).

على أن عمر بن عبد العزيز وإن استُثني من ظاهرة النصب الأموي المرواني ، إلاّ أنّه كان ـ مع ذلك ـ محكوماً بالفكر الأموي أيضاً في تفضيل عثمان على علي عليه‌السلام ، قال ميمون بن مهران : كنت أفضل علياً على عثمان ، فقال لي عمر ابن عبد العزيز : أيّهم أحبُّ إليك ، رجل أسرع في الدماء ، أو رجل أسرع في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) عيون المعجزات / حسين بن عبد الوهاب : 69.

(2) سير أعلام النبلاء 5 : 113.

(3) مصباح الكفعمي : 522 ، الفصول المهمة : 208 ، نور الأبصار / الشبلنجي : 157.

(4) شرح نهج البلاغة 11 : 46 ، ونحوه في 4 : 46.

المال؟ قال : فرجعت وقلت : لا أعود (1).

وكان عهد هشام بن عبد الملك حافلاً بالتعسّف والصدام المعلن مع الإمام الباقر عليه‌السلام ، فقد أمر بإشخاصه مع ولده الصادق عليه‌السلام إلى الشام ، ولما ورد حجبه ثلاثة أيام (2) ، وتآمر مع أصحابه ومن كان بحضرته من بني أُميّة للنيل منه وتوبيخه ، فلما دخل عليه أبو جعفر عليه‌السلام قال بيده السلام عليكم ، فعمّهم جميعاً بالسلام ثم جلس ، فازداد هشام عليه حنقاً بتركه السلام عليه بالخلافة وجلوسه بغير إذن ، فأقبل يوبّخه ، ويقول فيما يقول له : يا محمد بن علي ، لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أنه الإمام سفهاً وقلّة علم ، فلما سكت القوم نهض عليه‌السلام قائماً ، ثم قال : «أيها الناس ، أين تذهبون ، وأين يُراد بكم؟! بنا هدى اللّه أولكم ، وبنا يختم آخركم ، فإن يكن لكم ملك معجّل ، فإن لنا ملكاً مؤجلاً ، وليس بعد ملكنا ملك ، لأنا أهل العاقبة ، يقول اللّه عزّوجلّ : «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (3). فأمر به إلى الحبس» (4). وأخيراً تكشّفت سريرة هشام بدسّ السمّ إلى الإمام عليه‌السلام والقضاء على حياته (5).

وقد عبّر الإمام الباقر عليه‌السلام عن حالة الظلم المقصود به آل محمد : ، في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ دمشق 16 : 348 ، سير أعلام النبلاء 5 : 72.

(2) نوادر المعجزات / الطبري : 129 ، دلائل الإمامة / الطبري : 233.

(3) سورة الأعراف : 7 / 128.

(4) الكافي 1 : 471 / 5 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 322.

(5) راجع : مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، دلائل الإمامة : 215 و 216 ، نور الأبصار : 195 ، الصواعق المحرقة / الهيتمي : 201 ، اسعاف الراغبين / ابن الصبان : 254 ، مصباح الكفعمي : 522 ، أحسن القصص / الشريف علي فكري 4 : 272 ، الفصول المهمة : 222 ، بحار الأنوار 46 : 217 / 19 ، التتمة : 96.

حديثه لجابر الجعفي ، قال عليه‌السلام : «لا رعى اللّه هذه الأُمّة ، فإنها لم ترعَ حقّ نبيّها صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، أما واللّه لو تركوا الحق على أهله لما اختلف في اللّه تعالى اثنان ، ثم أنشأ عليه‌السلام يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ اليهود بحبِّهم لنبيِّهم  |  | قد آمنوا من حادث الأزمان  |
| وذوو الصليب بحبِّ عيسى أصبحوا  |  | يمشون زهواً في قرى نجران  |
| والمؤمنون بحبِّ آل محمد  |  | يُرمَون في الآفاق بالنيران» (1)  |

وعبّر الشاعر أبو ثميلة الأبّار عن رزية البيت النبوي خلال الحكم الأموي ، في قصيدته التي يرثي بها زيداً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| والناس قد أمنوا وآل محمد  |  | من بين مقتول وبين مشرّد  |
| نصب إذا ألقى الظلام ستوره  |  | رقد الحمام وليلهم لم يرقد (2)  |

## البطش بشيعتهم :

لم يترك بنو أمية وسيلة من وسائل الإيذاء إلاّ اقترفوها بحقّ آل أبي طالب وشيعة أهل البيت ومواليهم ، فأمروا العمال والولاة بتشريدهم وملاحقتهم وقطع أرزاقهم والتضييق عليهم ، وملأوا بهم السجون ، وعرضوهم على البراءة أوالسيف ، فقتل من الشيعة خلقاً كثيرا سيما في زمان الحجاج.

وعرض جابر الجعفي في حديث شكوى الشيعة إلى الإمام زين العابدين عليه‌السلام ، واقع التشيع في ذلك الوقت ، قال جابر : «اشتكت الشيعة إلى زين العابدين عليه‌السلام ، وقالوا : يابن رسول اللّه ، أجلونا عن البلدان ، وأفنونا بالقتل الذريع ، وقد أعلنوا لعن أمير المؤمنين عليه‌السلام في البلدان ، وفي مسجد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينابيع المودة / القندوزي 3 : 42 ، كفاية الأثر / الخزاز : 247.

(2) مقاتل الطالبيين / ابو الفرج : 102.

وعلى منبره ، ولا ينكر عليهم منكر ، ولا يغير عليهم مغير ، فان أنكر واحد منا على لعنه قالوا : هذا ترابي ، ورفع ذلك إلى سلطانهم ، وكتب إليه : ان هذا ذكر أبا تراب بخير حتى ضرب وحبس ثم قتل. فلما سمع ذلك عليه‌السلام نظر إلى السماء وقال : سبحانك! ما أعظم شأنك! إنّك أمهلت عبادك حتّى ظنّوا أنّك أهملتهم ، وهذا كلّه بعينك ، إذ لا يغلب قضاءك ، ولا يردّ تدبير محتوم أمرك ، فهو كيف شئت وأنّى شئت ، لما أنت أعلم به منّا» (1).

ومن أفعالهم في هذا الخصوص ، ما روي أن هشام بن إسماعيل المخزومي كان ظالماً مبغضاً لآل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، أظهر لهم العداوة وأساء إلى آل أبي طالب والعلويين خصوصا ، قال عبد اللّه بن محمد بن عمر بن علي : كان هشام بن إسماعيل يسيء جوارنا ويؤذينا ، ولقي منه علي بن الحسين أذىً شديداً (2).

ودسّ سليمان بن عبد الملك السمّ إلى عبد اللّه بن محمد بن علي بن أبي طالب ، فمات منه بالحميمة من أرض الشراة سنة 97 هـ بعد أن وفد إليه (3).

واستعمل يزيد بن عبد الملك على المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك الفهري ، وخطب عبد الرحمن فاطمة بنت الحسين بن علي ، فأرسل إليها رجالاً يحلف باللّه لئن لم تفعلي ليضربنّ أكبر ولدها بالسياط ، فشكته فعزل عن عمله (4).

وكان شيعة آل البيت يعرضون على البراءة من أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وتفشّت الحالة إلى الحدّ الذي سئل الإمام الباقر عليه‌السلام عن فقه المسألة ، روى عبد اللّه بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) عيون المعجزات / حسين بن عبد الوهاب : 69.

(2) تاريخ الطبري 5 : 217 ، الارشاد 2 : 147.

(3) مقاتل الطالبيين : 124 ، التنبيه والاشراف : 292.

(4) تاريخ اليعقوبي 2 : 312.

عطاء ، قال : قلت لأبي جعفر الباقر عليه‌السلام : «رجلان من أهل الكوفة أخذا ، فقيل لأحدهما : ابرأ من أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فبرئ واحد منهما ، وأبى الآخر ، فخُلّي سبيل الذي برئ ، وقُتل الآخر؟ فقال عليه‌السلام : أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه ، وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجّل إلى الجنّة» (1).

وضيّق الوليد بن عبد الملك على الشيعة في العراق ، فهربوا إلى نواحي مكة والمدينة من قمع الحجّاج ، فعزل الوليد عمر بن عبد العزيز من المدينة ، وأبدله بالجلاّد عثمان بن حيّان ، الذي فرض عليهم الحصار ، وأخذ عليهم الطرق ، حيث ارتقى المنبر فقال : واللّه ما جربت عراقياً قط إلاّ وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول ... وإنّي واللّه لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم ، أو أكراه منزلاً ، أو أنزله ، إلاّ هدمت منزله ، وأنزلت به ما هو أهله (2). فكان يلقي القبض على من تمكّن منهم ، ويعاقبهم ويحبسهم ، ثم يبعث بهم إلى الحجّاج في العراق.

وروي عن الإمام الباقر عليه‌السلام أن يحيى بن أم الطويل ـ وهو من أصحابه ـ طلبه الحجّاج ، فقال : تلعن أبا تراب ، وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله ، وأما أبو خالد الكابلي فهرب إلى مكّة ، وأخفى نفسه فنجا (3).

وقطع يوسف بن عمر بنفسه يد سليمان بن خالد بن دهقان ، أبو الربيع الأقطع ، لخروجه مع زيد ، وكان قارئاً فقيهاً وجهاً (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 175 / 21.

(2) تاريخ الطبري 5 : 259.

(3) معجم رجال الحديث / الإمام الخوئي 12 : 37.

(4) رجال النجاشي : 183.

وكتب هشام بن الحكم إلى خالد بن عبد اللّه القسري يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده ، لقصيدة رثى بها زيد بن علي عليه‌السلام وابنه ومدح بني هاشم. فلم يشعر الكميت إلاّ والخيل محدقة بداره ، فأُخذ وحبس في المحبس ، وخلّصه أبان بن الوليد ، وكان صديقه (1).

وأمر الإمام الباقر عليه‌السلام جابر بن يزيد الجعفي أن يتظاهر بالجنون ، كي يتخلّص من بطش السلطة ، فخرج وفي عنقه كعاب قد علقها ، وقد ركب قصبة ، وهو يردّد أشعاراً واجتمع عليه الصبيان والناس ، والناس يقولون : جُنّ جابر ابن يزيد جنّ ، وذهب إلى الرحبة ، وما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى واليه أن انظر رجلاً يقال له : جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه ، وابعث إليّ برأسه. فسأل الوالي عنه ، فقيل له : كان رجلاً له علم وفضل وحديث فجنّ ، وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم ، فعفى عنه (2).

## رابعاً ـ ظهور الحركات المناهضة للسلطة :

كان من تداعيات سياسة الجور والاستبداد التي انتهجها طغاة بني اُمية ، واستهتارهم بقيم وتعاليم الإسلام ، أن تألبت عليهم الأمة بجملة نهضات تاريخية اندلعت هنا وهناك ، بدأها أهل البيت بثورة الحسين عليه‌السلام ، وختموها بثورة زيد وابنه يحيى.

### 1 ـ نهضة الطف (سنة 60 ـ 61 هـ ) :

وصل يزيد لعنه اللّه إلى ذروة السلطة بعهد من أبيه معاوية ، وكان حاكماً منحرفاً مستهتراً بقيم الإسلام ، أشاع مظاهر الفساد والمنكر ، وتجاهر بالكفر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الاغاني / أبو الفرج 15 : 114 ، الغدير / الأميني 2 : 194.

(2) الكافي 1 : 396 / 7.

والفسوق وأنواع الرذيلة (1) ، وحين وصل إلى سدة الحكم أراد انتزاع البيعة من الحسين عليه‌السلام ، فامتنع الحسين عليه‌السلام ، ورأى أن مجرّد السكوت عن هذا الحاكم الفاسق يشكّل خطرا داهماً على الإسلام كدعوة ودين ، فكيف يبايعه وهو وارث الرسول ووصيّه وسبطه وسيّد شباب أهل الجنة ، من هنا اختار طريق الصراع المسلح والثورة على الطغيان اليزيدي ، فخرج من المدينة بعياله وأهل بيته وأنصاره الصادقين ، وأعلن أهداف نهضته ، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحياء معالم الدين ، وطلب الإصلاح في الأُمّة وإيقاظ ضميرها وتحريك وجدانها ، كي يحيا من حيي عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة.

ومن مكة قصد العراق مصمِّما على تحقيق أهداف نهضته ، فتسابق هو وأصحابه إلى الشهادة ونيل الرضوان ، وسجّلوا ملحمة البطولة والفداء بدمائهم الزكيّة حتّى تضرّجوا بدم الشهادة على طفّ كربلاء. ولم ينم بنو أمية مل ء جفونهم بعد مصرع الحسين عليه‌السلام ، بل هزّت واقعة الطف عروشهم ، وزلزلت الأرض تحت أقدامهم ، وكشفت عن أقنعتهم المزيفة ، فكانت رائدة الثورات والانتفاضات التي بدّدت سلطانهم ومزّقت ملكهم أي ممزّق.

### 2 ـ ثورة أهل المدينة (سنة / 63 هـ ) :

بعث أهل المدينة وفداً إلى الشام ، فعادوا وهم يشهدون أن يزيد رجل لا دين له ، يشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، ويلعب بالكلاب ، ويعزف بالطنابير ، وينكح الأمهات والبنات والأخوات ، فخلعه أهل المدينة ، وبايع الأنصار عبد اللّه بن حنظلة الأنصاري ، وبايعت قريش عبد اللّه بن مطيع بن الأسود والمنذر بن الزبير ، فوجّه إليهم يزيد جيشاً بقيادة السفّاح مسرف بن عقبة ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : الفخري في الآداب السلطانية : 55 ، مروج الذهب 3 : 67.

فاستباح المدينة ثلاثة أيام لجنده بأمر يزيد ، انتهك فيها الجيش الأموي مدينة الرسول ، فهتك الأعراض ، وأزهق نفوس وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ، ونهب الأموال (1).

### 3 ـ حركة التوابين (سنة / 65 هـ ) :

أمير هذه الثورة الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي ، وكان ممّن كاتب الحسين عليه‌السلام ليبايعه ، فلما عجز من نصرته عليه‌السلام ندم وحارب (2) ، ودعا الناس إلى التوبة ، فبايعه نحو خمسة آلاف على الثأر للحسين عليه‌السلام ، فسار بهم نحو الشام لحرب عبيد اللّه بن زياد ، فعسكروا في عين الوردة ، فالتحم القتال ثلاثة أيام ، فأبلوا بلاء حسناً ، وقاتلوا شوقاً ورغبةً إلى رضوان ربّهم ، وأصدقوا القتال والتوبة حتّى قُتل سليمان وخيرة أصحابه ، وانحاز الباقون إلى بلدانهم (3).

### 4 ـ حركة ابن الزبير (سنة / 73 هـ ) :

دعا عبد اللّه بن الزبير إلى نفسه ، فبُويع له بالخلافة عقب وفاة معاوية بن يزيد سنة 64 هـ.

وهكذا استامها كل مفلسِ.

وتوسّعت حركته في رقعة جغرافية واسعة ، فشملت الحجاز والبصرة والكوفة وفارس والأهواز وخراسان ومصر واليمن وأكثر الشام ، وجعل قاعدة ملكه المدينة ، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة ، حتّى سيّر عبد الملك بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ اليعقوبي 2 : 250 ، المنتظم / ابن الجوزي 6 : 7 ، الطبقات الكبرى 5 : 66 ، تاريخ الإسلام / الذهبي 5 : 23 ، تهذيب الكمال / المزي 14 : 436 / 3236.

(2) سير أعلام النبلاء 3 : 395 / 61 في ترجمة سليمان بن صرد نقله عن ابن عبد البر القرطبي المالكي.

(3) تاريخ اليعقوبي 2 : 257 ، المنتظم 6 : 35.

مروان إليه الحجّاج الثقفي ، فانتقل إلى مكة ، وعسكر الحجّاج في الطائف ، ونشبت بينهما حروب شديدة رمى فيها الحجّاج الكعبة بأحجار المنجنيق ، وانتهت بمقتل ابن الزبير في مكة سنة 73 هـ بعد أن خذله عامّة أصحابه ، وكانت مدّة ملكه تسع سنين.

وكان ابن الزبير خبيثاً ، عدوّاً للحقّ ، بخيلاً قليل العطاء ، كثير الحسد والخلاف ، شديد العداوة والبغضاء لآل أبي طالب ، تحامل على بني هاشم تحاملاً شديداً ، حتّى أنّه حين تسلّط على المدينة ترك الصلاة على محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في خطبته ، فقيل له : لِمَ تركت الصلاة على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. فقال : إنّ له أُهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم ، فأنا أحبّ أن أكبتهم. وحين امتنع محمد بن الحنفية وعبد اللّه بن عباس عن بيعته ، أخذهما ابن الزبير مع أربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ، فحبسهم في حجرة زمزم ، وحلف باللّه الذي لا إله إلاّ هو ليبايعن أو ليحرقنّ بالنار ، فأنقذهم جيش المختار ، وكان ينال من علي بن أبي طالب عليه‌السلام ويسبّه (1). من هنا كان أبو جعفر الباقر صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يسمّيها فتنة ابن الزبير (2).

### 5 ـ حركة المختار الثقفي (سنة / 65 ـ 67 هـ ) :

وهو من زعماء الثائرين على بني أمية ، وأحد الشجعان الأفذاذ ، بدأت حركته بعد ثورة التوّابين ، فعندما انتهت المواجهة ، دخل الذين انحازوا إلى الكوفة من جيش ابن صرد تحت مظلّة المختار ، ذلك لأنّ شعار المختار هو الثأر لدماء الحسين عليه‌السلام ، والاقتصاص من قاتليه ، فكثر أتباعه ، واستولى على

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاربخ اليعقوبي 2 : 261 ، تاريخ الخلفاء : 196 ، المنتظم 6 : 138 ، الاستيعاب / ابن عبد البر2 : 302 ، الاعلام / الزركلي 4 : 86 و 7 : 247.

(2) اكمال الدين / الصدوق : 386 / 2.

الكوفة ، وتتبّع قتلة الحسين عليه‌السلام فقتلهم ، فأقرّ عيون آل أبي طالب ، واستولى على الموصل والجزيرة ، وبقي حتّى بعث ابن الزبير جيشا كثيفا بقيادة أخيه مصعب ، فهزم المختار وقتله وقتل أصحابه ، وكانوا زهاء خمسة آلاف أسير ، وأبردوا برأس المختار إلى ابن الزبير في مكة ، فترحّم عليه ابن عباس ، ورغم أن الإمام زين العابدين عليه‌السلام لم يكن طرفاً في حركة المختار ، لكنّه استبشر فرحاً حين أبرد برأس ابن زياد إليه ، وخرّ ساجدا ودعا له وجزاه خيراً ، وبارك ابن الحنفية للمختار أخذ ثأرهم (1) ، فويل لقاتله من النار.

### 6 ـ حركة ابن الأشعث (سنة / 81 ـ 82 هـ ) :

وكانت بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، الذي سيّره الحجّاج بجيش لغزو بلاد الترك وراء سجستان ، فتمرّد عليه وخلع طاعته وطاعة عبد الملك بن مروان سنة 80 هـ ، وكان أغلب أصحابه من القرّاء وأهل العلم ، كالحسن البصري ، وعامر الشعبي ، وسعيد بن جبير ، ومالك بن دينار ، وابن أبي ليلى وغيرهم ، وزحف بهم عبد الرحمن سنة 81 هـ إلى العراق ، فكانت له وقائع مع الحجّاج ، ظفر فيها عبد الرحمن ، وتمّ له ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس ، واستولى على الكوفة ، فقصده الحجّاج ، فحدثت بينهما موقعة دير الجماجم التي دامت مئة وثلاثة أيام ، وانتهت بخروج ابن الأشعث من الكوفة ، ومن ثم مقتله ، وبعث برأسه إلى الحجّاج سنة 85 هـ (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ اليعقوبي 2 : 259 ، مروج الذهب / المسعودي 3 : 86 ، الفتوح / ابن أعثم 6 : 200 ، رجال الكشي : 125 ، شرح الأخبار / القاضي النعمان 3 : 270.

(2) راجع : تاريخ الإسلام 6 : 10 ، الاعلام 3 : 323.

### 7 ـ ثورة زيد بن علي عليه‌السلام (سنة / 121 هـ ) :

وهو أخو الإمام الباقر عليه‌السلام ، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً ، ويعرف حليف القرآن ، كانت أحداث ثورته في زمان الإمام الصادق عليه‌السلام ، غير أن بداية تحرّكه كان في زمان الإمام الباقر عليه‌السلام ، وذلك أن هشاماً أشخصه إلى الشام ، فحجبه عنه مبالغة في الاستهانة به ، ثم ضيّق عليه وحبسه ، وقال له يوماً : بلغني أنّك تذكر الخلافة وتتمنّاها ، ولست هناك لأنّك ابن أمة! فقال زيد : ان لك جواباً.

قال : تكلّم. قال : انه ليس أحد أولى باللّه ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ، وهو ابن أمة ، قد اختاره اللّه لنبوته ، وأخرج منه خير البشر. فقال هشام لعنة اللّه وملائكته عليه : فما يصنع أخوك البقرة! فغضب زيد حتى كاد يخرج من إهابه ، ثم قال : سمّاه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الباقر ، وتسمّيه أنت البقرة! لشدّ ما اختلفتما! لتخالفنّه في الآخرة كما خالفته في الدنيا ، فيرد الجنة ، وترد النار. وقال زيد : لم يكره قوم قطّ حرّ السيوف إلاّ ذلّوا. ثمّ أمر هشام بحمله إلى عامله ، وقد جرت هذه المقابلة بين زيد وبين هشام في حياة الإمام الباقر عليه‌السلام ، وكان ذلك بدايات نهضته.

وحين خرج زيد عليه‌السلام بايعه غالب أهل الكوفة على الدعوة إلى الكتاب والسنّة ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، والعدل في قسمة الفيء ، وردّ المظالم ، ونصرة أهل البيت ، والطلب بثارات الحسين عليه‌السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والرضا من آل محمد ، وبايعه كثير من الفقهاء والعلماء ، وأبلى بلاءً حسناً في قتال الأمويين ، ثم تخلّف عنه أهل الكوفة ، فجاهد حتى قُتل رضوان اللّه تعالى عليه ، وصلب نحو أربع سنين ، ثم أحرقه

يوسف بن عمر بالنار ، وألقى رفاته بالفرات ، بأمر الوليد بن يزيد ، وترحّم عليه ابن أخيه الإمام الصادق عليه‌السلام (1).

وأخبر الإمام الباقر عليه‌السلام عن خروج أخيه زيد بالكوفة ، وأنّه يُقتل ويُطاف برأسه ، ويُصلَب بالكناسة (2).

### 8 ـ ظهور الدعوة العباسية (سنة / 87 ـ 132 هـ ) :

روى ابن عساكر أن ابتداء دعاة بني العباس إلى محمد بن علي ، وتسميتهم إيّاه بالإمام ، كان في خلافة الوليد سنة 87 هـ ، ولم يزل الأمر في ذلك يتزايد إلى أن توفّى سنة 124 هـ ، وأوصى إلى ابنه إبراهيم (3).

وذكر المسعودي أنّه كان مبدأ الدعوة العباسية في سنة 100 هـ ، حيث أفضى بها أبو هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس سنة 98 هـ ، وعرف بينه وبين الدعاة ، وأعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده ، وأمره أن يكون ابتداء الدعوة سنة 100 هـ (4).

ولما دخلت سنة 100 هـ بثّ محمد بن علي دعاته بالآفاق يدعون إلى بني العباس ، وفي سنة 111 هـ ظهرت دعوتهم ، وكثر من يجيبهم إلى خلع

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مصادر ترجمته : الطبقات الكبرى 5 : 333 ، تاريخ الطبري 5 : 558 و 507 ، مقاتل الطالبيين : 89 ، التنبيه والاشراف : 279 ، مروج الذهب 2 : 191 و 207 ، الارشاد 2 : 168 ، كشف الغمة 2 : 337 و 353 ، شرح نهج البلاغة 3 : 286 ، البدء والتاريخ / المقدسي 6 : 49 ، وفيات الأعيان 6 : 110 ، الخرائج والجرائح / الراوندي 1 : 278 و 281 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 322 ، المنتظم 7 : 207.

(2) مقاتل الطالبيين : 89 ، الهداية الكبرى : 239.

(3) تاريخ دمشق 45 : 368.

(4) التنبيه والاشراف : 292.

بني أمية (1).

وواصل إبراهيم بن محمد تحدّي السلطة الأموية بعد أبيه ، حتى مقتله في حبس مروان بن محمد سنة 131 هـ ، واستطاع الدعاة تصدير بعض الشعارات العلوية لاستقطاب المدّ العلوي ، ومنها الرضا لآل محمد ، فكثر من يأتيهم ويميل معهم ، سيّما بعد مقتل زيد بن علي سنة 121 هـ ، حتى أطاحوا بالعرش الأموي سنة 132 هـ.

وقد أخبر الإمام الباقر عليه‌السلام هشام بن عبد الملك بدنو زمان ملك بني العباس ، حين أشخصه إلى الشام ، وسأله هشام : «أنت أبو جعفر الذي تقتل بني أمية ، فقال عليه‌السلام : لا ، قال : فمن ذاك؟ فقال عليه‌السلام : ابن عمّنا أبو العباس بن محمد ابن علي ، فنظر إليه هشام وقال : واللّه ما جرّبت عليك كذباً ، ثم قال : ومتى ذاك؟ قال : عن سنيات واللّه ما هي ببعيدة» (2).

وعن أبي بصير أن الإمام أبا جعفر عليه‌السلام أخبر بني العباس بملكهم ، وكانوا في ناحية مسجد المدينة ، منهم داود بن علي ، وسليمان بن خالد ، وأبو جعفر الدوانيقي. فقال عليه‌السلام وهو يشير إلى أبي جعفر الدوانيقي : «أما واللّه لا تذهب الليالي والأيام ، حتى يملك ما بين قطريها ، ثم ليطأن الرجال عقبه ، ثم ليذلن له رقاب الرجال ، ثم ليملكن ملكاً شديداً.

وقال عليه‌السلام حين سأله الدوانيقي عن الدولة : دولتكم قبل دولتنا ، وسلطانكم قبل سلطاننا ، سلطانكم شديدعسر لايسر فيه ، وله مدّة طويلة ، واللّه لايملك بنو أمية يوماً إلاّملكتم مثليه ، ولاسنة إلاّملكتم مثليها ، ولتتلقفهاصبيان منكم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ اليعقوبي 2 : 306.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 320.

فضلاً عن رجالكم ، كما تتلقّف الصبيان الكرة ، أفهمت؟ ثم قال : لا تزالون في عنفوان الملك ترغدون فيه ، ما لم تصيبوا منّا دماً حراماً ، فإذا أصبتم ذلك الدم غضب اللّه عزّوجلّ عليكم ، فذهب بملككم وسلطانكم ، وذهب بريحكم» (1).

### 9 ـ حركات الخوارج :

كان الخوارج تيارات فكرية مختلفة ، تتّفق جميعاً على لغة التكفير واستباحة الدماء ، فمنهم الأزارقة ، أتباع نافع بن الأزرق ، وكانت لهم حروب شديدة مع الأمويين في البصرة والأهواز ، قاتلوا أهل الشام مع ابن الزبير أولاً ، فلما علموا أنّه يتولّى عثمان فارقوه ، فانتدب المهلب لقتالهم ، فحاربهم وهزمهم ، وانحازوا إلى الأهواز ، ثم إلى فارس ، وقتل نافع بن الأزرق سنة 65 هـ ، ثم لم يزل يواقعهم من بلد إلى بلد حتى قُتل ابن الزبير ، وخلص الأمر إلى عبد الملك ، واستمر في قتالهم حتى سنة 78 هـ حيث ضعف أمرهم.

ومنهم النجدات ، أتباع نجدة الحروري ، استولوا على حضرموت والبحرين واليمن والطائف واليمامة وعمان وهجر ، وكان أول أمره مع نافع بن الأزرق ، وفارقه لاحداثه في مذهبه ، ثم خرج باليمامة أيام عبد اللّه بن الزبير ، وأتى البحرين واستقرّ بها ، وتسمّى بأمير المؤمنين ، ووجّه إليه مصعب بن الزبير جيشاً بعد جيش فهزمهم حتى قُتل.

ومنهم الأباضية ، وهم أتباع عبد اللّه بن أباض ، الذي تخلّف عن قتال ابن الزبير مع ابن الأزرق ، فتبرّأ ابن الأزرق منه ، وقتل ابن أباض في أيام مروان بن محمد ، وافترقت هذه الجماعة فيما بينها (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 8 : 210 / 256 ، ونحوه في الصواعق المحرقة : 121 ، والخرائج 1 : 273.

(2) الأخبار الطوال / الدينوري : 199 ، لسان الميزان / ابن حجر 3 : 248 / 1083 ،

## خامساً ـ نشوء العقائد المنحرفة :

### 1 ـ الدعوة إلى الجبر :

الجبر هو الاعتقاد بنسبة أفعال العباد إلى اللّه تعالى ، ويقول المجبرة : ليس لنا صنع ، أي لسنا مخيرين في أفعالنا التي نفعلها ، بل اننا مجبورون بإرادته ومشيئته تعالى ، فهم يعطلون أي دور للإنسان في أقواله وأفعاله ، وقد تبنّى الأمويون مقولة الجبر من أجل تثبيت أركان دولتهم ، بدعوى أن اللّه آتاهم الملك قدراً مقدراً ، فلا يجوز انتزاعه منهم ، ونشط الجبر في أحضان البلاط الأموي كعقيدة يتذرّعون بها لتبرّر ظلمهم ، وتنزيه ساحتهم مما ارتكبوه من مفاسد وموبقات ، مدّعين أنّها من قضاء اللّه وقدره ، وهم منها براء ، وإن كانت تجرى على أيديهم.

### 2 ـ ظهور المفوضة :

في مقابل القول بالجبر ، ظهر اتجاه منحرف آخر يدعو إلى القول بالاختيار ، أو التفويض المطلق ، وهؤلاء يرون أن اللّه سبحانه لا دخل له في أفعال العباد سوى أنّه خلقهم وأقدرهم ، ثمّ فوّض أمر أفعالهم إلى سلطانهم وإرادتهم ، ولا دخل لأي إرادة أو سلطان عليهم ، فنفوا كل أثر لمشيئة اللّه وإرادته.

وقد وقف الأمويون بوجه أصحاب هذه الفكرة الهدامة ، لأنّها تنقض ما جعلوه أساساً لأركان سلطانهم ، وهو القول بالجبر ، فأخذ عبد الملك بن مروان معبداً الجهني وعذّبه ثمّ قتله ، وقبض هشام على غيلان الدمشقي وقتله.

وقد طال معترك الكلام بين أصحاب الجبر والاختيار ، حتّى تصدّى الإمام الباقر والصادق عليهما‌السلام لنقض المقولتين ، وهدوا الناس إلى مذهب وسط بين الجبر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الفرق بين الفرق / البغدادي : 70 ، الأعلام 4 : 191 و 5 : 200 و 7 : 351 و 8 : 10.

والاختيار ، وهو الأمر بين الأمرين ، فجمعوا الآراء المتشعّبة ، مستندين إلى ما آي الكتاب الكريم في هذا الشأن.

قال أبو جعفر الباقر وأبو عبد اللّه الصادق عليه‌السلام: «إنّ اللّه عزّوجلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذّبهم عليها ، واللّه أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون» (1).

ومنع الإمام الباقر عليه‌السلام أصحابه من الائتمام بمن يقول بالقدر ، قال الحارث ابن سريج البزّاز : «قلت لمحمد بن علي إن لنا إماماً يقول في القدر ، فقال : اُنظر كل صلاة صلّيتها خلفه أعدها ، إخوان اليهود والنصارى ، قاتلهم اللّه أنّى يؤفكون» (2).

### 3 ـ الدعوة إلى الإرجاء :

المراد بالإرجاء التأخير ، والمرجئة هم الذين يبالغون في إثبات الوعد ، ويرجون المغفرة والثواب لأهل المعاصي ، ويرجئون حكم أصحاب الكبائر وسائر المذنبين إلى الآخرة ، فلا يحكمون عليهم بكفر ولا فسق ، ويرى المرجئة أن الإيمان معرفة بالقلب وتصديق باللسان ، وهو قول بلا عمل ، ولا يضرّ معه ذنب أو معصية ، وهو لا يزيد ولا ينقص (3).

وقد روّجت السلطة الأموية لفكرة الإرجاء ، لتبرير هوس طغاتهم بالدماء ، وإيغالهم بالجريمة والظلم ، واستباحة الحرمات ، واستخفافهم بأحكام الدين ، وتعطيل الكتاب والسنّة ، كي يبقوا رغم ذلك مؤمنين ، لا يضرّ بإيمانهم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التوحيد / الصدوق : 360 / 3.

(2) اعتقاد السنّة / ابن منصور : 731.

(3) راجع : الملل والنحل 1 : 125.

معصية ، ولا ينقصه عمل!

روي أنّه لما استخلف يزيد بن عبد الملك (101 ـ 105 هـ ) قال : سيروا سيرة عمر بن عبدالعزيز ، فأتوه بأربعين شيخاً شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب (1) ، فأقبل على الجور والبذخ ، وانهمك بالشرب وسماع الغناء.

ويشير طاوس اليماني لآثار هذا الاعتقاد في أفكار الناس بقوله : عجبت لإخواننا من أهل العراق يسمّون الحجّاج مؤمناً ، قال الذهبي : يشير إلى المرجئة منهم ، الذين يقولون : هو مؤمن كامل الإيمان مع عسفه وسفكه الدماء وسبّه الصحابة (2).

ووقف أئمّة أهل البيت : بوجه هذا الفكر الهدّام ، فروي عن الإمام الباقر عليه‌السلام أنّه لعن المرجئة ، وقال في حديث : «اللهمّ العن المرجئة ، فإنّهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة» (3).

وهناك المزيد من الحديث الوارد عن الإمام الباقر عليه‌السلام ينقض فيها أفكار المرجئة صيانة لأفكار الناس ، وإن لم يسمهم تقية من بطش السلطة ، فأكد في حديثه لبعض شيعته أن الإيمان قول وعمل ، قال عليه‌السلام : «ما تنال شفاعتنا إلاّ بالتقوى والورع والعمل الصالح والجدّ والاجتهاد ، فلا تغترّوا بالعمل ويسقط عنكم ، فإذن أنتم أعزّ على اللّه منّا» (4). وقال عليه‌السلام : «الإيمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل» (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ الخلفاء : 246.

(2) سير أعلام النبلاء 5 : 44.

(3) الكافي 8 : 276 / 417.

(4) أعلام الدين في صفات المؤمنين / الديلمي : 143.

(5) تحف العقول : 297.

وعن أبي الصباح الكناني ، عنه عليه‌السلام قال : «قيل لأمير المؤمنين عليه‌السلام : من شهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنّ محمداً رسول اللّه ، كان مؤمناً؟ قال : فأين فرائض اللّه؟

قال : وسمعته يقول : كان علي عليه‌السلام يقول : لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام.

قال : وقلت لأبي جعفر عليه‌السلام : إنّ عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنّ محمداً رسول اللّه ، فهو مؤمن. قال عليه‌السلام : فلِمَ يضربون الحدود ، ولِم تُقطع أيديهم؟! وما خلق اللّه عزّوجلّ خلقاً أكرم على اللّه عزّوجلّ من المؤمن ، لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين ، وأنّ جوار اللّه للمؤمنين ، وأنّ الجنّة للمؤمنين ، وأنّ الحور العين للمؤمنين ، ثم قال عليه‌السلام : فما بال من جحد الفرائض كان كافراً؟» (1).

وتقوّل بعضهم على الإمام الباقر عليه‌السلام أنّه قال : اذا عرفت فاعمل ما شئت ، تماشياً مع ما يذهب إليه مروّجو الإرجاء ، فصحّح الإمام الصادق عليه‌السلام هذا الحديث مبيّناً وجه التحريف فيه ، قال فضيل بن عثمان : سُئل أبو عبد اللّه عليه‌السلام فقيل له : إنّ هؤلاء الأخابث يروون عن أبيك يقولون : إنّ أباك عليه‌السلام قال : إذا عرفت فاعمل ما شئت ، فهم يستحلّون بعد ذلك كلّ محرم. قال عليه‌السلام : «ما لهم لعنهم اللّه؟! إنّما قال أبي عليه‌السلام : إذا عرفت الحقّ فاعمل ما شئت من خير يقبل منك» (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 33 / 2.

(2) معاني الأخبار : 181.

## مواقف الإمام عليه‌السلام من السلطة :

اتّبع الإمام عليه‌السلام اُسلوب الحيطة إزاء عنف رجال السلطة وبطشهم ، فانصرف عن هموم السياسة ، ودعا أصحابه إلى مقاطعة السلطة ، ولم يبخل بإسداء النصح لبعضهم حيثما يتعلّق الأمر بمصالح المسلمين ، وإذا كان قد اتّقى على نفسه وأصحابه من رجال السلطة ، فإنّه لم يتردّد من مواجهة بعض الحكام في مواقف فرضوها عليه ، فكم من كلمة حق قالها أمام سلطان جائر ، وانقطع إلى نشر علوم الإسلام ومعارفه ، وواصل مسيره في هداية الناس والدعوة إلى اللّه ، وقضاء حقوق المسلمين والسعي في حاجاتهم ، وتنبيههم على مواضع الخطر ، وسعى إلى بيان مظلومية أهل البيت : ، والتجاوز على حقوقهم.

### 1 ـ الدور العلمي :

اعتنى الإمام الباقر عليه‌السلام بتشييد مدرسة أهل البيت العلمية على الأسس التي وطّدها آباؤه : ، وسعى إلى استقطاب الجماهير حول علوم أهل البيت ، فكان يقصده ويشدّ إليه الرحال جمع غفير من كبار التابعين وأعيان الفقهاء والمحدثين وغيرهم على اختلاف أغراضهم وأهدافهم ومعتقداتهم ومبانيهم الفكرية ، فيتحلّقون حوله للدرس في رواق المسجد النبوي الشريف ، الذي يمارس به التعليم ، أو في مسجد مكة ، أو في مجلس بيته العامر بطلبة العلم ورواته وبالمستفتين الوافدين من مختلف ديار الإسلام سيما في أيام الحج.

وهكذا كان باقر العلم رائد مدرسة أهل البيت : في الفقه والحديث والتفسير وسائر العلوم الأخرى ، وكانت مدرسته تتميز بالسعة والشمول لكل أبناء الأمة ، وتتميز بالخطاب الإسلامي الموحّد ، فهي مدرسة الإسلام التي استقطبت كل أبنائه دون استثناء.

### 2 ـ بيان مظلومية أهل البيت : :

سعى الإمام الباقر عليه‌السلام إلى بيان مظلومية أهل البيت : ، وبيّن ـ في أكثر من مناسبة ـ إقصاءهم عن مراتبهم وجحود منزلتهم ، مع أنهم ثاني الثقلين وأولى الناس بالناس ، ومع تفوقهم على سواهم بالعلم والمعرفة ، وبيّن اتفاق الحكام على قتلهم واستذلالهم وحرمانهم من حقوقهم ، والكذب عليهم بما لم يقولوه من الأحاديث الموضوعة ، روى ابن أبي الحديد أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه‌السلام قال لبعض أصحابه : «ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا ، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس ، إن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس ، فتمالأت علينا قريش ، حتى أخرجت الأمر عن معدنه ، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا ، فنكثت بيعتنا ، ونصبت الحرب لنا ، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتى قتل ، فبويع الحسن ابنه وعوهد ، ثم غدر به وأسلم ، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ، ونهبت عسكره ، وعولجت خلاليل أمهات أولاده ، فوادع معاوية ، وحقن دمه ودماء أهل بيته ، وهم قليل حق قليل ، ثم بايع الحسين عليه‌السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به ، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم ، وقتلوه.

ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ، ونقصى ونمتهن ، ونحرم ونقتل ، ونخاف ، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء فى كل بلدة ، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ، ليبغضونا إلى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد

موت الحسن عليه‌السلام ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة.

وكان من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن ، أو نهب ماله ، أو هدمت داره.

ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد اللّه بن زياد قاتل الحسين عليه‌السلام ، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة ، وأخذهم بكل ظنّة وتهمة ، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي ، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعله يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ، ولم يخلق اللّه تعالى شيئاً منها ، ولا كانت ، ولا وقعت ، وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع» (1).

وعن المنهال بن عمرو ، قال : كنت جالسا مع محمد بن علي الباقر عليه‌السلام ، اذ جاءه رجل فسلم عليه ، فرد عليه‌السلام ، قال الرجل : كيف أنتم؟ فقال له محمد عليه‌السلام : «أو ما آن لكم أن تعلموا كيف نحن ، انما مثلنا في هذه الأمّة مثل بني إسرائيل ، كان يُذبح أبناؤهم وتستحيا نساؤهم ، ألا وان هؤلاء يذبّحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ، زعمت العرب أنّ لهم فضلاً على العجم ، فقالت العجم : وبماذا؟ قالوا : كان محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عربيا. قالوا لهم : صدقتم. وزعمت قريش أنّ لها فضلاً على غيرها من العرب ، فقالت لهم العرب من غيرهم : وبما ذاك؟ قالوا : كان محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قرشيا. قالوا لهم : صدقتم ؛ فإن كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس ، لأنّا ذرية محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وأهل بيته خاصة وعترته ، لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شرح نهج البلاغة 11 : 43.

يشركه في ذلك غيرنا.

فقال له الرجل : واللّه إنّي لأحبّكم أهل البيت. قال : فاتّخذ للبلاء جلبابا ، فواللّه إنّه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي ، وبنا يبدأ البلاء ثمّ بكم ، وبنا يبدأ الرخاء ثمّ بكم» (1).

### 3 ـ مقاطعة السلطة :

لم يكن الإمام الباقر عليه‌السلام ذلك المعارض الذي يرى الخروج بالسيف كوسيلة للوصول إلى السلطة ، رغم إيمانه بأنّه أولى الناس بالأمر ، ويعلّل ذلك في حديثه إلى جابر بن يزيد الجعفي بعدم وجود الناصر ، قال جابر : «قلت له عليه‌السلام : يا سيدي ، أليس هذا الأمر لكم؟ قال : نعم. قلت : فلِم قعدتم عن حقّكم ودعواكم ، وقد قال اللّه تعالى : «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ» (2)؟ قال : فما بال أمير المؤمنين عليه‌السلام قعد عن حقّه حيث لم يجد ناصراً ، أو لم تسمع اللّه تعالى يقول في قصّة لوط عليه‌السلام : «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» (3) وفي حكاية عن نوح عليه‌السلام : «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ» (4) ، ويقول في قصة موسى عليه‌السلام : «قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» (5) ، فإذا كان النبي هكذا ، فالوصي أعذر. يا جابر ، مثل الإمام مثل الكعبة ، يؤتى ولا يأتي» (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أمالي الطوسي : 254 ـ 255 / 7.

(2) سورة الحج : 22 / 78.

(3) سورة هود : 11 / 80.

(4) سورة القمر : 54 / 10.

(5) سورة المائدة : 5 / 25.

(6) كفاية الأثر / الخزاز : 247.

من هنا دعا الإمام الباقر عليه‌السلام أتباعه إلى مقاطعة السلطة وتحريم التعاون مع رموزها الذين أمعنوا كثيراً في إقصاء أهل البيت : عن ممارسة دورهم الرسالي ، ومارست ضدّهم شتّى أساليب الظلم والجور والقتل.

وهذا الموقف جاء في مقابل فتاوى فقهاء البلاط من المتزلّفين المتملّقين الذين يحاولون إضفاء الشرعية الزائفة على ممارسات حكام الجور ، يقول الإمام الباقر عليه‌السلام : «إنّ اللّه قال : لأعذبنّ كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ، وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقية ، ولأعفونّ عن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية إمام عادل من اللّه ، وإن كانت الرعية ظالمة مسيئة» (1).

وسعى الإمام الباقر عليه‌السلام إلى تنبيه الأمّة على أن أي تعامل مع الحكام يعتبر تقويةً لظلمهم وجبروتهم ، ومشاركةً لهم في جناياتهم ، فحرّم التورّط في أعمال الظلمة ، ومعونتهم ولو لتمرير المعاش ، عن أبي بصير ، قال : «سألت أبا جعفر عليه‌السلام عن أعمالهم فقال لي : يا أبا محمد ، لا ولا مَدّة قلم ، إن أحدكم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلاّ أصابوا من دينه مثله» (2).

وجعل ذلك بمثابة فريضة واجبة الأداء ، عن أبي مريم عبد الغفار بن القاسم ، قال : «دخلت على مولاي الباقر عليه‌السلام وعنده أُناس من أصحابه ...فقلت : يا سيدي ، فما تقول في الدخول على السلطان؟ قال : لا أرى لك ذلك. قلت : فإنّي ربما سافرت الشام ، فأدخل على إبراهيم بن الوليد. قال : يا عبد الغفار ، إن دخولك على السلطان يدعو إلى ثلاثة أشياء : محبّة الدنيا ، ونسيان الموت ، وقلّة الرضا بما قسم اللّه. قلت : يا ابن رسول اللّه ، فإنّي ذو عيلة ، وأتّجر إلى ذلك

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 386 / 2.

(2) الكافي 5 : 106 / 5 ، التهذيب 6 : 331 / 918.

المكان لجرّ المنفعة ، فما ترى في ذلك؟ قال : يا عبد اللّه ، إني لست آمرك بترك الدنيا ، بل آمرك بترك الذنوب ، فترك الدنيا فضيلة ، وترك الذنوب فريضة ، وأنت إلى إقامة الفريضة أحوج منك إلى اكتساب الفضيلة» (1).

### 4 ـ إسداء النصيحة :

حرص الإمام الباقر عليه‌السلام على إسداء النصيحة لجميع المسلمين بما في ذلك بعض سلاطين بني مروان.

دخل عمر بن عبد العزيز المدينة وصاح مناديه : من كانت له مظلمة وظلامة فليحضر ، فأتاه أبو جعفر الباقر عليه‌السلام ، فلما رآه استقبله وأقعده مقعده ، فقال عليه‌السلام : «إنّما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناس ما ينفعهم وما يضرّهم ، وكم قوم ابتاعوا ما ضرّهم فلم يصبحوا حتى أتاهم الموت ، فخرجوا من الدنيا ملومين ، لمّا لم يأخذوا ما ينفعهم في الآخرة ، فقسم ما جمعوا لمن لم يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم ، فنحن واللّه حقيقون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي كنّا نغبطهم بها فنوافقهم فيها ، وننظر إلى تلك الأعمال التي نتخوّف عليهم منها ، فنكفّ عنها.

فاتّقِ اللّه ، واجعل في نفسك اثنتين : اُنظر إلى ما تحبّ أن يكون معك إذا قدمت على ربّك فقدّمه بين يديك ، واُنظر إلى ما تكره أن يكون معك إذا قدمت على ربّك فارمِه وراءك ، ولا ترغبنّ في سلعة بارت على من كان قبلك ، فترجو أن تجوز عنك ، وافتح الأبواب ، وسهل الحجاب ، وانصف المظلوم ، ورد الظالم.

ثلاثة من كُنّ فيه استكمل الإيمان باللّه : من إذا رضي لم يدخله رضاه في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كفاية الأثر : 250.

 باطل ، ومن إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

فدعا عمر بداوة وبياض وكتب : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، هذا ما ردّ عمر ابن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم بفدك» (1).

وحينما وفد الإمام الباقر عليه‌السلام إلى الشام في جملة الفقهاء ، بأمر عمر بن عبد العزيز ، دخل أبو جعفر عليه‌السلام على عمر فقال : «يا أبا جعفر أوصني. قال عليه‌السلام : أوصيك أن تتّخذ صغير المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً ، وكبيرهم أباً ، فارحم ولدك ، وصِل أخاك ، وبِر أباك ، وإذا صنعت معروفاً فربّه» (2).

ورواه ابن عساكر عن أبي حمزة ، وزاد فيه : قال عمر : رحمك اللّه جمعت لنا رأسها ، ان أخذنا به ، وأعاننا اللّه عليه ، استقامت لنا الخيرات إن شاء اللّه (3).

ومن المسائل التي أعضلت على الحكام ، ولم يهتدوا إلى وجه الصواب فيها ، فاستوجبت تدخّل الإمام عليه‌السلام ، ما نقل في التاريخ أن ملك الروم هدّد عبد الملك ابن مروان حين أراد عبد الملك تبديل العملة الرومية المتداولة آنذاك ، فأنكره واستشاط غيظاً ، فكتب إلى عبد الملك يتهدّده بأن ينقش على الدراهم والدنانير شتم النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فتحيّر عبد الملك كيف يمكن أن يتراجع عن موقفه الذي يضعف موقف الدولة ، وإذا لم يتراجع فسوف يصدر ملك الروم عملة ينقش فيها سبّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فأشار إليه روح بن زنباع أن يرسل إلى الباقر عليه‌السلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 337.

(2) أمالي القالي 2 : 308.

(3) تاريخ دمشق 45 : 270.

ليستقدمه إلى الشام ، فقدم عليه وأعطاه الرأي في الإصرار على إصدار عملة إسلامية ، وبيّن له أوزانها وما يكتب فيها ، وطلب إليه أن يلزم المسلمين آنذاك باستعمال هذه العملة ، وأن لا يستعملوا العملة الرومية تحت طائلة العقوبة والتهديد ، فعمل عبد الملك ما طلب الإمام عليه‌السلام ، وعندما علم ملك الروم بإجراءات عبد الملك لم ينفذ تهديده ، فقيل له : افعل ما كنت تهدّد به ملك العرب. فقال : إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه ، لأنّي كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم للروم ، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام (1) ، وبهذا أنقذ الباقر عليه‌السلام الواقع الإسلامي من مأزق حقيقي ، وأحبط الخطة الرومية في زعزعة النظام المالي للمسلمين.

### 5 ـ الدعاء :

الدعاء سلاح الأنبياء والأوصياء والمؤمنين الصالحين الذي يشهرونه في وجه الظالمين ، وعدّتهم في مواجهة الأعداء ، ومن أقوى الأسباب التي يستدفع بها البلاء ، قال الصادق عليه‌السلام : «كان أبي عليه‌السلام إذا حزنه أمر (2) جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمّنوا» (3).

ويلجأ الإمام الباقر عليه‌السلام إلى الدعاء حيث يشتدّ الخناق ، ويحتدّ الوثاق ، وتنقطع حبائل الصبر من جور طغاة بني أُميّة وبني مروان الذين سعوا في الأرض فساداً ، فاتّخذوا مال اللّه دولاً ، وعباد اللّه خولاً ، ويتضرّع الإمام عليه‌السلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المحاسن والأضداد / البيهقي 1 : 31 ، حياة الحيوان / الدميري 1 : 63. وروي أيضاً أن المشير على عبد الملك قد أرشده إلى الإمام زين العابدين عليه‌السلام.

(2) الظاهر حزبه أمر ، أي دهاه وأعياه علاجه.

(3) الكافي 2 : 487 / 3.

إلى اللّه لينقذ المسلمين من محنتهم ، وينزل عقابه الصارم بالمردة الظالمين لعنة اللّه عليهم أجمعين.

قال عليه‌السلام في قنوته : «اللّهمّ إنّ عدوي قد استسن في غلوائه ، واستمرّ في عدوانه ، وأمن بما شمله من الحلم عاقبة جرأته عليك ، وتمرّد في مباينتك ، ولك اللّهمّ لحظات سخط بياتاً وهم نائمون ، ونهاراً وهم غافلون ، وجهرة وهم يلعبون ، وبغتة وهم ساهون ، وإن الخناق قد اشتدّ ، والوثاق قد احتدّ ، والقلوب قد شجيت ، والعقول قد تنكرت ، والصبر قد أودى ، وكادت تنقطع حبائله ، فإنّك لبالمرصاد من الظالم ، ومشاهدة من الكاظم ، لا يعجلك فوت درك ، ولا يعجزك احتجاز محتجز ، وإنّما مهّلته استثباتاً ، وحجّتك على الأحوال البالغة الدامغة ، ولعبدك ضعف البشرية وعجز الإنسانية ، ولك سلطان الإلهية ، وملكة الربوبية ، وبطشة الأناة ، وعقوبة التأبيد.

اللّهمّ فإن كان في المصابرة لحرارة المعان من الظالمين ، وكيد من نشاهد من المبدلين ، رضىً لك ومثوبةً منك ، فهب لنا مزيداً من التأييد ، وعوناً من التسديد ، إلى حين نفوذ مشيّتك فيمن أسعدته وأشقيته من بريّتك ، وامنُن علينا بالتسليم لمحتومات أقضيتك ، والتجرّع لواردات أقدارك ، وهب لنا محبّة لما أحببت في متقدّم ومتأخّر ومتعجّل ومتأجّل ، والإيثار لما اخترت في مستقرب ومستبعد ، ولا تخلنا اللّهمّ مع ذلك من عواطف رأفتك ورحمتك وكفايتك وحسن كلاءتك بمنّك وكرمك» (1).

وله عليه‌السلام في ذات السياق دعاء يقول في بعض أجزائه : «اللّهمّ فإنّ القلوب قد بلغت الحناجر ، والنفوس قد علت التراقي ، والأعمار قذ نفدت بالانتظار ، لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بحار الأنوار 82 : 216.

عن نقص استبصار ، ولا عن اتهام مقدار ، ولكن لما تعاني من ركوب معاصيك ، والخلاف عليك في أوامرك ونواهيك ، والتلعب بأوليائك ومظاهرة أعدائك ، اللّهمّ فقرّب ما قد قرب ، وأورد ما قد دنا ، وحقّق ظنون الموقنين ، وبلّغ المؤمنين تأميلهم من إقامة حقّك ونصر دينك ، وإظهار حجّتك والانتقام من أعدائك» (1).

### 6 ـ المواجهة :

لم تخل حياة الإمام الباقر عليه‌السلام من خط المواجهة الساخن مع بعض رجالات السلطة ، في ظروف فرضت عليه تلك المجابهة التي قد تصل إلى حد التعريض الواضح برأس السلطة ، فحين أشخص هشام بن عبد الملك الإمام الباقر وولده الصادق عليهما‌السلام إلى الشام وطلب منهما المناضلة والرمي ، قال هشام : أين رمي جعفر من رميك؟ فقال عليه‌السلام : «إنّا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما اللّه على نبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في قوله : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِْسْلاَمَ دِيناً» (2) والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا».

فلما سمع هشام ذلك من الباقر عليه‌السلام انقلبت عينه اليمنى واحمر وجهه ، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب.

ثم أطرق هشام فقال : ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟ فقال الباقر عليه‌السلام : «نحن كذلك ، ولكنّ اللّه جلّ ثناؤه اختصّنا من مكنون سرّه وخالص علمه ، بما لم يختصّ أحداً به غيرنا».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بحار الأنوار 82 : 217.

(2) سورة المائدة : 5 / 3.

فقال : أليس اللّه بعث محمداً صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من شجرة عبد مناف إلى الناس كافّة ، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم ، ورسول اللّه مبعوث إلى الناس كافّة؟ فمن أين ورثتم هذا العلم ، وليس بعد محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نبي ، ولا أنتم أنبياء؟ فقال عليه‌السلام : «من قوله تعالى لنبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» (1) فالذي أبداه فهو للناس كافّة ، والذي لم يحرّك به لسانه ، أمر اللّه تعالى أن يخصّنا به من دون غيرنا ، فلذلك كان يناجي أخاه علياً من دون أصحابه ، وأنزل اللّه بذلك قرآناً في قوله تعالى : «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» (2) ، فقال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لأصحابه : سألت اللّه تعالى أن يجعلها أذنك يا علي ، فلذلك قال علي عليه‌السلام بالكوفة : علّمني رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ألف باب من العلم ، يفتح من كلّ باب ألف باب. خصّه به رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من مكنون علمه ما خصّه اللّه به ، فصار إلينا وتوارثناه من دون قومنا» إلى آخر المناظرة ، وهي طويلة (3).

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تعساً وبؤساً لهشام الشوم  |  | من هتكه لباقر العلوم  |
| أيطلب الرمي من الإمام  |  | مع الرماة من علوج الشام  |
| وهو ابن من خاطبه اللّه بما  |  | رميت إذ رميت واللّه رمى  |
| وهو ابن سهم اللّه إذ رماه  |  | فبان لا إله إلاّ اللّه  |
| حتّى بدت من رمية الكرامه  |  | وللعدو الخزي والندامه  |
| أيوقف القائم بالأمر لدى  |  | أذل مخلوق تردى في الردى  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة القيامة : 75 / 16.

(2) سورة الحاقة : 69 / 12.

(3) دلائل الإمامة : 235 ، نوادر المعجزات : 131.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| طال وقوف حجّة الرحمن  |  | بين يدي طاغية الزمان  |
| لكن حبّ الملك داء مهلكُ  |  | وكم بهذا الداء قدماً هلكوا (1)  |

وله مواجهة مع هشام عند المسجد الحرام ، أسكته فيها فلم يحر جواباً ، رواها جمع من المؤرخين عن عبد الرحمن الزهري ، قال : «حجّ هشام بن عبد الملك ، فدخل المسجد الحرام متّكئاً على يد سالم مولاه ، ومحمد بن علي بن الحسين : جالس في المسجد ، فقال له سالم مولاه : هذا محمد بن علي ، قال هشام : المفتون به أهل العراق؟ قال : نعم. قال : اذهب إليه فقل له : يقول لك هشام : ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ قال له أبو جعفر عليه‌السلام : يحشر الناس على مثل قرص النقي (2) ، فيها أنهار متفجّرة ، يأكلون ويشربون حتّى يفرغ من الحساب. قال : فرأى هشام أنه قد ظفر به ، فقال : اللّه أكبر ، اذهب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ؟! فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا : «أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» (3). فظهر عليه الباقر عليه‌السلام ، وسكت هشام لا يرجع كلاماً» (4).

وهناك موقف آخر له عليه‌السلام في الشام استوجب المواجهة ، ولكن هذه المرّة كان مع جمع من الناس ، وفي عقر دار الملك ، حينما سمع الإمام عليه‌السلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأنوار القدسية / محمد حسين الأصفهاني : 77.

(2) النقي : الخبز الحواري.

(3) سورة الأعراف : 7 / 50.

(4) الإرشاد 2 : 163 ، تاريخ دمشق 45 : 279 ، الاحتجاج 2 : 57 ، شرح الأخبار 3 : 280 ، سير أعلام النبلاء 4 : 405 ، روضة الواعظين : 203.

أهل الشام يعرّضون بجدّه أمير المؤمنين عليه‌السلام بذكر كنيته التي كنّاه بها رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وما ينطق عن الهوى ، ورغم ذلك بقي طغاة أُميّة يسبّون علياً أمير المؤمنين عليه‌السلام إلى سنين متمادية ، ويتّخذون من هذه الكنية وسيلة للسبّ والشتم ، من هنا اعتبرهم الإمام الباقر عليه‌السلام ذرية النفاق وحشو النار وحصب جهنّم.

روي بالإسناد عن الصادق عليه‌السلام ، قال : «لما أشخص أبي محمد بن علي عليهما‌السلام إلى دمشق ، سمع الناس يقولون : هذا ابن أبي تراب؟ قال : فأسند ظهره إلى جدار القبلة ، ثم حمد اللّه وأثنى عليه ، وصلّى على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ثم قال : اجتنبوا أهل الشقاق ، وذرية النفاق ، وحشو النار ، وحصب جهنم ، عن البدر الزاهر ، والبحر الزاخر ، والشهاب الثاقب ، وشهاب المؤمنين ، والصراط المستقيم ، من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها ، أو يلعنوا كما لعن أصحاب السبت ، وكان أمر اللّه مفعولاً.

ثم قال بعد كلام : أبصنو رسول اللّه تستهزؤون ، أم بيعسوب الدين تلمزون ، وأي سبل بعده تسلكون ، وأي حزن بعده تدفعون؟! هيهات هيهات برز واللّه بالسبق ، وفاز بالخصل ، واستوى على الغاية ، واحرز على الخطاب ، فانحسرت عنه الأبصار ، وخضعت دونه الرقاب ، وقرع الذروة العليا ، فكذب من رام من نفسه السعي ، وأعياه الطلب ، فأنّى لهم التناوش من مكان بعيد؟!

وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم  |  | من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا  |  | وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا  |

 فأنّى تسدّ ثلمة أخي رسول اللّه إذ شفعوا ، وشقيقه إذ نسبوا ، ونديده إذ قتلوا ، وذي قربى كنزها إذ فتحوا ، ومصلّي القبلتين إذ تحرفوا ، والمشهود له بالإيمان إذ كفروا ، والمدّعي لنبذ عهد المشركين إذ نكلوا ، والخليفة على المهاد ليلة الحصار إذ جزعوا ، والمستودع الأسرار ساعة الوداع»؟! (1) إلى آخر كلامه.

### 7 ـ التقية :

التقية : هي الحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق ، وهي من الوسائل التي أباحها الشرع من أجل التحرّز من التلف أو الموت والفناء ، في ظروف استثنائية يمرّ بها الفرد المكره أو المضطر ، ولها أدلتها المفصّلة كتاباً وسنّة (2).

والتقية بمثابة الدرع الحصينة التي تقي المؤمن في ساحات المواجهة مع الظالمين ، يقول أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : «إنّ التقية جُنّة المؤمن» (3).

ولا يخفى أن الأوضاع الخطيرة التي مرّ بها الإمام الباقر عليه‌السلام في زمان طغاة بني أُميّة ، وأساليب القهر والإرهاب ، دفعته إلى استثمار مفهوم التقية في بعض

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 334.

(2) راجع : تعريفات التقية في كتاب التقية في الفكر الإسلامي / الدكتور السيد ثامر العميدي : 11 ـ 12 الطبعة الثانية ، إصدار مركز الرسالة.

(3) الكافي 2 : 220 / 14.

الموارد ، هذا مع بيان الإمام الباقر عليه‌السلام واقع الحكم لبعض أصحابه أولاً (1) ، وحيث إن أخبار التقية عادة ما تكون معارضة لما صدر عن إرادة جدية ، لذا وضع الإمام عليه‌السلام قواعد كلية جعل فيها خطاً فاصلاً بين الأحكام التي تصدر بسبب التقية ، وبين ما صدر على نحو الإرادة الجديّة ، منها : قوله عليه‌السلام : «خذ بما اشتهر بين أصحابك ، ودع الشاذ النادر». وقوله : «انظر ما وافق منهما العامّة فاتركه ، وخذ بما خالفه فإن الحقّ فيما خالفهم» (2). أي خذ ما يخالف الخط الموالي للسلطة من وعاظ السلاطين والدائرين في فلكهم.

وفي حديثه عليه‌السلام لجابر الجعفي : «انظروا أمرنا وما جاءكم عنا ، فإن وجدتموه موافقاً القرآن فهو من قولنا ، وما لم يكن موافقاً للقرآن ، فقفوا عنده وردّوه إلينا ، حتّى نشرحه لكم كما شرح لنا» (3). وبهذا الاُسلوب استطاع الحفاظ على واقعية الأحكام الشرعية وتمييزها عن أخبار التقية.

وبسبب ضغط الظروف وحرصاً على حياة أصحابه من شرّ الظالمين ، بيّن الإمام الباقر عليه‌السلام لهم موارد وجوب التقية ، فقال : «إنّ التقية في كلّ ضرورة ، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به» (4). فالأمر منوط بتقدير المرء لحالة التهديد والبلاء الذي يتعرّض له لو لم ينفذ ما يطلب منه ، بشرط أن لا تصل التقية إلى هدر الدم ، قال عليه‌السلام : «إنّما جعلت التقية ليحقن بها الدم ، فإذا بلغ الدم فليس

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : الكافي : 6 : 407 / 4 ، تهذيب الأحكام 9 : 31 / 121.

(2) غوالي اللآلي 4 : 133 / 229.

(3) أعلام الدين في صفات المؤمنين : 314.

(4) الكافي 2 : 219 / 13.

تقية» (1).

وفي هذا السياق كان يدفع الضرر عن طلابه تستّراً عليهم من عيون السلطة بموارد من التقية المباحة ، قال جابر الجعفي : «دخلت على أبي جعفر عليه‌السلام ، فقال لي : من أين أنت؟ فقلت : من أهل الكوفة. قال : ممن؟ قلت : من جعف. قال : ما أقدمك إلى ها هنا؟ قلت : طلب العلم. قال : ممن؟ قلت : منك. قال : إذا سألك أحد من أين أنت ، فقل : من أهل المدينة. قلت : أيحل لي أن أكذب؟ قال : ليس هذا كذباً ، من كان في مدينة فهو من أهلها حتى يخرج» (2). وكان ذلك حين بدأ عثمان بن حيان ، عامل الوليد بن عبد الملك ، يلقي القبض على من تمكّن من الشيعة الهاربين إلى المدينة طلباً للأمان ، فيعاقبهم ثم يبعثهم إلى الحجّاج في العراق لينكل بهم.

### 8 ـ الدعوة إلى اللّه :

كان للإمام عليه‌السلام أثر فاعل في هداية كثير من الناس ، وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم وسواء السبيل ، من خلال التأثّر بسيرته الصالحة ، أو من خلال دعوته إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسجّلت لنا كتب الحديث والتاريخ بعض آثاره عليه‌السلام في دعوته إلى الإصلاح والإرشاد في أوساط الأُمّة المختلفة.

وكان من ثمار تلك الدعوة ، أن أحد بني أُميّة تأثّر بهديه ، وصار من خلص أصحابه ، وهو سعد بن عبد الملك ، وكان أبو جعفر عليه‌السلام يسمّيه سعد الخير ، وهو من ولد عبد العزيز بن مروان ، وكان يدخل على الإمام عليه‌السلام فينشج كما تنشج

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 174 / 16.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 331.

النساء ، فيقول له أبو جعفر عليه‌السلام : «ما يبكيك يا سعد؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن! فيقول له الإمام عليه‌السلام : لست منهم ، أنت أموي ، منّا أهل البيت ، أما سمعت قول اللّه عزّوجلّ يحكي عن إبراهيم عليه‌السلام : «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي» (1)».

وصار محمد بن قيس البجلي من أصحابه الثقات ، وهو وجه من وجوه العرب بالكوفة ، وكان خصيصاً بعمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، وكان أحدهما أنفذه إلى بلاد الروم في فداء المسلمين (2).

ووردت الأخبار أن أحد النصارى ، وكان من البربر ، أسلم على يده عليه‌السلام بعد رؤية كراماته ، فقال الرجل : آمنت باللّه الذي لا إله إلاّ هو ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنّك الإمام المفترض الطاعة (3).

ويروى أنّ رجلاً من أهل الشام ، كان يسكن المدينة المنورة ، وكان يتردّد كثيراً على مجلس الإمام عليه‌السلام ، إعجاباً بفصاحته وحسن أدبه ، غير أنّه ناصبي مبغض لأهل البيت : ، مطيع لرجال الخلافة ، وكان أبو جعفر عليه‌السلام يقول له خيراً ، وحين مرض هذا الناصب واشتدّ وجعه حتّى سجّوه ، لم يلبث إلاّ قليلاً حتى عوفي بكرامة من الإمام عليه‌السلام ، فأتى أبا جعفر عليه‌السلام فقال : أشهد أنّك حجّة اللّه على خلقه ، وبابه الذي يُؤتى منه ، فمن أتى من غيرك خاب وخسر وضلّ ضلالاً بعيداً. فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : «أما علمت أن اللّه يحبّ العبد ويبغض عمله ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الاختصاص / المفيد : 85 ، والآية من سورة إبراهيم : 14 / 36.

(2) رجال النجاشي : 322 ، الفهرست : 206 ، خلاصة الأقوال : 252.

(3) الخرائج والجرائح 1 : 277.

ويبغض العبد ويحبّ عمله؟» فصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر عليه‌السلام (1).

### 9 ـ تنبيه الأُمّة :

وكان الإمام الباقر عليه‌السلام ينبّه الأُمّة على مواضع الخطر ، حرصاً منه على دماء الناس من عبث العابثين ، قال أبو بصير : «أطرق أبو جعفر عليه‌السلام إلى الأرض ينكت فيها ملياً ، ثمّ انّه رفع رأسه فقال : كيف أنتم يا قوم إذا جاءكم رجل فدخل عليكم مدينتكم هذه ، في أربعة آلاف رجل ، حتى يستعرضكم بسيفه ثلاثة أيام ، فيقتل مقاتليكم ، وتلقون منه بلاءً لا تقدرون أن تدفعوه بأيديكم ، وذلك يكون في قابل ، فخذوا حذركم ، واعلموا أنّه ما قلت لكم كائن لابدّ منه ، فلم يأخذ أحد حذره من أهل المدينة إلاّ بنو هاشم خاصة ، فلما كان من قابل حمل أبو جعفر عليه‌السلام عياله أجمعين وبنو هاشم فخرجوا من المدينة ، فكان كما قال عليه‌السلام ، فأُصيب أهل المدينة ، وقالوا : واللّه لا نرد على أبي جعفر شيئاً نسمعه أبداً».

وقال بعضهم : إنّما القوم أهل بيت النبوة ينطقون بالحق (2).

### 10 ـ قضاء حقوق المسلمين :

لم يدع الإمام الباقر عليه‌السلام مناسبة دون أن يسعى إلى تلبية حاجات المسلمين ، ويعد ذلك من الحقوق عليه ، عن زرارة ، قال : «حضر أبو جعفر عليه‌السلام جنازة رجل من قريش وأنا معه ، وكان فيها عطاء بن أبي رباح ، فصرخت صارخة ، فقال عطاء : لتسكتن أو لنرجعن. قال : فلم تسكت ، فرجع عطاء ، قال : فقلت لأبي جعفر عليه‌السلام : إن عطاء قد رجع. قال : ولِم؟ قلت : صرخت هذه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأمالي / الطوسي : 410 / 923.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 325 ، دلائل الإمامة : 221 ، الصراط المستقيم 2 : 182.

الصارخة. فقال لها : لتسكتن أو لنرجعن ، فلم تسكت فرجع ، فقال : امضِ بنا ، فلو أنا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحقّ تركنا له الحق ، لم نقضِ حق مسلم. قال : فلما صلّى على الجنازة قال وليها لأبي جعفر عليه‌السلام : ارجع مأجوراً رحمك اللّه ، فإنّك لا تقوى على المشي ، فأبى أن يرجع ، قال : فقلت له : قد أذن لك في الرجوع ولي حاجة أريد أن أسألك عنها ، فقال : امضِ فليس بإذنه جئنا ولا بإذنه نرجع ، إنّما هو فضل وأجر طلبناه ، فبقدر ما يتبع الجنازة الرجل يؤجر على ذلك» (1).

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 3 : 171 / 3.

الفصل الثاني

الهوية الشخصية للإمام الباقر عليه السلام

## نسبه :

هو الإمام المبجّل محمد باقر العلم بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

فأمّا نسبه أباً وأماً ، فأبوه سيد الساجدين وزين العابدين وراعي الفقراء والمساكين علي بن الحسين السجّاد عليه‌السلام ، الذي يقول فيه أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : كان يقال لعلي بن الحسين ابن الخيرتين ؛ فخيرة اللّه من العرب هاشم ، ومن العجم فارس.

وقال فيه أبو الأسود الدؤلي (1) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وإنّ غُلاما بين كسرى وهاشمٍ  |  | لأكرم من نيطت عليه التمائم (2)  |

وأما أُمّه فهي السيدة الجليلة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب ، وتكنّى أُمّ الحسن ، وقيل : أُمّ عبد اللّه ، وقيل : أُمّ عبدة (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) من التابعين ، توفّي سنة 69 هـ.

(2) الكافي 1 : 467 / 1 ، مناقب آل أبي طالب 4 : 167.

(3) تاريخ أهل البيت : / رواية كبار المحدثين والمؤرخين : 122 ، الطبقات الكبرى

وهو ممن أمسك رداء المجد من أطرافه ، فهو أول علوي تولّد من علويين ، وأول فاطمي تولّد من فاطميين ، وأول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما‌السلام ، وتلك هي صهوة المجد ، وغاية السؤدد.

قال له جابر بن عبد اللّه الأنصاري : أنت ابن خير البرية ، وجدّك سيد شباب أهل الجنة ، وجدّتك سيدة نساء العالمين (1).

ولابدّ من التنويه هنا أنّ ابن كثير يعدّ الإمام الباقر بن علي الأكبر الشهيد في كربلاء وهماً منه ، قال ابن كثير : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان أبوه علي زين العابدين ، وجدّه الحسين قتلا شهيدين بالعراق (2). ومن المسلم أنّ عمه علي الأكبر هو الشهيد ، وليس أبوه الذي كان مريضاً ، وهو ينمّ عن جهل ابن كثير وأضرابه بتاريخهم.

## أحوال أمّه وفضلها :

كانت فاطمة بنت الحسن عليه‌السلام صدّيقة طاهرة ذات جلالة ونجابة ، قال أبو الصباح : ذكر أبو عبد اللّه عليه‌السلام جدّته أُمّ أبيه يوماً فقال : كانت صدّيقة ، لم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

5 : 246 ، تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، الكافي 1 : 469 ، إكمال الدين 1 : 307 ، الإرشاد 2 : 158 ، الهداية الكبرى : 240 ، روضة الواعظين : 207 ، دلائل الإمامة : 217 ، كشف الغمة 2 : 349 ، عمدة الطالب / ابن عنبة : 195 ، تاريخ مواليد الأئمة : / ابن الخشاب : 28 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، تاريخ دمشق 45 : 270 ، سير أعلام النبلاء 4 : 401 ، تاج المواليد : 39 ، إعلام الورى بأعلام الهدى 1 : 497.

(1) كشف الغمة 2 : 332 عن الحافظ عبد العزيز الجنابذي ، تاج المواليد : 40.

(2) البداية والنهاية 9 : 339.

يدرك في آل الحسن امرأة مثلها (1). ومن كراماتها ما روي عن ولدها أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، قال : «كانت أُمّي قاعدة عند جدار ، فتصدّع الجدار ، وسمعنا هدّة شديدة ، فقالت بيدها : لا وحقّ المصطفى ما أذن اللّه لك في السقوط ، فبقي معلقاً في الجو حتى جازته ، فتصدّق أبي عنها بمئة دينار» (2).

## ولادته عليه‌السلام :

قال أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه‌السلام : «ولد الباقر عليه‌السلام بالمدينة ، يوم الجمعة ، غرّة رجب ، سنة سبع وخمسين من الهجرة ، قبل قتل الحسين عليه‌السلام بثلاث أو أربع سنين» ، وهذا التاريخ هو الذي يعوّل عليه أغلب العلماء والمؤرّخين وأصحاب التراجم والسير.

واختلفوا في تعيين اليوم والشهر والسنة على أقوال عدّة ، فقد تردّدت الأقوال بين الأول من رجب ، والثالث من صفر ، والثالث من ذي الحجّة ، واختلفوا في اليوم بين الاثنين والثلاثاء والجمعة ، واختلفوا في السنة على عدّة أقوال ، هي على التوالي سنة 41 و 44 و 57 و 56 و 58 و 59 و 60 من الهجرة (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 469 ، الهداية الكبرى : 240 ، دلائل الإمامة : 217 ، التتمة : 94.

(2) الكافي 1 : 469 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 323 ، دلائل الإمامة : 218.

(3) راجع : تاريخ أهل البيت : : 79 ، تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، الكافي 1 : 469 ، الإرشاد 2 : 158 ، الهداية الكبرى : 237 و 241 ، روضة الواعظين : 207 ، كشف الغمّة 2 : 328 و 347 و 349 ، عمدة الطالب : 194 ، تاريخ مواليد الأئمة : : 26 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، تاريخ دمشق 45 : 270 ، سير أعلام النبلاء 4 : 401 ، مصباح الكفعمي : 522 ، تاريخ الخميس 2 : 356 ، الأئمة الاثنا عشر / ابن طولون : 81 ، تاريخ أبي الفداء 1 : 214 ، وفيات الأعيان 2 : 23 ، تذكرة

على أنّه لم يصرّح أحد من المصادر التي رأيتها بأنّ ولادته كانت سنة 41 هـ ولا سنة 44 هـ ، لكن ذكر ابن خلدون أنه توفّي سنة 114 هـ وعمره 73 سنة (1) ، وذلك يعني أنّ ولادته كانت سنة 41 هـ.

ونقل ابن سعد عن محمد بن عمر ، أنّه قال : أما في روايتنا فإنّه مات سنة 117 هـ وهو ابن 73 سنة ، وذلك يقتضي أن ولادته كانت سنة 44 هـ (2).

ويبدو أنّ أبا القاسم الكوفي قد بنى على هذا القول ، فذكر أنّ الإمام محمد الباقر عليه‌السلام كان يوم عاشوراء من أبناء خمس عشرة سنة (3) ، وهو أمر مستبعد ، لأنّه يعني كونه ممن يقدر على حمل السلاح في ذلك اليوم العظيم في تاريخ أهل البيت : ، ولو كان كذلك لما خفي مكانه ولا توانى في نصرة جدّه الحسين عليه‌السلام في تلك المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام.

وهكذا حال القول الذي يحّدد ولادته عليه‌السلام بسنة 59 أو 60 هـ ، فهو مستبعد لأنّه يقتضي أن يكون عمره يوم الطفّ نحو سنة أو أكثر بقليل ، وهو يعارض الروايات والأخبار التي حدّدت عمره آنذاك بنحو ثلاث أو أربع سنين (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الحفاظ / الذهبي 1 : 124 ، شذرات الذهب 1 : 149 ، الوافي بالوفيات / الصفدي 4 : 102 ، تهذيب التهذيب / ابن حجر 9 : 351 ، تاريخ الأئمة : / ابن أبي الثلج 1 : 12 ، الفصول المهمة : 193 ، نور الأبصار : 193 ، إعلام الورى 1 : 497 ، بحار الأنوار 46 : 212 و 217 ، التتمّة : 93 ، تاريخ ابن الوردي 1 : 184.

(1) تاريخ ابن خلدون 4 : 217.

(2) الطبقات الكبرى 5 : 248 ، كشف الغمة 2 : 333 عن الجنابذي.

(3) الاستغاثة / أبو القاسم الكوفي : 71.

(4) تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، وفيات الأعيان 2 : 23 ، مطالب السؤول / ابن طلحة :

## وفاته :

انتقل الإمام الباقر عليه‌السلام إلى رضوان بارئه بالحميمة من الشراة ، ثم نقل إلى بقيع المدينة يوم الاثنين ، السابع من ذي الحجّة ، في ملك هشام بن عبد الملك ، سنة 114 هـ ، وعمره يومئذٍ سبع وخمسون سنة ، وهو المشهور عند غالبية المؤرّخين والمحدّثين (1) ، والموافق لما قرّر في المشهور من تاريخ ولادته وما قدّر من عمره. ودفن في بقيع الغرقد بالمدينة ، في القبر الذي فيه أبوه علي بن الحسين عليهما‌السلام ، وعمّ أبيه الحسن عليه‌السلام ، في القبّة التي فيها قبر العباس عليهما‌السلام.

## كنيته :

كنيته أبو جعفر ولا كنية له غيرها ، وهي مشتركة بينه وبين الإمام محمد الجواد عليه‌السلام ، ويقال في التخصيص بالباقر أبو جعفر الأول ، وللجواد أبو جعفر الثاني.

قال التفرشي : إذا ورد في الرواية عن أبي جعفر ، فالظاهر منه الباقر عليه‌السلام ، وعن أبي جعفر الثاني فهو الجواد عليه‌السلام ، وقد يطلق ويراد منه : الجواد ، فالتمييز يظهر من الرجال (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

80 ، الفصول المهمة : 193 ، نور الأبصار : 193 ، إعلام الورى 1 : 497 ، تاج المواليد : 40 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339.

(1) الكافي 1 : 469 و 472 ، الإرشاد 2 : 158 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، روضة الواعظين : 207 ، كشف الغمّة 2 : 347 ، مصباح الكفعمي : 522 ، إعلام الورى 1 : 497 ، التتمّة : 96 ، إثبات الوصية : 153 ، بحار الأنوار 46 : 217.

(2) نقد الرجال / التفرشي 5 : 316.

## ألقابه :

للإمام الباقر عليه‌السلام ألقاب عدّة تدلّ على عظمة شخصيته ، هي : الباقر ، أو باقر العلم ، والهادي ، والشاكر ، أو الشاكر للّه ، والأمين ، ويدعى الشبيه ، لأنّه كان يشبه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (1).

## معنى الباقر :

أشهر الألقاب التي عرف بها هي الباقر ، وهو مشتقّ من التبقّر ، والتبقّر لغة : يعني التوسّع والتفتّح ، ومنه يقال : بقر الأرض : شقّها ووسّعها ، وأجمع المترجمون له من لغويين ومؤرّخين ومحدّثين أنّه عليه‌السلام عرف بالباقر لأنّه بقر العلم ، أي شقّه وعرف أصله واستنبط فرعه ، وعلم خفيّه وتمكّن فيه.

وقال بعضهم : عرف بالباقر لتبقّره في العلم ، أي توسّعه فيه ، وتبحّره في دقائقه ، أو لأنّه بقر علوم النبيين (2).

قال ابن حجر الهيتمي : أبو جعفر محمد الباقر ، سمّي بذلك من بقر الأرض ، أي شقّها وأثار مخبآتها ومكامنها ، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ أهل البيت : : 131 ، دلائل الإمامة : 216 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، الهداية الكبرى : 237 ، كشف الغمّة 2 : 117 ، الفصول المهمة : 211 ، نور الأبصار : 192 ، مطالب السؤول : 80 ، تاريخ مواليد الأئمّة : / ابن الخشاب : 28 ، التتمّة في تاريخ الأئمّة : : 93.

(2) تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، معاني الأخبار : 280 ، شرح صحيح مسلم / النووي 1 : 102 ، دلائل الإمامة : 216 ، مرآة الجنان / اليافعي 1 : 247 ، وفيات الأعيان 2 : 23 ، لسان العرب 4 : 74 ، مفردات القرآن / الراغب : 56 ، البداية والنهاية 9 : 339 ، كشف الغمّة 2 : 392 و 394 ، تذكرة الحفّاظ 1 : 124 ، نور الأبصار : 192 ، إسعاف الراغبين : 253.

المعارف ، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر عَلمه ورافعه ، صفا قلبه ، وزكى عمله ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة اللّه ... (1).

وذكر سبط ابن الجوزي رأياً غريباً في سبب هذا اللقب ، قال : وإنّما سمّي الباقر من كثرة سجوده ، من بقر السجود جبهته ، أي فتحها ووسعها. وقيل : لغزارة علمه (2). والقول الأول الذي ذكره السبط معارض بما سنذكره من بشارة رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بولادته ، وذكره اسمه ولقبه ، وكونه يبقر العلم بقراً ، ومعارض بإجماع غالب العلماء في معنى هذا الاسم المبارك ، فضلاً عن أن اللغة لا تساعد على ما يقول.

## بشارة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بالباقر عليه‌السلام :

روي بطرق عدّة أنّ النبي المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد بشّر جابر بن عبد اللّه الأنصاري بأنّه يدرك زمان الباقر عليه‌السلام ، وسمّاه له ولقّبه ، وذكر بأنّه يبقر العلم بقراً ، وأنّ اللّه يهب له النور والحكمة ، وأبلغه سلامه.

روى الطبري عن أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «جاءني جابر ابن عبد اللّه وأنا في الكتّاب ، فقال لي : اكشف لي عن بطنك ، فكشفت له عن بطني فقبله ، ثم قال : إن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أمرني أن أقرئك السلام» (3).

وروى جابر عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، قال : «يا جابر ، يوشك أن تبقى حتى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الصواعق المحرقة : 120.

(2) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي : 346.

(3) المنتخب من ذيل المذيل / الطبري : 129 ، تاريخ دمشق 45 : 275.

تلقى ولداً من ولدي ، يقال له محمد بن علي بن الحسين ، يبقر العلم بقراً ، فإذا رأيته فاقرأه مني السلام. قال جابر عليهما ‌السلام : فأخّر اللّه تعالى مدّتي حتّى رأيت الباقر ، فأقرأته السلام عن جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم».

وروى المديني عن جابر ، أنّه قال للباقر عليه‌السلام وهو صغير : رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يسلّم عليك ، فقيل له : وكيف ذاك؟ قال : كنت جالساً عنده والحسين في حجره ، وهو يداعبه ، فقال : «يا جابر ، يولد له مولود اسمه علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ليقم سيد العابدين ، فيقوم ولده ، ثم يولد له ولد اسمه محمد ، فإن أدركته يا جابر ، فأقرئه منّي السلام».

وفي بعض الأحاديث : وإن لقيته فاعلم أنّ بقاءك بعده قليل ، فلم يعش جابر عليهما‌السلام بعد ذلك إلاّ قليلاً (1) ، وذلك من أعلام النبوة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) هذا الحديث مروي بطرق وألفاظ متعدّدة ، قال ابن شهرآشوب : حديث جابر مشهور معروف ، رواه فقهاء المدينة والعراق كلّهم ، وقد أخبرني جدي شهرآشوب وابن كيابكي الحسيني بطرق كثيرة عن سعيد بن المسيب ، وسليمان الأعمش ، وأبان ابن تغلب ، ومحمد بن مسلم ، وزرارة بن أعين ، وأبي خالد الكابلي ، ثم روى الحديث. راجع : تاريخ أهل البيت : : 80 ، تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، الكافي 1 : 469 ، معاني الأخبار : 280 ، عيون الأخبار / الدينوري 1 : 212 ، الإرشاد 2 : 158 ، الاختصاص : 62 ، رجال الكشي : 41 / 88 ، الأمالي / الطوسي : 636 / 1314 / 16 ، دلائل الإمامة : 218 ، الهداية : 237 ، روضة الواعظين : 202 و 206 ، تذكرة الخواص : 347 ، تاريخ دمشق 45 : 276 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 327 ، مطالب السؤول : 81 ، الصواعق المحرقة : 120 ، كشف الغمة 2 : 330 و 349 ، الكامل / ابن عدي : 6 / 240 ، تاريخ مواليد الأئمة : / ابن الخشاب : 26 ، سير أعلام النبلاء 4 : 404 ، إعلام الورى 1 : 505 ، لسان الميزان 5 : 168 ، نور

وقالوا في معنى يبقر العلم بقراً الواردة في حديث رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : أي يفجّره تفجيراً ، ويظهره إظهاراً.

ونقل في بعض الأحاديث أنّ آباء الباقر : قد أبلغوه سلام جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أيضاً ، ففي وصية أمير المؤمنين علي إلى ولده الحسن عليهما‌السلام : أنّه أخذ بيد علي بن الحسين ، وقال : «وأمرك رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي ، فأقرئه من رسول اللّه ومنّي السلام» (1).

وقال أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : «أجلسني جدّي الحسين بن علي في حجره ، وقال لي : رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقرئك السلام. وقال لي علي بن الحسين : أجلسني علي بن أبي طالب في حجره ، وقال لي : رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقرئك السلام» (2).

وفي حديث عن أمير المؤمنين علي عليه‌السلام عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : أنّه أقبل على الحسين عليه‌السلام ، فقال : «سيولد محمّد بن عليّ في حياتك ، فأقرئه منّي السلام» (3).

## أصل اللقب :

روي في الحديث أنّ الإمام أبا جعفر عليه‌السلام معروف في كتاب التوراة بالباقر ، منه ما رواه جابر عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في حديث ورد فيه النصّ على الأئمّة الاثني عشر : ، قال : «ثم محمد بن علي المعروف في التوراة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الأبصار : 143 ، عمدة الطالب : 194 ، مجمع الزوائد 10 : 22 ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب / السويدي : 329 وغيرها كثير.

(1) كتاب سليم : 444 ، الكافي 1 : 297 ، التهذيب 9 : 176 / 714.

(2) تاريخ دمشق 45 : 275 ، سير أعلام النبلاء 4 : 404.

(3) الغيبة / النعماني : 80 / 10.

بالباقر» (1).

وعن أبي خالد الكابلي ، أنّه سأل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه‌السلام عن الإمام بعده ، فقال : «ابني محمد ، واسمه في التوراة باقر» (2).

وعن ابن بابويه القمّي ، عن موسى بن جعفر عليهما‌السلام ، قال : «اسم جدّي أبي جعفر عليه‌السلام في التوراة باقر» (3).

## هشام يخالف الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم :

أصبح من الواضح والمسلّم أن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم هو الذي بشّر بولادة الإمام أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، وسمّاه محمداً ، ولقّبه الباقر ، غير أن هشام بن عبد الملك بن مروان بلغ من الجرأة على اللّه ورسوله إلى الحدّ الذي سمّي باقر العلم وفالق صبحه في زمان الجهل الأموي بالبقرة ، وذلك في محضر أخيه زيد بن علي حين وفد على هشام ، فقال له هشام : ما يصنع أخوك البقرة؟ فغضب زيد ، حتى كاد يخرج من إهابه ، ثم قال : لشدّ ما خالفت رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، سمّاه رسول اللّه الباقر ، وتسميه أنت البقرة! لشدّ ما اختلفتما! لتخالفنّه في الآخرة كما خالفته في الدنيا ، فيرد الجنة وترد النار (4).

قال الشاعر (5) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تبّاً له تاللّه باللّه كفر  |  | مذ بدل الباقر كفراً بالبقر  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) إكمال الدين : 253 / 3.

(2) علل الشرائع 1 : 234 / 1 ، إكمال الدين : 319 / 2.

(3) الإمامة والتبصرة : 64.

(4) عمدة الطالب : 194 ، شرح نهج البلاغة 3 : 132 و 286 ، عيون الأخبار / ابن قتيبة 1 : 212 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 327.

(5) هو الشيخ محمد حسين الأصفهاني.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكذب النبي في مقالته  |  | وتاه في الغي وفي ضلالته (1)  |

## مخالفة لابن تيمية :

ليس هشام وحده مخالفاً لما جاء عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، بل درج ابن تيمية في غالب ما صنفه على الإنكار للمسلمات والمخالفة للبديهيات ، مما أوقعه في مطبّات وتناقضات عديدة أحصاها عليه حتّى أتباعه ، ومع ما قدّمناه من مصادر حديث تسمية محمد بن علي عليهما‌السلام بالباقر عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ومن بينها مصادر اعتمد ابن تيمية عليها ، مثل عيون أخبار ابن قتيبة ، ذكر ابن تيمية أنّه حديث موضوع.

وقال : ونقل تسميته بالباقر عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لا أصل له عند أهل العلم ، بل هو من الأحاديث الموضوعة ، وكذلك حديث تبليغ جابر له السلام ، هو من الموضوعات عند أهل العلم بالحديث (2).

ولكن لا عتب على ابن تيمية بعد أن كفّره الكثير من علماء أهل السنّة وحكموا بردّته وأباحوا دمه ، وبعضهم صرّح بنصبه وتحامله على أمير المؤمنين الإمام علي عليه‌السلام كابن حجر وغيره ، ولا زالت شرذمة الوهابية التي ابتدعت لها ديناً جديداً يجوز لها قطع رؤوس المسلمين وتهديم مساجدهم ، يبجّلونه ويعدونه إماماً لهم.

نعم .. لا عتب عليه ولا على أمثاله من الذين لا يعرفون عن الإمام الباقر عليه‌السلام إلاّ كما يعرف ابن كثير كما مرّ قوله من أنه عليه‌السلام استُشهد بكربلاء!!!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأنوار القدسية : 77.

(2) منهاج السنّة 2 : 153.

## شمائله وحليته عليه‌السلام :

كان الإمام الباقر عليه‌السلام يشبه جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في شمائله وأخلاقه وهديه وسمته ، وقد وصفه بذلك جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قبل مولده ، وجاء ذلك على لسان الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاري عليهما ‌السلام بعد أن رآه في أكثر من مناسبة ، ففي تاريخ اليعقوبي ، قال جابر بن عبد اللّه الأنصاري عليهما ‌السلام : قال لي رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «إنّك ستبقى حتّى ترى رجلاً من ولدي أشبه الناس بي اسمه على اسمي ، إذا رأيته لم يخل عليك ، فأقرئه مني السلام ، فلما كبرت سنّ جابر ، وخاف الموت ، جعل يقول : يا باقر ، يا باقر ، أين أنت؟ حتى رآه فوقع عليه يقبّل يديه ورجليه ، ويقول : بأبي وأُمّي شبيه أبيه رسول اللّه ، إنّ أباك يقرئك السلام» (1).

وروى أبان بن تغلب ، عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال : «إنّ جابر بن عبد اللّه الأنصاري عليهما ‌السلام كان يقعد في مسجد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو معتجر بعمامة سوداء ، وكان ينادي : يا باقر العلم ، وكان أهل المدينة يقولون : جابر يهجر ، فكان يقول : لاواللّه ما أهجر ، ولكنّي سمعت رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول : إنّك ستدرك رجلاً منّي ، اسمه اسمي ، وشمائله شمائلي ، يبقر العلم بقراً» (2).

وفي حديث آخر أن جابر بن عبد اللّه الأنصاري عليهما ‌السلام رأى الباقر عليه‌السلام يتردّد ذات يوم في بعض طرق المدينة ، فقال : يا غلام أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : شمائل رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم والذي نفسي بيده (3). ومن هنا كان عليه‌السلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ اليعقوبي 2 : 320.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 327 ، إعلام الورى 1 : 505.

(3) الكافي 1 : 469 ، الخرائج والجرائح 1 : 279.

يُدعى الشبيه ، لأنّه كان يشبه جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (1).

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكان كالنبي في شمائله  |  | وفي صفاته وفي دلائله  |
| ففي محيّاه حياة العرفا  |  | وكيف لا وهو شبيه المصطفى  |
| ووجهه الوجيه قبلة الورى  |  | من كلّ ما يرى وما ليس يرى  |
| وعينه عين عيون المعرفه  |  | أسرارها بنورها منكشفه (2)  |

ومن صفاته عليه‌السلام أنّه كان معتدل القامة ، أسمر اللون (3) ، جعد الشعر ، رقيق البشرة ، ربع القامة ، ضامر الكشح ، مطرق الرأس ، حسن الصوت ، له خال على خدّه ، وخال أحمر في جسده.

وروي أنّه كان على جبهته وأنفه أثر السجود ، وكان يختضب بالحناء والكتم ، ويأخذ عارضيه ويبطن لحيته ، وروي أنّه كان يدوّرها (4). وفي صفة ملبسه روي أنّه كان يلبس جبّة خزّ ومطرف خزّ ، ويرسل عمامته خلفه (5).

## زوجاته :

كان لدى الإمام الباقر عليه‌السلام من الزوجات الدائمة اثنتان ، هما : أُمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأُمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقيل : إنّ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) دلائل الإمامة : 216 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339.

(2) الأنوار القدسية : 75.

(3) أخبار الدول 1 : 332.

(4) مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، بحار الأنوار 46 : 222 و 297 ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب / السويدي : 329.

(5) الطبقات الكبرى 5 : 247 ، سير أعلام النبلاء 4 : 407.

اسمها فاطمة ، وأُمّ فروة كنيتها ، وتُعرف أيضاً باسم قريبة (1) ، وهي أُمّ الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام وعبد اللّه. وكانت من ذوات الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، وهكذا أنبتها اللّه نباتاً حسناً كرامة لجدّها محمد رضي اللّه تعالى عنه.

قال الإمام الصادق عليه‌السلام : «كانت أُمّي ممن آمنت واتّقت وأحسنت ، واللّه يحبّ المحسنين» (2).

قال ابن أبي الحديد : وإلى أُمّ فروة أشار الرضا أبو الحسن عليه‌السلام بقوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يفاخرنا قوم بمن لم نلدهم  |  | بتيم إذا عد السوابق أو عدي  |
| وينسون من لو قدّموه لقدّموا  |  | عذار جواد في الجياد مقلّد  |
| فتى هاشم بعد النبي وباعها  |  | لمرمى علا أو نيل مجد وسؤدد  |
| ولولا علي ما علوا سرواتها  |  | ولا جعجعوا فيها بمرعىً ومورد  |
| أخذنا عليكم بالنبي وفاطم  |  | طلاع المساعي من مقام ومقعد  |
| وطلنا بسبطي أحمد ووصيه  |  | رقاب الورى من متهمين ومنجد  |
| وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم  |  | بمولد بنت القاسم بن محمد (3)  |

وزوجته الثانية هي أُمّ حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريف الثقفي (4) ، وهي أُمّ إبراهيم وعبيد اللّه.

والمعروف من السراري وأُمّهات الأولاد ، أُمّ ابنته أُمّ سلمة ، وأُمّ أولاده علي وزينب ، ويبدو من حديث الكافي عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه‌السلام أن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) إكمال الدين 1 : 307 ، عمدة الطالب : 194 ، بحار الأنوار 47 : 5 / 15.

(2) الكافي 1 : 472 / 1 ، إثبات الوصية / المسعودي : 154.

(3) شرح نهج البلاغة 6 : 54.

(4) كشف الغمّة 2 : 131 ، نور الأبصار : 159 ، التتمّة في تاريخ الأئمة : : 95.

زوجته أم علي كانت ترى رأي الخوارج ، فأراد منها الإمام عليه‌السلام أن ترجع عن رأيها ، فامتنعت فطلّقها (1). وسأله بعض مواليه عن سبب فراقها ، فقال : إنّي ذكرت عليّاً فتنقّصته ، فكرهت أن ألصق جمرة من جمر جهنم بجلدي (2).

لكن يظهر من حديث مالك بن أعين في الكافي أيضاً أن الثقفية هي التي سمعها تبرأ من علي عليه‌السلام ، فطلّقها ولم يسعه أن يمسكها ، وهي تبرأ منه (3).

ولم يرد في مصادر النسب وغيرها أنّ للثقفية ولداً اسمه علي ، بل المذكور أنّها أُمّ إبراهيم وعبيد اللّه ، وعليه فإنّ أُمّ علي غير الثقفية ، إلاّ أن نقول أن أُمّ ولده علي ثقفية أيضاً ، وأنّ الحديثين يدلاّن عليها ، أو نقول أنّه عليه‌السلام طلّقهما جميعاً.

## نقش خاتمه :

وردت عدّة ألفاظ لنقش خاتمه عليه‌السلام ، ولا شك أن تعدّد النقوش يعود إلى تعدّد الخواتيم ، فروي عن الإمام الرضا عليه‌السلام أنّ الإمام الباقر عليه‌السلام كان يتختّم بخاتم جدّه الحسين عليه‌السلام وكان نقشه : إنّ اللّه بالغ أمره (4).

وعن أبي عبداللّه الصادق عليه‌السلام ، قال : «كان على خاتم محمد بن علي عليهما‌السلام :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ظنّي باللّه حسن  |  | وبالنبـي المؤتمـن  |
| وبالوصي ذي المنن  |  | وبالحسين والحسن» (5)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 6 : 477 / 6.

(2) الكافي 6 : 55 / 1.

(3) الكافي 6 : 447 / 7.

(4) بحار الأنوار 46 : 221.

(5) كشف الغمّة 2 : 331 ، مكارم الأخلاق : 92 ، نور الأبصار : 158 ، مطالب السؤول : 81 ، بحار الأنوار 46 : 221 ، التتمّة : 94 ، سبائك الذهب : 329 ، أخبار الدول 1 : 332 ، نور الأبصار : 159.

وعنه عليه‌السلام قال : «كان نقش خاتم أبي : القوّة للّه جميعاً» (1).

وعنه عليه‌السلام قال : «كان في خاتم أبيمحمدبن علي ، وكان خيرمحمديرأيته بعيني : العزّة للّه جميعاً» (2). وروي أنّ نقش خاتمه عليه‌السلام : ربّ لاتذرني فرداً (3).

## شعراؤه :

جاء في تراجم الإمام الباقر عليه‌السلام أنّ الشعراء الذين يتواصلون مع الإمام الباقر عليه‌السلام هم : الكميت الأسدي ، والورد أخو الكميت ، وكثير عزّة ، ووجدت أنّ من الشعراء الذين عاصروه وأنشده بعضهم : أبو هريرة العجلي ، والشاعر الحجازي مالك بن أعين الجهني ، وسديف بن مهران بن ميمون المكّي.

وعدّ الشبلنجي من شعراء الإمام الباقر عليه‌السلام السيد الحميري (4) ، غير أنّ السيّد الحميري ، وإن كان من شعراء أهل البيت : ، لكنّه أكثر اختصاصاً بالإمام الصادق عليه‌السلام كما يبدو من أخباره ، لأنّه أدرك الإمام الباقر عليه‌السلام وعمره نحو تسع سنين ، حيث ولد سنة 105 هـ ، وتوفّي الإمام الباقر عليه‌السلام سنة 114 هـ.

ولا ريب أنّ اتّصال أكثر من شاعر بالإمام الباقر عليه‌السلام ، يعني أنّه لم يهمل دور الشعر في إيصال ما يريد من أفكار واعتقادات ، ولم يترك أُسلوباً يتيح له التواصل بالأُمّة وإيصال رسالته العلمية والإصلاحية إلاّ وسلكه ، ولعلّ قراءة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) حلية الأولياء / أبو نعيم 3 : 186 ، تاريخ دمشق 45 : 277 ، كشف الغمة 2 : 344.

(2) قرب الإسناد : 72 ، التهذيب 1 : 31 / 22 ، الاستبصار 1 : 48 / 2 ، دلائل الإمامة : 216 ، مصباح الكفعمي : 522 ، بحار الأنوار 46 : 223.

(3) نور الأبصار : 159 ، سبائك الذهب : 329 ، أخبار الدول 1 : 332.

(4) نور الأبصار : 157.

آثار بعض الشعراء الذين اتّصلوا بالأئمّة : كالكميت الأسدي والسيد الحميري وكثير عزّة والفرزدق وغيرهم ، تبيّن حجم المحتوى الفكري والتعبيري للشعر ، وأنّه احدى وسائل الإيصال الفكري المهمّة لعقائد الإسلام فضلاً عمّا يشتمل عليه من عناصر الجمال والإبداع.

وسوف نذكر أهمّ الشعراء الذي عُدّوا من شعرائه عليه‌السلام مع بيان اليسير من قصائدهم وأبياتهم ، كالآتي :

### 1 ـ الكميت الأسدي :

عن زرارة قال : أنّ الكميت أنشد الإمام أبا جعفر الباقر عليه‌السلام قصيدته التي مطلعها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| من لقلب متيّم مستهام  |  | غير ما صبوة ولا أحلام  |

 فقال أبو جعفر عليه‌السلام : «لا تزال مؤيّدا بروح القدس ما دمت تقول فينا (1).

ثم توجّه الإمام عليه‌السلام إلى الكعبة فقال : اللّهمّ ارحم الكميت واغفر له ، ثلاث مرّات. ثم قال : يا كميت ، هذه مائة ألف ، قد جمعتها لك من أهل بيتي. فقال الكميت : لا واللّه لا يعلم أحد أنّي آخذ منها حتّى يكون اللّه عزّوجلّ الذي يكافيني ، ولكن تكرمني بقميص من قمصك ، فأعطاه» (2).

وروى جابر الجعفي أنّ الكميت قال للإمام الباقر عليه‌السلام : «يا سيدي ، واللّه ما أنشدك طلباً لعرض من الدنيا ، وما أردت بذلك إلاّ صلة رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وما أوجبه اللّه علي من حقّكم. فدعا له أبو جعفر عليه‌السلام» (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال الكشي : 208 / 366 ، إعلام الورى 1 : 509.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 329.

(3) دلائل الإمامة : 224 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 321.

وروى الخزّاز في حديث أنّ الكميت دخل على أبي جعفر الباقر عليه‌السلام في أيّام الحجّ فأنشده :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أضحكني الدهر وأبكاني  |  | والدهر ذو صرف وألوان  |
| لتسعة بالطفّ قد غودروا  |  | صاروا جميعاً رهن أكفان  |
| وستّة لا يتجارى بهم  |  | بنو عقيل خير فرسان  |
| ثمّ علي الخير مولاهم  |  | ذكرهم هيّج أحزاني  |

 فبكى الباقر عليه‌السلام وبكى أبو عبد اللّه عليه‌السلام ، فلمّا بلغ إلى قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| من كان مسروراً بما مسّكم  |  | أو شامتاً يوماً من الآن  |
| فقد ذللتم بعد عزّ فما  |  | أدفع ضيماً حين يغشاني  |

 أخذ بيده ثم قال : اللّهمّ اغفر للكميت ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فلمّا بلغ إلى قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| متى يقوم الحقّ فيكم متى  |  | يقوم مهديكم الثاني  |

 قال : سريعاً إن شاء اللّه سريعاً. ثم قال : يا أبا المستهل ، إنّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين ، لأنّ الأئمّة بعد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم اثنا عشر ، الثاني عشر هو القائم.

قال : فمتى يخرج يا بن رسول اللّه؟ قال : لقد سئل رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن ذلك فقال : إنّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلاّ بغتة (1).

وممّا يدلّ على صدق ولاء الكميت وشدّة تعلّقه بأهل البيت : ، قصيدته العينية التي أنشدها الإمام الباقر عليه‌السلام حين وفد إليه ، وهي تتضمّن ذكر النص على خلافة علي عليه‌السلام بعد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوم غدير خم ، يقول فيها :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كفاية الأثر : 248.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نفى عن عينك الأرق الهجوعا |  | وهم يمتري منها الدموعا  |
| دخيل في الفؤاد يهيج سقماً  |  | وحزناً كان من جذل منوعا  |
| وتوكاف الدموع على اكتئاب  |  | أحل الدهر موجعه الضلوعا  |
| لفقدان الخضارم من قريش  |  | وخير الشافعين معاً شفيعا  |
| لدى الرحمن يصدع بالمثاني  |  | وكان له أبو حسن قريعا  |
| وأصفاه النبي على اختيار  |  | بما أعيى الرفوض له المذيعا  |
| ويوم الدوح دوح غدير خم  |  | أبان له الولاية لو أطيعا  |
| ولكن الرجال تبايعوها  |  | فلم أرَ مثلها خطراً مبيعا  |
| فلم أبلغ بها لعناً ولكن  |  | أساء بذاك أولهم صنيعا  |
| فصار بذاك أقربهم لعدل  |  | إلى الجور وأحفظهم مضيعا  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا  |  | وأقومهم لدى الحدثان ريعا  |
| تناسوا حقّه وبغوا عليه  |  | بلا ترة وكان لهم قريعا  |
| فقل لبني أُمية حيث حلّوا  |  | وإن خفت المهند والقطيعا  |
| ألا أفٍ لدهر كنت فيه  |  | هدانا طائعاً لكم مطيعا  |
| أجاع اللّه من أشبعتموه  |  | وأشبع من بجوركم أجيعا (1)  |

 وذكر المؤرّخون أنّ الإمام أبا جعفر عليه‌السلام لما سمع هذه القصيدة قال : اللّهمّ أكف الكميت ، وأخذ يكرّرها ثلاثاً.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الهاشميات : 79 ، شرح الهاشميّات لأبي رياش القيسي : 197 ، كنز الفوائد 1 : 233 ، كشف الغمّة 1 : 50 ، الغدير 2 : 180.

### 2 ـ الورد بن زيد الأسدي :

وهو أخو الكميت ، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الباقر عليه‌السلام (1) ، وأنشد الإمام أبا جعفر الباقر عليه‌السلام حين وفد عليه قصيدة ، عبّر فيها عن حبّه وولائه له ، يقول فيها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كم جزت فيك من أحواز وأيفاع (2)  |  | وأوقع الشوق بي قاعا إلى قاعِ  |
| ياخير من حملت أُنثى ومن وضعت  |  | به إليك غدا سيري وإيضاعي (3)  |
| أما بلغتك فالآمال بالغة  |  | بنا إلى غاية يسعى لها الساعي  |
| من معشر شيعة للّه ثم لكم  |  | صور (4) إليكم بأبصارٍ وأسماعِ  |
| وعاة أمر ونهي عن أئمّتهم  |  | يوصي بها منهم واع إلى واعِ  |
| لا يسأمون دعاء الخير ربّهم  |  | أن يدركوا فيلبّوا دعوة الداعِ  |

 وأظهر فيها حسن اعتقاده بالغيبة ، وعبّر عن لسان الغيب الذي سمعه من رواة أهل البيت الثقات ، فذكر الوليد بسامراء قبل بنائها ، ويريد به الإمام الثاني عشر من أهل البيت : ، يواصل القول فيها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| متى الوليد بسامرا إذا بنيت  |  | يبدو كمثل شهاب الليل طلاعِ  |
| حتى إذا قذفت أرض العراق به  |  | إلى الحجاز أناخوه بجعجاعِ (5)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال الشيخ : 317.

(2) الأحواز : جمع حوزة ، الناحية. الأيفاع جمع يَفاع : وهو المرتفع من الأرض.

(3) أوضعت الناقة إيضاعا : أسرعت في سيرها.

(4) صُور : جمع أصْوَر ، وهو المائل العنق ، يقال : صار عنقه إليه : أي أقبل به عليه.

(5) الجعجاع : المكان الضيّق ، والمُناخ السَّيء الذي لا يقرّ فيه صاحبه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وغاب سبتا (1) وسبتا من ولادته  |  | مع كل ذي جوبٍ (2) للأرض قطّاعِ  |
| لا يسأمون به التجواب قد تبعوا  |  | أسباط هارون كيل الصاع بالصاعِ  |
| شبيه موسى وعيسى في مغابهما  |  | لو عاش عمريهما لم ينعه ناعِ  |
| تتمّة النقباء المسرعين إلى  |  | موسى بن عمران كانوا خير سراعِ  |
| أو كالعيون التي يوم العصا انفجرت  |  | فانصاع منها إليه كل منصاعِ (3)  |
| إنّي لأرجو له رؤيا فأدركه  |  | حتى أكون له من خير أتباعِ  |
| بذاك أنبأنا الراوون عن نفر  |  | منهم ذوي خشية للّه طواعِ  |
| روته عنكم رواة الحقّ ما شرعت  |  | آباؤكم خير آباء وشرَّاعِ (4)  |

###  3 ـ كثير عزّة :

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني ، من فحول الشعراء ومتقدّميهم ، ينسب إلى عزّة امرأة أحبّها وشبّب بها ، روي أن الإمام الباقر عليه‌السلام شيّعه ورفع جنازته بيده الشريفة وعرقه يجري ، وكان يعد من أصحابه ، غير أنّه كان على مذهب الكيسانية ، كما هو واضحٌ من قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا إن الأئمّة من قريش  |  | ولاة الحقّ أربعة سواءُ  |
| عليٌّ والثلاثة من بنيه  |  | هم الأسباط ليس بهم خفاءُ  |
| فسبط سبط إيمان وبر  |  | وسبط غيّبته كربلاءُ  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) السبت : الدهر أو برهة منه.

(2) الجوب : القطع. يقال : جاب الأرض جوبا وتجوابا : قطعها سيرا.

(3) انصاع : تفرَّق.

(4) مقتضب الأثر / ابن عياش الجوهري : 46 ، وبعض المصادر تنسبها إلى الكميت.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وسبط لا يذوق الموت (1)  |  | حتّى يقود الخيل يقدمها اللواءُ  |
| يغيبُ فلا يرى منهم (2) زمانا  |  | برضوى (3) عنده عسل وماءُ (4)  |

ورغم اعتقاده الكيساني إلاّ أنّه كان على مودّة من الإمام الباقر عليه‌السلام ، يدلّ عليه ما رواه السيد المرتضى أنّ رجلاً نظر إلى كثير وهو راكب ، والإمام أبو جعفر عليه‌السلام يمشي ، فأنكر عليه ذلك وقال له : أتركب وأبو جعفر يمشي؟! فأجابه كثير قائلاً : هو أمرني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب ، أفضل من عصياني إيّاه بالمشي (5).

ويبدو أنّ كثيراً لم يكن جادّاً في مدح بني أمية ، ولا مؤمناً بما يقوله فيهم ، روى المرزباني عن أبي عبد الرحمن الخزاعي ، قال : إنّ الباقر عليه‌السلام قال له : «تزعم أنّك من شيعتنا وتمدح آل مروان؟!» فقال : إنّما أسخر منهم ، وأجعلهم حيّات وعقارب ، وآخذ أموالهم ، ألم تسمع إلى قولي في عبد العزيز بن مروان :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكنت عتبت معتبة فلجت  |  | بي الغلواء في سنن العتاب  |
| فما زالت رقاك تسل ضغني  |  | وتخرج من مكامنها ضبابي  |
| ويرقيني لك الراقون حتّى  |  | أجابك حيّة تحت الحجاب  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) في الأغاني : وسبطٌ لا تراه العينُ.

(2) في الأغاني والشعر والشعراء : تغيَّبَ لا يُرى عنهم ، وفي إكمال الدين : يغيب فلا يُرى عنّا.

(3) رضوى : جبل بالمدينة ، وهو الجبل الذي تزعم الكيسانية أنَّ محمّد بن الحنفية مقيم به حي يرزق. معجم البلدان 3 : 51.

(4) المقالات والفرق : 29 ، شرح ديوان كثير 2 : 186 ، الأغاني 8 : 31 ، الشعر والشعراء : 350 ، إكمال الدين : 32 ، تذكرة الخواص : 293 ، الفصول المختارة : 242.

(5) الأمالي / السيد المرتضى 1 : 204.

قال : فقال له عبد الملك بن مروان : ما مدحك إنّما جعلك راقياً للحيّات ، قال : فذكر عبد العزيز ذلك لي ، قلت : واللّه لأجعلنّه حيّة ، ثمّ لا ينكر ذلك ، فقلت له :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يقلب عيني حيّة بمجارة  |  | أضاف إليها الساريات سبيلها  |
| يصيد ويغضي وهو ليث خفية  |  | إذا أمكنته عدوة لا يقيلها  |

 قال : فأجزل لي عبد الملك الصلة (1).

وذكر ابن شهر آشوب أنّ الإمام الباقر عليه‌السلام قال لكثير : امتدحت عبد الملك؟ فقال : ما قلت له يا إمام الهدى ، وإنّما قلت يا أسد والأسد كلب ، ويا شمس والشمس جماد ، ويا بحر والبحر موات ، ويا حية والحية دويبة منتنة ، ويا جبل وإنّما هو حجر أصمّ. قال : فتبسّم عليه‌السلام (2).

### 4 ـ مالك بن أعين الجهني :

شاعر حجازي سكن الكوفة ، له أبيات في مدح أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، ومثلها في رثاء جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام (3) ، وعدّه الشيخ من أصحاب الإمام الباقر عليه‌السلام (4) ، توفّي سنة 148 هـ ، وممّا قاله في الإمام الباقر عليه‌السلام :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا طلب الناس علم القرآ  |  | ن كانت قريش عليه عيالا  |
| وإن قيل أين ابن بنت النبي  |  | نلت بذاك فروعاً طوالاً  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مختصر أخبار شعراء الشيعة / المرزباني : 68.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 337.

(3) الأعلام / الزركلي 5 : 257.

(4) رجال الشيخ : 145.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نجوم تهلّل للمدلجين  |  | جبال تورث علماً جبالا (1)  |

### 5 ـ أبو هريرة العجلي :

عدّه ابن شهر آشوب في شعراء أهل البيت : المجاهرين (2) ، وأنشد الإمام محمد الباقر عليه‌السلام قصيدة تدلّ على متابعته وطاعته له ، ورصده الحديث الصحيح وتمييزه عمّن سواه ممّا يحدثه المبتدعة أمثال المغيرة بن سعيد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبا جعفر أنت الولي أحبّه  |  | وأرضى بما ترضى به وأتابع  |
| أتتنا رجال يحملون عليكم  |  | أحاديث قد ضاقت بهنّ الأضالع  |
| أحاديث أفشاها المغيرة فيهم  |  | وشرّ الأُمور المحدثات البدائع (3)  |

# بوّابه :

بوّابه : جابر بن يزيد الجعفي (4).

# أولاده:

المشهور بين المؤرّخين والمحدّثين ورجال النسب أنّ للإمام الباقر عليه‌السلام سبعة أولاد ، خمسة ذكور وابنتان ، وهم : أبو عبد اللّه جعفر الصادق عليه‌السلام ويُكنّى به ، وعبد اللّه ، وأُمّهما أُم فروة بنت القاسم ، وإبراهيم وعبيد اللّه درجا (5) ، أُمّهما أُم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية ، وعلي وزينب ، لأُم ولد ، وأُم سلمة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) معجم الشعراء / المرزباني : 268 ، الإرشاد 2 : 157 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 335 ، روضة الواعظين : 207 ، تاريخ دمشق 45 : 271 ، عمدة الطالب : 195.

(2) معالم العلماء : 183.

(3) عيون الأخبار / ابن قتيبة 2 : 151 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 341.

(4) تاريخ أهل البيت : : 148 ، دلائل الإمامة : 217 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، مصباح الكفعمي : 522 ، التتمّة في تاريخ الأئمة : : 96.

(5) درج الرجل : إذا مات ولم يخلف نسلاً ، ويقال : درج في حياته ، إذا مات.

لأُم ولد.

وهناك اختلاف في اللذين درجا ، فروي : عبيد اللّه وعلي ، ويوجد اختلاف في ترتيبهم على الأُمّهات ، فقيل : علي وأُم سلمة وزينب من أُم ولد ، وقيل : زينب لأُم ولد أُخرى.

وهناك اختلاف في العدد أيضاً ، فمنهم من ذكر تسعة ، ستّة ذكور وهم : جعفر الصادق عليه‌السلام وعبد اللّه وعلي وزيد وعبيد اللّه وإبراهيم ، وثلاث بنات ، وذكر منهنّ : زينب وأُم سلمة ، ولم يذكر الثالثة.

وقيل : خلّف ثمانية ، ستّة ذكور وبنتان ، فأضاف إلى الذكور المذكورين أولاً أحمد.

وقيل : خلف ستّة ، أربعة ذكور وبنتان ، فأسقط من المذكورين عبيد اللّه ، وجعل بعضهم أُم سليمان بدل أُم سلمة.

ومنهم من ذكر أربعة من الذكور ، وثلاث بنات ، وهم : جعفر الصادق عليه‌السلام وعبد اللّه وإبراهيم وعبيد اللّه ، وأُم سليمان وزينب وواحدة غير مشهورة.

وقيل له خمسة اولاد ، أربعة ذكور وبنت ، وهم : جعفر الصادق عليه‌السلام وعلي وعبد اللّه وإبراهيم وأُم سلمة.

وقيل : له أربعة أولاد ، ثلاثة ذكور وبنت ، وهم : جعفر الصادق عليه‌السلام وعبد اللّه وإبراهيم وأُم سلمة ، واسمها زينب.

أما العقب ، فذكر بعضهم أنّ عقبه في اثنين من الذكور فقط ، وهما جعفر الصادق عليه‌السلام وعبد اللّه ، وقيل : العقب من جعفر الصادق عليه‌السلام فقط (1).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : تاريخ أهل البيت : : 104 ، الطبقات الكبرى 5 : 246 ، جمهرة أنساب

وعدّا الذين ذكرناهم من أولاد الإمام الباقر عليه‌السلام ، هناك بعض المصادر تكاد تنفرد بذكر أسماء أو مزارات ومشاهد ادُّعي أنّها منسوبة إلى أولاد صلبيين للإمام الباقر عليه‌السلام ، ولم تذكرهم المصادر المشهورة ، ومنهم زيد بن الإمام محمد الباقر عليه‌السلام ، عدّه العمري من أولاد الثقفية ، وذكر أنّه درج مع أشقائه عبيد اللّه وإبراهيم (1). ومنهم آمنة بنت الإمام الباقر عليه‌السلام ، قال ياقوت : بين مصر والقاهرة مشهد يقال : إنّ فيه قبر آمنة بنت محمد الباقر (2). وخديجة بنت الإمام الباقر عليه‌السلام ، فقد عدّها الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الباقر عليه‌السلام (3) ، وذكر العمري أنّها أُم يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد (4). وفيما يلي نذكر بعض أخبار أولاد الإمام الباقر عليه‌السلام.

### 1 ـ أبو عبد اللّه جعفر الصادق عليه‌السلام :

وكان من بين اخوته سيد ولد أبيه ، وخليفته ووصيه ، والإمام القائم بالإمامة من بعده ، ولد عليه‌السلام في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة 83 هـ ، وهو اليوم الذي وُلد فيه جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فكان ذلك إيذاناً بإحياء السنّة ونشر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المجدي : 94.

(2) معجم البلدان 5 : 142.

(3) رجال الشيخ : 102.

(4) المجدي : 166.

الحديث على يديه ، فأقام الإسلام على أُصوله الأولى وأُسسه الثابتة التي أوشكت على الانهيار في ظلّ البلاطين الأُموي والعباسي ، قيل فيه : ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات (1). والحديث عن علمه وزهده وتقواه ومنزلته لا يحيط به محيط ، ولا يقف على متناه إلاّ اللّه.

### 2 ـ عبد اللّه بن محمد الباقر عليه‌السلام :

وهو شقيق الإمام الصادق عليه‌السلام ، أُمّهما أُم فروة ، وهو أكبر اخوته بعد الصادق عليه‌السلام ، وقد توفّي شهيداً ، سقاه السمّ أحد رجال بني أُمّية.

روى أبو الفرج الأصفهاني وغيره بالإسناد عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبيه ، قال : دخل عبد اللّه بن محمد بن علي بن الحسين : على رجل من بني أُمّية ، فأراد قتله ، فقال له عبد اللّه : لا تقتلني أكن للّه عليك عيناً ، ولك على اللّه عوناً (2). فقال : لست هناك (3). وتركه ساعة ، ثم سقاه سُمّاً في شراب سقاه إيّاه فقتله (4).

قال الشيخ المفيد : وكان عبد اللّه عليهما‌السلام يشار إليه بالفضل والصلاح (5). وتدلّ أخبار سيرته على موالاته لأخيه الصادق عليه‌السلام ، لكن ذكر في بعض المصادر أنّه ادّعى الإمامة لنفسه ، وكان على خلاف مع أخيه الإمام الصادق عليه‌السلام ، وما لبث

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الملل والنحل / الشهرستاني 1 : 147.

(2) يريد بذلك أنه ممن يشفع إلى اللّه فيشفعه.

(3) أي لست أهلاً للشفاعة.

(4) مقاتل الطالبيين : 109 ، شرح شافية أبي فراس / ابن أمير الحاج : 155 ، الإرشاد 2 : 176.

(5) الإرشاد 2 : 176.

عبد اللّه إلاّ يسيراً حتّى مات (1) ، من هنا سمّاه بعضهم الأفطح ، وعدّه من أولاد الباقر عليه‌السلام (2) ، مع أنّه لم يدّعِ أحد من أولاد الباقر عليه‌السلام الإمامة ، ولا ادّعاها أحد لهم ، قال الشيخ المفيد : ولم يعتقد في أحد من ولد أبي جعفر عليه‌السلام الإمامة إلاّ في أبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام خاصّة (3).

ويبدو أنّ منشأ هذا الوهم هو الخلط بين عبد اللّه الأفطح ابن الإمام الصادق عليه‌السلام ، وعبد اللّه بن الإمام الباقر عليه‌السلام ، وعبد اللّه الأفطح هو الذي ادّعى الإمامة بعد أبيه الإمام الصادق عليه‌السلام ، وكان متّهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد ، وكان يخالط الحشوية ، ويميل إلى مذاهب المرجئة ، وادّعى بعد أبيه الإمامة ، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد اللّه عليه‌السلام ، ثم رجعوا بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى عليه‌السلام لمّا تبيّنوا ضعف دعواه ، وقوّة أمر أبي الحسن عليه‌السلام ، ودلالة حقّه وبراهين إمامته (4).

### 3 ـ أُم سلمة بنت محمد الباقر عليه‌السلام :

أُمّها أُم ولد ، وذكر بعضهم أنّها البنت الوحيدة للإمام الباقر عليه‌السلام ، وأنّ اسمها زينب ، وكنيتها أم سلمة (5). رُوي أنّها كانت عند ابن عمّها محمد بن عبد اللّه بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي يقال له الأرقط ، فولدت له إسماعيل (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كشف الغمّة 2 : 349 ، عن كتاب الدلائل للحميري.

(2) راجع : مناقب آل أبي طالب 3 : 339.

(3) الإرشاد 2 : 176.

(4) الإرشاد 2 : 211 ، بحار الأنوار 48 : 299.

(5) تاج المواليد : 118.

(6) نسب قريش / الزبيري : 63 ، المجدي : 94.

### 4 ـ زينب بنت محمد الباقر عليه‌السلام :

أُمّها وأُم شقيقها علي أُم ولد ، وقيل : إنّ أُم زينب أُم ولد أُخرى غيرها ، قيل : إنّها كانت عند عبيد اللّه بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثم خلف عليها عبيد اللّه بن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن عمر بن علي أبي طالب ، فولدت له محمداً والعباس ومحمداً الأصغر وخديجة وفاطمة وأُم حسن (1).

# اُخوته :

المشهور أنّ له من الأخوة عشرة وهم : الحسن ، والحسين الأصغر ، والحسين الأكبر ، وزيد الشهيد ، وسليمان ، وعبد الرحمن ، وعبد اللّه ، وعلي وكان أصغر أخوته ، وعمر ، ومحمد الأصغر ، وأربع أخوات ، وهن : أُم كلثوم ، وخديجة ، وعلية وكنيتها أُم علي ، وفاطمة.

وهناك تفاوت في عدد الأخوة والأخوات ، فقيل : كان له أربعة أخوة ، وقيل : سبعة ، وقيل : ثمانية ، ولم يكن له أخت ، وقيل : كان له تسعة أخوة وأربع أخوات ، وقيل : له عشرة أخوة ، وسبع أخوات ، وقيل : له عشرة أخوة ، وتسع أخوات ، وهن : أُم الحسن ، وأُم موسى ، وكلثوم ، وعبدة ، ومليكة ، وعلية ، وفاطمة ، وسكينة ، وخديجة ، وهناك تفاوت في الأسماء فعدّوا : القاسم ، وعبيد اللّه ، وأُم البنين ، من أخوته (2).

أما من حيث فضلهم ومنزلتهم ، فقد ذكر الشيخ المفيد أنه كان لكل واحد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) نسب قريش / الزبيري : 63.

(2) تاريخ اليعقوبي 2 : 304 ، الإرشاد 2 : 155 ، تاج المواليد : 38 ، العدد القوية / رضي الدين الحلي : 316 ، تاريخ دمشق 45 : 271 ، النجوم الزاهرة / ابن تغرى 1 : 273 ، المجدي : 93 ، عمدة الطالب : 194.

من أخوة الباقر عليه‌السلام فضل ، وإن لم يبلغوا فضله ، لمكانه من الإمامة ، ورتبته عند اللّه في الولاية ، ومحلّه من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في الخلافة (1).

ويعزّز ذلك ما رواه السيد المرتضى عن أبي الجارود زياد بن المنذر ، أنّه سأل الإمام الباقر عليه‌السلام : أيُّ أخوتك أحبّ إليك؟ فقال : أما عبد اللّه فيدي التي أبطش بها ، وأما عمر فبصري الذي أبصر به ، وأما زيد فلساني الذي أنطق به ، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (2). وفيما يلي نذكر بعض أخبار أخوة الإمام الباقر عليه‌السلام.

### 1 ـ زيد الشهيد عليه‌السلام :

أبو الحسين العلوي ، ولد سنة 78 هـ ، وأُمّه أُم ولد اسمها حورية ، أو حوراء ، اشتراها المختار الثقفي ، وأهداها إلى الإمام علي بن الحسين عليهما‌السلام ، فولدت له زيداً وعمر وعلياً وخديجة ، وقد اشتهر زيد عليهما‌السلام بالعلم والشجاعة والنسك وغير ذلك من الفضائل.

يقول عاصم بن عبيد العمري : رأيته وهو شاب بالمدينة يذكر اللّه فيغشى عليه ، حتّى يقول القائل : ما يرجع إلى الدنيا. وكان يعرف عند أهل المدينة بحليف القرآن ، وكان زيد من علماء عصره البارزين في الحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب وعلم الكلام ، وله آثار شاخصة إلى اليوم في حقول علمية مختلفة.

كانت إقامته بالكوفة والمدينة ، وأمر هشام بن عبد الملك لعنة اللّه عليه بإشخاصه إلى الشام ، فحجبه عنه وضيّق عليه مبالغة في إذلاله ، وحبسه خمسة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الإرشاد 2 : 168.

(2) الناصريات : 64.

أشهر ، ثم أطلقه بعد جدال بينهما ، فعاد إلى الكوفة وكلّه عزم على الثورة والمناهضة للجور والباطل والاستبداد في أُمور المسلمين ، فاجتمع إليه غالب أهلها ، وبايعوه على قتال الأُمويين ، والدعوة إلى كتاب اللّه ، وسنّة نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، والعدل في قسمة الفيء ، وردّ المظالم ، ونصرة أهل الحقّ. وكان في المبايعين الفقهاء والقضاة وأعلام الفكر والأدب ، فظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويطالب بثارات الحسين عليه‌السلام ، ويدعو إلى الرضا من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ثم أنّهم نقضوا بيعته وأسلموه ، فقُتل عليه‌السلام وصلب منكوساً في سوق الكناسة أربع سنين ، ونصب رأسه الشريف على باب دمشق ، ثم في المدينة ومصر ، ولمّا قُتل حزن له الإمام أبو عبد اللّه الصادق عليه‌السلام حزناً عظيماً حتّى بان عليه ، وفرّق من ماله على عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار ، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة120 هـ وكانت سنّه يومئذ اثنتين وأربعين سنة ، وقيل : كان ذلك في المحرم سنة122 هـ ، فسلام عليه يوم وُلد ويوم جاهد ويوم استُشهد ويوم يُبعث حيّاً (1).

### 2 ـ الحسين بن علي عليه‌السلام :

وكان الحسين بن علي بن الحسين عليهما‌السلام فاضلاً ورعاً ، روى حديثاً كثيراً عن أبيه علي بن الحسين ، وعمّته فاطمة بنت الحسين ، وأخيه أبي جعفر عليه‌السلام.

روى أحمد بن عيسى عن أبيه ، قال : كنت أرى الحسين بن علي بن الحسين يدعو ، فكنت أقول : لا يضع يده حتّى يُستجاب له في الخلق جميعاً.

وعن سعيد صاحب الحسن بن صالح ، قال : لم أرَ أحداً أخوف من الحسن ابن صالح ، حتى قدمت المدينة ، فرأيت الحسين بن علي بن الحسين عليهما‌السلام ، فلم أرَ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ذكرنا مصادر ترجمته في الفصل الأول.

أشدّ خوفاً منه ، كأنّما أدخل النار ثمّ أُخرج منها لشدّة خوفه (1).

### 3 ـ عبد اللّه بن علي عليه‌السلام :

وهو شقيق الإمام الباقر عليه‌السلام لأُمّه وأبيه ، لُقِّب بالباهر لجماله وحسنه ، وكان يلي صدقات رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وصدقات أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وهو من مفاخر أبناء الأئمّة الطاهرين في العلم والورع والتقوى والفضل ، وكان من فقهاء أهل البيت : ، روى عن آبائه عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أخباراً كثيرة ، وحدّث الناس عنه وحملوا عنه الآثار ، كما روى مرسلاً عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وعن جدّه لأُمِّه الإمام الحسن عليه‌السلام ، وروى عنه عمارة بن غزية ، وموسى بن عقبة ، وعيسى بن دينار ، ويزيد بن أبي زياد ، وهو ثقة مشهور عند العامة أخرج له الترمذي والحاكم (2).

### 4 ـ عمر بن علي عليه‌السلام :

وأُمّه أُم ولد ، وكان فاضلاً جليلاً ورعاً سخياً ، لُقِّب بالأشرف ، لما له من شرف وفضيلة في الحسب ومحاسن الأخلاق ، وكان من العلماء الأفاضل ، عدّه الشيخ من أصحاب أخيه الإمام الباقر عليه‌السلام ، وقد روى عن أبيه ، وروى عنه فطر ابن خليفة ، وتولّى صدقات النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وصدقات أمير المؤمنين عليه‌السلام.

ومن أخبار جوده وسخائه ما رواه الحسين بن زيد ، قال : رأيت عمّي عمر ابن علي بن الحسين يشرط على من ابتاع صدقات علي عليه‌السلام أن يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة ، ولا يمنع من دخله أن يأكل منه.

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الإرشاد 2 : 174 ، عمدة الطالب 2 : 29.

(2) الإرشاد 2 : 169 ، عمدة الطالب 2 : 127 ، تهذيب التهذيب 5 : 324.

الفصل الثالث

إمامته عليه السلام

الإمامة رئاسة عامّة في أُمور الدين والدنيا ، ولا تُنال إلاّ بتعيين من السماء ينصّ عليه النبي المرسل ، وذلك من تمام الدين وكمال النعمة ، ومن صلب واجب النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، الذي بعث رحمة للأنام ، ولجمع كلمتهم ، ونظم أمرهم ، ورفع أسباب الخلاف من بينهم ، فلا يصحّ أن يترك أمرهم بعده هملاً ، بل لا بدّ أن يبيّن لأُمّته من يأتمنه على دين اللّه تعالى ورسالاته ، ليقوم بأمرهم من بعده.

وقد أدّى المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أمانة ربّه حقّ الأداء ، وبلّغ رسالة ربّه تمام البلاغ ، فلم يفارق أُمّته حتّى أرشدهم إلى وليّ الأمر من بعده ، ونصّ على أخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه‌السلام في مناسبات عدّة ومواضع شتّى ، وقد تواترت النصوص بهذا عند المسلمين قاطبة. كما نصّ على أحد عشر إماما يكونون بعد علي : بأسمائهم وأوصافهم ، كما نصّ كلّ إمام على الإمام اللاّحق له ، وقد صحّت بذلك الأحاديث من طرق شتّى ، وتناقلتها نفائس كتب الحديث والمناقب والتاريخ وغيرها (1).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) من أهم المصادر التي أفردها العلماء لجمع تلك النصوص : إثبات النصّ على

ومن الأُمور التي يجب توفّرها في الإمام بعد ثبوت النصّ : العصمة والدلالة وسلامة النسب والنشأة والسبق في العلم والحكمة وسائر الفضائل ، ليكون أهلاً لهذه المنزلة ، وقطباً تلتف حوله الناس.

والإمام الباقركآبائه الأطهار : توفّرت فيه جميع الشروط المطلوبة في الإمام.

قال الشيخ المفيد : كان الباقر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين : من بين اُخوته خليفة أبيه علي بن الحسين ووصيّه والقائم بالإمامة من بعده ، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد والسؤدد ، وكان أنبههم ذكرا ، وأجلّهم في العامّة والخاصّة وأعظمهم قدرا. ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما‌السلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الأئمّة : للشيخ الصدوق ، (ت / 381 هـ ) ، كِفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر : ، للخزّاز ، مقتضب الأثر في النص على الأئمّة الاثني عشر : ، لابن عيَّاش الجوهري ، (ت / 401 هـ ) ، الاستنصار في النصّ على الأئمّة الأطهار : ، لأبي الفتح الكراجكي (ت / 449 هـ ) ، اتفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمّة الاثني عشر : ، لابن البطريق ، (ت / 600 هـ ) ، استقصاء النظر في إمامة الأئمّة الاثني عشر : ، لابن ميثم البحراني ، (ت / 679 هـ ) ، الإنصاف في النص على الأئمّة الاثني عشر من آل محمد الأشراف : ، للسيد هاشم البحراني ، (ت / 1107 هـ ) وغيرها.

ومن المصادر التي أفردت باباً لتلك النصوص : الكافي لثقة الإسلام الكليني (ت / 329 هـ ) ، والإمامة والتبصرة من الحيرة ، لابن بابويه القمي (ت / 329 هـ ) ، إثبات الوصيّة ، للمسعودي (ت / 346 هـ ) ، إكمال الدين ، للشيخ الصدوق (ت / 381 هـ ) ، الإرشاد ، للشيخ المفيد (ت / 413 هـ ) ، روضة الواعظين ، لابن الفتال النيسابوري ، الشهيد (سنة / 508 هـ ). إعلام الورى بأعلام الهدى ، للطبرسي ، (ت / 548 هـ ) ، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة : ، للإربلي ، (ت / 687 هـ ). بحار الأنوار ، للعلاّمة المجلسي (ت / 1111 هـ ).

من علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر عليه‌السلام ، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين ، وصار بالفضل به علماً لأهله تضرب به الأمثال ، وتسير بوصفه الآثار والأشعار.

وفيه يقول القرظي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا باقر العلم لأهل التّقى  |  | وخير من لبّى على الأجبل (1)  |

وقال مالك بن أعين الجهني فيه عليه‌السلام :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا طلب الناس علم القرا  |  | ن كانت قريش عليه عيالا  |
| وإن قيل أين ابن بنت النبي  |  | نلت بذاك فروعاً طوالا  |
| نجوم تهلّل للمدلجين  |  | جبال تورث علماً جبالا (2)  |

وإلى جانب تواتر النص عليه من أبيه ، ذكر بعض العلماء الدليل العقلي على إمامته المتعلّق بوجوب الإمامة عقلاً في كلّ زمان ، وعدم ادّعاء الإمامة في أيام أبي جعفر الباقر عليه‌السلام سواه ، فثبتت فيه ، لاستحالة خلوّ الزمان من إمام معصوم.

قال ابن شهر آشوب : الذي يدلّ على إمامته ما ثبت من وجوب الإمامة ، وكون الإمام معصوماً ومنصوصاً عليه ، وإن الحقّ لا يخرج من بين الاُمّة (3).

وقال الطبرسي : الدليل على إمامته ما قدّمناه بعينه في إمامة أبيه من اعتبار وجوب العصمة ، وبطلان قول كلّ من ادّعى حياة الأموات ، ودلائل العقول

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البيت في تاريخ دمشق 45 : 271 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 329 ، شرح الأخبار 3 : 281 ، روضة الواعظين : 207 ، وفيات الأعيان 4 : 174.

(2) الإرشاد / الشيخ المفيد 2 : 157 ، والأبيات تقدّم تخريجها.

(3) مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب 3 : 341.

أوكد من دلائل الأخبار لبعدها عن التأويل والاحتمال (1).

وفيما يلي نذكر أهم النصوص الدالّة على إمامته عليه‌السلام سواء التي وردت عن آبائه المعصومين : أو عن أبيه عليه‌السلام خاصة.

## أولاً : نصّ آبائه عليه : :

تواترت النصوص على الإمام الباقر عليه‌السلام عن جدّه المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وآبائه المعصومين : ، قال ابن شهرآشوب : ومما يدلّ على إمامته تواتر الإمامية بالنصوص عليه من أبيه وجدّه عليهما‌السلام ، وكذلك الأخبار الواردة من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على الأئمّة الاثني عشر إماماً إماماً ، ومن قال بذلك قطع على إمامته.

ومنها اعتبار طريق العصمة ، وغير ذلك (2).

وقال الشيخ الطبرسي : وأما طريقة التواتر ، فمثل ما ذكرناه فيما تقدّم ، فإن الشيعة قد تواترت خلفاً عن سلف إلى أن اتّصل نقلهم بالباقر عليه‌السلام أنّه نصّ على الصادق عليه‌السلام ، كما تواترت على أنّ أمير المؤمنين نصّ على الحسن ، ونصّ الحسن على الحسين : ، وكذلك كلّ إمام على الإمام الذي يليه ، ثم هكذا إلى أن ينتهي إلى صاحب الزمان عليه‌السلام (3).

وأمّا النصوص على إمامة الباقر عليه‌السلام المروية عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وآبائه المعصومين في جملة الاثني عشر : فكثيرة ، منها :

1 ـ خبر اللوح الذي هبط به جبرئيل على رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من الجنّة ، فأعطاه فاطمة 3 ، وفيه أسماء الأئمّة من بعده ، وكان فيه : محمد بن علي الإمام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) إعلام الورى بأعلام الهدى 1 : 500.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 315.

(3) إعلام الورى بأعلام الهدى 1 : 512.

بعد أبيه (1).

وهو في أعلى درجات الصحّة ورُوي من عدّة طرق معتبرة.

2 ـ وفيحديث عن أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «وقدأخبرنياللّه عزّوجلّ أنّه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك.

قلت : يا رسول اللّه ، ومن شركائي؟ فقال : الذين قرنهم اللّه بنفسه وبي ، فقال : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الاْءَمْرِ مِنْكُمْ» (2).

قلت : يا رسول اللّه ، سمِّهم لي. فقال : ابني هذا ، ووضع يده على رأس الحسن ، ثمّ ابني هذا ، ووضع يده على رأس الحسين ، ثمّ ابن له على اسمك يا عليّ ، ثمّ ابن له اسمه محمد بن عليّ. ثمّ أقبل على الحسين ، فقال : سيولد محمد بن علي في حياتك فأقرئه منّي السلام ، ثمّ تكملة اثني عشر إماماً.

قلت : يا نبيّ اللّه ، سمِّهم لي ، فسمّاهم رجلاً رجلاً ، منهم واللّه مهديّ هذه الأُمّة ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً» (3).

3 ـ وعن جابر بن عبد اللّه الأنصاري ، قال : قال لي رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «يا جابر ، إنّ أوصيائي وأئمّة المسلمين من بعدي أولهم علي ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ، ستدركه يا جابر ، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) إكمال الدين : 311 / 2 و 3 ، الإرشاد 2 : 159 ، إعلام الورى 1 : 501.

(2) سورة النساء : 4 / 59.

(3) الغيبة / النعماني : 80 / 10.

محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم القائم ، اسمه اسمي ، وكنيته كنيتي» (1).

وهذا من الأخبار المشهورة عن جابر.

4 ـ وعنه قال : لما أنزل اللّه عزّوجلّ على نبيّه محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الاْءَمْرِ مِنْكُمْ» (2) قلت : يا رسول اللّه ، عرفنا اللّه ورسوله ، فمن أولو الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟ فقال : «هم خلفائي يا جابر ، وأئمّة المسلمين من بعدي ، أولهم علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، والحسين ، ثم على بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر ، ستدركه يا جابر ، فإذا لقيته فاقرأة مني السلام ، ثمّ الصادق جعفر بن محمد ، ثمّ موسى بن جعفر ، ثمّ علي بن موسى ، ثمّ محمد بن علي ، ثمّ علي بن محمد ، ثمّ الحسن بن علي ، ثمّ سميّي وكنيّي حُجّة اللّه في أرضه ، وبقيّته في عباده» (3).

5 ـ وعن أبي سلمى راعي إبل رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وذكر حديث الإسراء وما جاء فيه من النصّ على الأئمّة الاثني عشر ، وفيه : «يا محمد ، أتحبّ أن تراهم؟ قلت : نعم يا رب. فقال لي : التفِتْ عن يمين العرش ، فالتفتُّ فإذا أنا بعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والمهدي ، في ضحضاح من نور قياما يصلّون ، وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنّه كوكب درّي. قال : يا محمد ، هؤلاء الحجج ، وهو الثائر من عترتك ، وعزّتي وجلالي انّه الحجّة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينابيع المودّة 3 : 398 ، كشف الغمّة 3 : 314.

(2) سورة النساء : 4 / 59.

(3) إكمال الدين : 253 / 3.

الواجبة لأوليائي ، والمنتقم من أعدائي» (1).

6 ـ ومثل ذلك ما روي : أنّ اللّه تعالى أنزل إلى نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كتاباً مختوماً باثني عشر خاتماً ، وأمره أن يدفعه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام ، ويأمره أن يفضّ أول خاتم فيه ويعمل بما تحته ، ثم يدفعه عند وفاته إلى ابنه الحسن عليه‌السلام ، ويأمره أن يفضّ الخاتم الثاني ويعمل بما تحته ، ثم يدفعه عند حضور وفاته إلى أخيه الحسين عليه‌السلام ، ويأمره أن يفضّ الخاتم الثالث ويعمل بما تحته ، ثم يدفعه الحسين عند وفاته إلى ابنه علي بن الحسين ، ويأمره بمثل ذلك ، ويدفعه علي بن الحسين عليهما‌السلام عند وفاته إلى ابنه محمد بن علي عليه‌السلام حتّى ينتهى إلى آخر الأئمّة : أجمعين (2).

7 ـ وجاء في وصية أمير المؤمنين علي إلى ولده الحسن عليهما‌السلام : «يا بني ، انّه أمرني رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أن أوصي إليك ، وأدفع إليك كتبي وسلاحي ، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه ، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين ، ثم أقبل على ابنه الحسين ، فقال : وأمرك رسول اللّه أن تدفعها إلى ابنك هذا ، ثم أخذ بيد علي بن الحسين ، وقال : وأمرك رسول اللّه أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي ، فأقرئه من رسول اللّه ومنّي السلام» (3).

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الأخرى التي لا مجال للاستطراد معها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مقتل الحسين عليه‌السلام / الخوارزمي 1 : 95 ، فرائد السمطين / الجويني 2 : 319 / 571.

(2) الإرشاد 2 : 159 ، إعلام الورى بأعلام الهدى 1 : 501.

(3) كتاب سليم : 444 ، الكافي 1 : 297 ، الفقيه / الصدوق 4 : 189 / 5433 ، التهذيب / الطوسي 9 : 176 / 714.

## ثانياً : نصّ أبيه عليه عليهما‌السلام :

في وقت عصيب تعرّض فيه التشيّع لأشرس الحملات التي استهدفت وحدته وكيانه وعقيدته ، اضطلع الإمام علي بن الحسين عليهما‌السلام بالوصية لولده محمد الباقر عليه‌السلام بالإمامة في ملأ من أولاده وخواصّ شيعته ، وسلّم إليه بعد ذلك الاسم الأعظم ومواريث الأنبياء ، فيكون بذلك قد هيّأ أحد الأدوات المهمّة لتثبيت الإمامة وضمان استمرارها ، واستطاع توحيد الصفوف واستعادة القوى لتهيئة الأرضية المناسبة لنشوء مدرسة أهل البيت على يد الصادقين من ولـده :.

وقد روى النص عنه عليه‌السلام : جابر بن عبد اللّه الأنصاري عليهما‌السلام ، وولداه الحسين وعمر ، وأبو خالد الكابلي ، وأبو حمزة الثمالي ، ومالك بن أعين الجهني ، وعثمان بن خالد عن أبيه ، وفيما يلي نعرض أهم النصوص الواردة عن أبيه عليه‌السلام في النص عليه والإشارة إليه بالإمامة من بعده.

1 ـ عن أبي خالد الكابلي قال : «دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه‌السلام فقلت له : يا سيدي ، روي لنا عن أمير المؤمنين علي عليه‌السلام أن الأرض لا تخلو من حجّة للّه عزّوجلّ على عباده ، فمن الحجّة والإمام بعدك؟ قال : ابني محمد ، واسمه في التوراة باقر ، يبقر العلم بقراً ، هو الحجّة والإمام بعدي ، ومن بعد محمد ابنه جعفر ، واسمه عند أهل السماء الصادق» (1).

2 ـ وعن جابر بن عبد اللّه الأنصاري أنّه دخل على زين العابدين عليه‌السلام فرأى عنده غلاماً فقال له : «أقبل فأقبل ، فقال له : أدبر فأدبر ، فقال جابر : شمائل رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ثمّ قال لزين العابدين عليه‌السلام : من هذا؟ قال : ابني ووصيي

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) إكمال الدين : 319 / 2 ، علل الشرائع / الصدوق 1 : 234.

وخليفتي من بعدي ، اسمه محمد الباقر. فقام جابر وقبّل رأسه ورجليه ، وأبلغه سلام جدّه وأبيه عليه‌السلام» (1).

4 ـ وعن مالك بن أعين الجهني ، قال : «أوصى علي بن الحسين عليهما‌السلام ابنه محمد ابن علي عليهما‌السلام فقال : بني ، إنّي جعلتك خليفتي من بعدي ، لا يدّعي فيما بيني وبينك أحد إلاّ قلّده اللّه يوم القيامة طوقاً من النار ، فاحمد اللّه على ذلك واشكره» (2).

5 ـ وعن عثمان بن خالد ، عن أبيه ، قال : «مرض علي بن الحسين عليهما‌السلام مرضه الذي توفّي فيه ، فجمع أولاده محمد والحسن وعبد اللّه وعمر وزيد والحسين ، وأوصى إلى ابنه محمد ، وكنّاه بالباقر ، وجعل أمرهم إليه» (3).

6 ـ وعن عمر بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين عليه‌السلام ، قال : «كان يقول : ادعوا لي ابني الباقر ، فقلت له : يا أبه ، ولِمَ سمّيته الباقر؟ قال : فتبسّم ، وما رأيته تبسّم قبل ذلك ، ثم سجد للّه تعالى طويلاً ، فسمعته يقول في سجوده : اللّهمّ لك الحمد سيدي على ما أنعمت به علينا أهل البيت ، يعيد ذلك مراراً ، ثم قال : يا بني ، إنّ الإمامة في ولده إلى أن يقوم قائمنا ، فيملأها قسطاً وعدلاً ، وأنّه الإمام أبو الأئمّة ، معدن الحلم وموضع العلم يبقره بقراً ، واللّه لهو أشبه الناس برسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم» (4).

7 ـ وعن الحسين بن علي عليه‌السلام ، قال : «سأل رجل أبي عليه‌السلام عن الأئمّة ، فقال :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الصراط المستقيم / البياضي 2 : 161.

(2) كفاية الأثر : 240.

(3) كفاية الأثر : 239.

(4) كفاية الأثر : 237.

اثنا عشر ، سبعة من صلب هذا ، ووضع يده على كتف أخي محمد» (1).

8 ـ وروى أبو حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «لما حضرت علي ابن الحسين عليهما‌السلام الوفاةَ ضمّني إلى صدره وقال : أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وبما ذكر أن أباه أوصاه به» (2).

9 ـ وعن أبي بصير ، قال : قال أبو جعفر عليه‌السلام : «كان فيما أوصى أبي عليه‌السلام إليّ أن قال : يا بني ، إذا أنا متّ فلا يلي غسلي أحد غيرك ، فإنّ الإمام لا يغسله إلاّ إمام» (3). إلى غير ذلك من الآثار الواردة في هذا الباب.

## ثالثا : من أقوال العامّة حول الإمام الباقر عليه‌السلام :

هناك أقوال كثيرة لدى العامة في إمامنا الباقر وكلّها تشير إلى عظمته عليه‌السلام ، لا بأس بالإشارة السريعة إلى بعضها كالآتي :

1 ـ ذكر كل من ابن خلكان المتوفّى 681 هـ ، واليافعي المتوفّى 768 هـ ، وابن العماد المتوفّى 1089 هـ ، أنّ محمد بن علي الباقر عليه‌السلام أحد الأئمّة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية (4).

2 ـ وذكر تغرى بردى المتوفّى 874 هـ أنّ محمد بن علي الباقر عليه‌السلام أحد الأئمّة الاثني عشر الذين تعتقد الشيعة عصمتهم (5).

3 ـ وذكر ابن الصبّاغ المالكي المتوفّى سنة 855 هـ ، وابن طولون المتوفّى سنة 953 هـ ، والشيخ عبد اللّه بن محمد الشبراوي المتوفّى 1171 هـ في ترجمة الإمام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كفاية الأثر : 238.

(2) الصراط المستقيم 2 : 162.

(3) كشف الغمّة 2 : 349 ، الخرائج والجرائح 1 : 264.

(4) وفيات الأعيان 4 : 174 ، مرآة الجنان 1 : 247 ، شذرات الذهب 2 : 72.

(5) النجوم الزاهرة 1 : 273.

أبي جعفر الباقر عليه‌السلام أنّه خامس أئمّة أهل البيت الطاهر (1).

4 ـ وقال الذهبي ، المتوفّى سنة 748 هـ : أبو جعفر الباقر ، هو السيد الإمام ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي ، العلوي الفاطمي ، المدني ، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد ، والشرف ، والثقة ، والرزانة ، وكان أهلاً للخلافة.

وهو أحد الأئمّة الاثني عشر الذين تبجّلهم الشيعة الإمامية ، وتقول بعصمتهم ، وبمعرفتهم بجميع الدين (2).

5 ـ وقال ابن خلدون ، المتوفّى سنة 808 هـ : وأما الإمامية ، فساقوا الإمامة من علي الرضي إلى ابنه الحسن بالوصية ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم إلى ابنه علي زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد الباقر ، ثم إلى ابنه جعفر الصادق ... (3).

6 ـ وقال أحمد بن يوسف القرماني ، المتوفّى 1019 هـ : في ذكر أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر عليهما‌السلام: وإنّما سُمّي بالباقر ، لأنّه بقر العلم ، وكان خليفة أبيه من بين اُخوته ووصيّه والقائم بالإمامة من بعده (4).

7 ـ وروى العامّة أنّ جابر بن يزيد الجعفي إذا حدّث عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه‌السلام يقول : حدّثني وصي الأوصياء. وصارت هذه اللفظة ، إضافة إلى قوله : إنّ العلم النبوي انتقل إلى أهل البيت : ، سببا لإعراضهم عن حديث جابر الجعفي.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الفصول المهمّة : 192 ، الأئمّة الاثنا عشر : 79 ، الإتحاف بحبّ الاشراف : 143.

(2) سير أعلام النبلاء 4 : 401 ، تاريخ الإسلام 7 : 462.

(3) تاريخ ابن خلدون 1 : 201.

(4) أخبار الدول وآثار الأول 1 : 331 ، الفصل الرابع ـ باب في ذكر الحسن والحسين وأولادهما.

قال ابن عيينة : سمعت من جابر ستّين حديثاً ، ما أستحلّ أن أروي عنه شيئاً ، يقول حدّثني وصي الأوصياء (1).

وذكر شهاب أنّه سمع ابن عيينة يقول : تركت جابرا الجعفي وما سمعتُ منه قال : دعا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عليّا فعلّمه مما تعلم ، ثم دعا علي الحسن فعلّمه مما تعلم ، ثم دعا الحسن الحسين فعلّمه مما تعلّم ، ثم دعا ولده ... حتى بلغ جعفر بن محمد. قال سفيان : فتركته لذلك ، وسمعه يقول أيضا : انتقل العلم الذي كان في النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى علي ، ثم انتقل من علي إلى الحسن ، ثم لم يزل حتى بلغ جعفرا (2).

ولا يعنينا موقف ابن عيينة شيئاً ولا كرامة به ، بل يعنينا من كلامه ، شهادته بأنّه سمع جابر الجعفي يقول ذلك ، وجابر ثقة عند الفريقين.

ولا ريب أن ذكر لفظ الوصي وانتقال العلم النبوي إلى المعصومين : ، هو نصّ في الإمامة ، ودليل واضح عليها ، سيما وأنّها شهادة صادرة من جابر بن يزيد الجعفي الذي ثبت عند أغلب أهل الجرح والتعديل أنّه كان ثقة صدوقا ورعا في الحديث (3).

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : صحيح مسلم 1 : 25 من المقدّمة ، ميزان الاعتدال / الذهبي 1 : 383 ، تهذيب التهذيب / ابن حجر 2 : 43.

(2) ميزان الاعتدال 1 : 381.

(3) راجع : تهذيب الكمال 4 : 467 ، تاريخ الإسلام / الذهبي ـ وفيات سنة 121 هـ : 59 ، ميزان الاعتدال 1 : 379 ، تهذيب التهذيب 2 : 47 ، الجرح والتعديل / ابن أبي حاتم 1 : 136.

الفصل الرابع

مكارم أخلاقه عليه السلام

حاز الإمام الباقر عليه‌السلام قصب السبق على كل من عاصره في العبادة والعلم والحلم والزهد والكرم والشجاعة وغيرها من مظاهر العظمة ، وشهد له فطاحل العلماء في عصره ومن جاء بعدهم بالفضل والعلم والتقى وسموّ المكانة والهيبة في المجتمع آنذاك ، ذلك لأنّ تلك السمات كانت سجية وملكة في نفسه المقدّسة ، فكان يعمل على ترسيخها باقتران القول بالفعل ، والشعار بالسلوك.

ولعلّ أوثق شهادة في هذا المضمار ، هي ما جاء على لسان أقرب الناس إليه ولده الإمام الصادق عليه‌السلام حيث قال : «حدّثني أبي ، وكان خير محمدي يومئذٍ على وجه الأرض» (1). وفي لفظ آخر : كان خير محمدي رأيته بعيني (2).

ولا يخفي الشاعر الحجازي سديف المكي (3) إعجابه بشخصية الإمام عليه‌السلام ، ومعالي أخلاقه حيث عبّر عن شخصية الإمام بقوله : «حدّثني محمد بن علي

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البداية والنهاية 9 : 338 ، تهذيب الكمال 26 : 139.

(2) قرب الإسناد : 72 ، التهذيب 1 : 31 / 22 ، الاستبصار 1 : 48 / 2.

(3) سديف بن مهران بن ميمون المكي ، الشهيد (سنة / 147 هـ ) ، قتله عبد الصمد بن علي العباسي بأمر المنصور.

الباقر ، وما رأيت محمديا قطّ يعدله» ، وفي رواية : يشبهه (1).

واشتهر عن محمد بن المنكدر (2) ، أنّه قال : «ما رأيت أحداً يفضل على علي ابن الحسين حتّى رأيت ابنه محمداً ، أردت يوماً أن أعظه فوعظني» (3).

وفي قوله تعالى : «إِنَّ فِي ذَلِكَ َلآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ» (4) ، قال سلمة بن كهيل (5) : «كان أبو جعفر منهم» (6). وقال الحكم بن عتيبة (7) : «كان واللّه محمد بن علي منهم» (8).

وفي دائرة المعاصرين للإمام الباقر عليه‌السلام ، نجد بعض ذوي الزعامات الأُموية تعترف راغمة بصفات الكمال التي ميّزت شخصية الإمام عليه‌السلام ، وعلى رأسهم هشام بن عبد الملك ، الذي قال له : واللّه ما جربت عليك كذباً (9). وخاطبه مرّة : يا محمد ، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أمالي المفيد : 126 ، أمالي الصدوق : 412 ، أمالي الطوسي : 649 ، ميزان الاعتدال 1 : 369 ، لسان الميزان 3 : 10.

(2) محمد بن المنكدر بن عبد اللّه القرشي ، محدّث زاهد قارئ ، روى عنه أبو حنيفة والزهري ، قال ابن عيينة : انه من معادن الصدق ، توفّي (سنة / 130أو 131 هـ ).

(3) تهذيب التهذيب 9 : 352 ، الإرشاد 2 : 161 ، الفصول المهمة : 195 ، شرح الأخبار 3 : 282 ، إعلام الورى 1 : 507 ، الإتحاف بحب الاشراف / الشبراوي : 143.

(4) سورة الحجر : 15 / 75.

(5) أبو يحيى الحضرمي ، كوفي تابعي ، توفي نحو سنة 122 هـ.

(6) تاريخ دمشق 45 : 279 ، سير أعلام النبلاء 4 : 404.

(7) أبو محمد الكوفي ، مولى زيدي ، كان عالماً جليلاً في زمانه ، توفي نحو سنة 114 هـ.

(8) كشف الغمّة 2 : 332 ، عن الحافظ عبد العزيز الجنابذي.

(9) مناقب آل أبي طالب 3 : 320.

مثلك (1). ومهما كان غرضه من هذا الكلام ، وسواء انطوى على المواربة السياسية أم التشدّق والرياء ، فانّه يعبّر عن حقيقة الإمام عليه‌السلام من ألدّ أعدائه ، ويسوق لنا الدليل على أنّه حظي بإكبار وتقدير طبقات المجتمع كلّها بمن فيهم الأعداء.

وخير الفضل ما شهدت به الأعداءُ

ويشاطر هشام في التعبير عن مناقب الإمام الباقر عليه‌السلام الفريدة ، عامل المدينة في زمان عبد الملك بن مروان حين كتب إليه عبد الملك : أن ابعث إليّ محمد بن علي مقيّداً.

فكتب إليه العامل وهو يعدّد أبرز خصاله عليه‌السلام : ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أمير المؤمنين ، ولا ردّاً لأمرك ، ولكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة لك ، وشفقة عليك ، إنّ الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ولا أزهد ولا أورع منه ، وانّه من أعلم الناس ، وأرقّ الناس ، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة ، وكرهت لأمير المؤمنين التعرّض له ، فإنّ اللّه لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم. فسرّ عبد الملك بما أنهى إليه الوالي ، وعلم أنّه قد نصحه (2).

وإذا خرجنا عن دائرة المعاصرين له عليه‌السلام ، نصل إلى حقيقة إجماع كلّ من ترجم للباقر عليه‌السلام على تعظيمه وتقديره وإكباره.

قال أبو نعيم الأصفهاني المتوفّى سنة 430 هـ في ترجمته عليه‌السلام : «هو الحاضر الذاكر ، الخاشع الصابر ، أبو جعفر محمد بن علي الباقر ، كان من سلالة النبوة ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) دلائل الإمامة : 234 ، نوادر المعجزات : 130.

(2) الثاقب في المناقب : 389 ، الصراط المستقيم 2 : 184 ، بحار الأنوار 46 : 329.

وممّن جمع حسب الدين والأبوة ، تكلّم في العوارض والخطرات ، وسفح الدموع والعبرات ، ونهى عن المراء والخصومات» (1).

وقال شمس الدين الذهبي ، المتوفّى سنة 748 هـ : «أبو جعفر الباقر ، محمد بن علي بن الحسين ، الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني ، أحد الأعلام ، وكان سيد بني هاشم في زمانه» (2).

وقال ابن كثير ، المتوفّى سنة 774 هـ : هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، سمّي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم ، كان ذاكراً خاشعاً صابراً (3).

من هنا نأتي إلى نبذة من الملكات القدسية والمناقب الفذّة التي تحلّى بها الإمام الباقر عليه‌السلام وورثها عن آبائه المعصومين : :

## 1 ـ العلم :

اقترن اسم الإمام أبي جعفر عليه‌السلام بوصف (باقر العلم) ، للحديث الذي قدّمناه في الفصل الثاني ، والمروي عن جدّه المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فقد وصفه الصادق الأمين بالباقر لأنّه سيبقر العلم ، أي يتبحّر ويتوسّع فيه.

## نبوغه العلمي :

منذ فجر حياة أبي جعفر الباقر عليه‌السلام كان مصداقاً لذلك النعت ، حيث بدت عليه مظاهر العلم والمعرفة والنبوغ من أيام طفولته ، وقد عرفه الناس بسعة الاطلاع والفضل وغزارة العلم ، فكانوا يرجعون إليه في كل

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) حلية الأولياء 3 : 180.

(2) تذكرة الحفاظ 1 : 124.

(3) البداية والنهاية 9 : 339.

ما يستعصي من المسائل ، ووجّهت إليه أدقّ الأسئلة فأجاب عنها ولما يزل غلاماً يافعاً.

وأذكر في هذا المجال خبراً مفاده أنّ الباقر عليه‌السلام يوم كان صبياً يلازم أباه في مسجد جدّه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، سأل رجل عبد اللّه بن عمر المتوفّى 73 هـ عن مسألة فلم يدرِ بما يجيبه ، فقال : اذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمني بما يجيبك ، وأشار به إلى محمد بن علي الباقر عليه‌السلام ، فأتاه الرجل فسأله فأجابه ، فرجع إلى ابن عمر فأخبره ، فقال ابن عمر : إنّهم أهل بيت مُفَهَّمُونَ (1).

وأجاب عليه‌السلام عن أسئلة دقيقة توجّه بها إليه طاوس اليماني (2) في الحرم ، وهو شاب حدث ، رواها أبان بن تغلب ، قال : «دخل طاوس اليماني إلى الطواف ومعه صاحب له ، فإذا هو بأبي جعفر عليه‌السلام يطوف أمامه وهو شاب حدث ، فقال طاوس لصاحبه : إنّ هذا الفتى لعالم. فلما فرغ من طوافه صلّى ركعتين ، ثم جلس وأتاه الناس ، فقال طاوس لصاحبه : نذهب إلى أبي جعفر ونسأله عن مسألة لا أدري عنده فيها شيء أم لا ، فأتياه فسلّما عليه ، ثم قال له طاوس : يا أبا جعفر ، هل تدري أيّ يوم مات ثلث الناس؟ فقال : يا أبا عبد الرحمن ، لم يمت ثلث الناس قط ، إنّما أردت أن تقول : متى هلك ربع الناس؟ قال : وكيف ذلك؟ قال : وذلك يوم قتل قابيل هابيل ، كانوا أربعة : آدم وحواء وهابيل وقابيل ، فقتل قابيل هابيل ، فذلك ربع الناس. قال :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 329 ، الإيضاح / النيسابوري : 458 ، بحار الأنوار 46 : 289 ، الإمام جعفر الصادق / عبد الحليم الجندي : 141.

(2) طاوس بن كيسان اليماني ، من سادات التابعين ، وعبّاد أهل اليمن ، توفّي سنة 106 هـ.

صدقت» (1).

وهناك أسئلة اُخرى مهمّة وجّهها إليه طاوس ، وأجاب عنها الإمام عليه‌السلام ، وردت في رواية أبي بصير ، نختار بعضاً منها ، قال : قال طاوس : «فلم سُمّي آدم آدم؟ قال الإمام عليه‌السلام : لأنّه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى. قال : ولِمَ سُمّيت حواء حواء؟ قال : لأنّها خُلقت من ضلع حي ، يعني ضلع آدم. قال : فلِم سُمّي إبليس إبليس؟ قال : لأنّه أبلس من رحمة اللّه عزّوجلّ فلا يرجوها. قال : فلِم سُمّي الجنّ جِنّاً؟ قال : لأنّهم استجنوا فلم يروا.

قال : فأخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحقّ وكانوا كاذبين؟ قال : المنافقون حين قالوا لرسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : نشهد أنّك لرسول اللّه. فأنزل اللّه عزّوجلّ : «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» (2).

قال : فأخبرني عن رسول بعثه اللّه تعالى ليس من الجن ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره اللّه تعالى في كتابه؟ قال : الغراب ، حين بعثه اللّه عزّوجلّ ليُري قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل حين قتله ، قال اللّه عزّوجلّ : «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الاْءَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ» (3).

قال : فأخبرني عمّن أنذر قومه ليس من الجن ، ولا من الإنس ، ولا من الملائكة ، ذكره اللّه عزّوجلّ في كتابه؟ قال : النملة حين قالت : «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الاحتجاج 2 : 61 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 332.

(2) سورة المنافقون : 63 / 1.

(3) سورة المائدة : 5 / 31.

ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيَْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ» (1).

قال : فأخبرني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام ، ذكره اللّه عزّوجلّ في كتابه؟ قال : نهر طالوت ، قال اللّه عزّوجلّ : «إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ» (2).

قال : فأخبرني عن صلاة فريضة تُصلّى بغير وضوء ، وعن صوم لا يحجز عن أكل ولا شرب ، قال : أما الصلاة بغير وضوء فالصلاة على النبي وآله عليه و: ، وأما الصوم فقول اللّه عزّوجلّ : «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً» (3).

قال : فأخبرني عن شيء يزيد وينقص ، وعن شيء يزيد ولا ينقص ، وعن شيء ينقص ولا يزيد؟ فقال الباقر عليه‌السلام : أما الشيء الذي يزيد وينقص فهو القمر ، والشيء الذي يزيد ولا ينقص هو البحر ، والشيء الذي ينقص ولا يزيد هو العمر» (4).

وفي مزاياه عليه‌السلام العلمية يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أضاء وجه العلم والرسوم  |  | بنور وجه باقر العلوم  |
| إذ هو شمس مشرق الحقائق  |  | وبدره المشرق بالدقائق  |
| وكعبة العلم ومستجارها  |  | بل في فناء بابه قرارها  |
| هو المدار في محيط المعرفه  |  | به استدار كل اسم وصفه  |
| وهو لسان اللّه في بيانه  |  | وسرّه المودع في لسانه  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النمل : 27 / 18.

(2) سورة البقرة : 2 / 249.

(3) سورة مريم : 19 / 26.

(4) الاحتجاج 2 : 64.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قام بحمل راية الرساله  |  | بمحكم البيان والدلاله  |
| فطبق الأرض بلابتيها  |  | بالعلم إشفاقاً بمَن عليها (1)  |

## أعلم أهل زمانه :

لا ريب كان الباقر عليه‌السلام أعلم أهل زمانه ، مثلما كان آباؤه : كذلك ، وهو وريثهم : في التصدّر للعلم ونشر الهداية ، ولم يظهر عن أحد في عصره ما ظهر عنه من علم الدين والقرآن والآثار والسنّة والسيرة وغيرها ، من هنا تسابق بقايا الصحابة وأئمّة التابعين وأكابر علماء الدين لينهلوا من نمير علمه وصافي فضله ، وهم يتصاغرون هيبة لعلمه وجلالته.

قال عبد اللّه بن عطاء المكي : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر ، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنّه صبي بين يدي معلّمه (2). وهو اعتراف صريح بتفوّقه العلمي.

وعن أبي حمزة الثمالي : أن قتادة (3) حين التقى الإمام الباقر عليه‌السلام في مسجد جدّه رسول اللّه ، قال له الإمام عليه‌السلام : «من أنت؟ قال : أنا قتادة بن دعامة البصري.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأنوار القدسية : 71.

(2) الإرشاد 2 : 160 ، روضة الواعظين : 202 ، حلية الأولياء 3 : 185 ، تاريخ دمشق 45 : 278 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 334 ، البداية والنهاية 9 : 340 ، تذكرة الخواص : 347 ، وفيه : كأنّه عصفور مغلوب ، روضة الرياحين / اليافعي : 57 ، مرآة الجنان / اليافعي 1 : 248 ، كشف الغمّة 2 : 329 ، إعلام الورى 1 : 506.

(3) قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب البصري ، من أعلام التابعين ، كان ذا علم بالقرآن والحديث والفقه ، توفي سنة 117 هـ وقيل : 118 هـ.

قال : أنت فقيه أهل البصرة؟ قال : نعم. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : إنّ اللّه جلّ وعزّ خلق خلقاً من خلقه ، فجعلهم حججاً على خلقه ، فهم أوتاد في أرضه ، قوام بأمره ، نجباء في علمه ، اصطفاهم قبل خلقه أظلّة عن يمين عرشه. فسكت قتادة طويلاً ، ثم قال : أصلحك اللّه ، واللّه لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس ، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك. فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : ويحك أتدري أين أنت؟! أنت بين يدي «بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ \* رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاة وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ» (1) فأنت ثمَّ ، ونحن أولئك ، فقال له قتادة : صدقت واللّه ، جعلني اللّه فداك ، واللّه ما هي بيوت حجارة ولا طين» (2).

وأقرّ رجال العلم والفكر الذين أدركوه ومن تبعهم بأنّه بقر العلوم بقراً ، وأصاب قلب الحكمة وعرف حقيقتها ، واتّفقت كلمتهم على أنّه أسمى شخصية علمية عرفها العالم الإسلامي في عصره.

روي عن معاوية بن عمار الدهني ، عن محمد بن علي الباقر عليه‌السلام في قول اللّه عزّوجلّ : «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» (3) ، قال : «نحن أهل الذكر».

قال أبو زرعة : صدق محمد بن علي ، ولعمري ان أبا جعفر لمن أكبر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النور : 24 / 36 و 37.

(2) الكافي 6 : 256.

(3) سورة النحل : 16 / 43.

العلماء (1).

وقال الأبرش بن الوليد الكلبي (2) بعد أن ناظر الإمام الباقر عليه‌السلام : «إنّ هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض ، فهذا ولد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم» (3).

وقال نافع مولى عبد اللّه بن عمر بعد أن ناظره عليه‌السلام : «أنت واللّه أعلم الناس حقّاً» (4).

وقال عالم النصارى بعد أن ناظره الإمام الباقر عليه‌السلام في بلاد الشام : «يا معشر النصارى ، ما رأيت أحداً قط أعلم من هذا الرجل» (5).

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي ، المتوفّى سنة 652 هـ : «هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه ، ومتفوّق درّه وراضعه ، ومنمّق دره وواضعه ، صفا قلبه ، وزكا عمله ، وطهرت نفسه ، وشرفت أخلاقه ، وعمرت بطاعة اللّه أوقاته ، ورسخت في مقام التقوى قدمه ، وظهرت عليه سمات الازدلاف ، وطهارة الاجتباء ، فالمناقب تسبق إليه والصفات تشرف به» (6).

وقال ابن خلّكان ، المتوفّى سنة 681 هـ : «كان الباقر عالماً ، سيّداً كبيراً ، وإنّما قيل له الباقر ، لأنّه تبقّر في العلم ، أي توسّع» (7).

وقال ابن حجر الهيتمي المكّي ، المتوفّى سنة 974 هـ : «أبو جعفر محمد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الإرشاد 2 : 162 ، روضة الواعظين : 202.

(2) وزير هشام بن عبد الملك ، والغالب عليه.

(3) مناقب آل أبي طالب 3 : 329.

(4) الكافي 8 : 120 / 93 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 330.

(5) الكافي 8 : 122 / 94.

(6) كشف الغمّة 2 : 328.

(7) وفيات الأعيان 1 : 174.

الباقر ، سُمّي بذلك من بقر الأرض ، أي شقّها وأثار مُخَبّآتها ومكامنها ، فلذلك هو أظهر من مُخَبّآت كنوز المعارف ، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ، ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة» (1).

وتسالم العلماء والفقهاء على الرجوع إلى رأيه في المسائل المعضلة والغامضة من أحكام الشريعة الإسلامية ومسائل العقائد المختلفة.

قال قيس بن ربيع : «سألت أبا إسحاق السبيعي عن المسح ـ يعني على الخفّين ـ فقال : أدركت الناس يمسحون ، حتّى لقيت رجلاً من بني هاشم لم أرَ مثله قط ، يقال له محمد بن علي بن الحسين ، فسألته عن المسح فنهاني عنه ، وقال : لم يكن أمير المؤمنين عليه‌السلام يمسح ، وكان يقول : سبق الكتاب المسح على الخفّين» (2).

وسمع أبو جعفر المنصور عن الباقر عليه‌السلام حديث النداء من السماء باسم رجل من ولد فاطمة 3 ، فقال لسيف بن عميرة : «لولا أنني سمعته من أبي جعفر محمد ابن علي يحدّثني به ، وحدّثني به أهل الأرض كلهم ما قبلته منهم ، ولكنّه محمد ابن علي» (3).

## أجوبة واحتجاج :

روي عن الإمام الباقر عليه‌السلام المزيد من الأخبار المتعلّقة بالاحتجاج والأجوبة على تساؤلات في شتّى فروع العلم ، تميّزت بقوّة الحجّة والبرهان وسرعة البديهة ووضوح البيان ، وعكست مقدار ما يمتلك الإمام عليه‌السلام من أفق

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الصواعق المحرقة : 304.

(2) روضة الواعظين : 202 ، شرح الأخبار 3 : 281.

(3) الإرشاد 2 : 370.

معرفي واسع ، بما يقدّمه من قراءات صحيحة لقضايا معضلة.

عن أبي حمزة الثمالي : أنّ قتادة بن دعامة البصري أقبل إلى مسجد رسول اللّه وكان قد هيّأ أربعين مسألة يسأل عنها أبا جعفر عليه‌السلام ، منها ، قال قتادة : «فأخبرني عن الجبن ، قال : فتبسّم أبو جعفر عليه‌السلام ثم قال : رجعت مسائلك إلى هذا؟ قال : ضلّت علي ، فقال : لا بأس به. فقال : إنّه ربّما جعلت فيه أنفحة الميت.

قال : ليس بها بأس ، إنّ الأنفحة ليس لها عروق ، ولا فيها دم ، ولا لها عظم ، إنّما تخرج من بين فرث ودم ، ثم قال : وإنّما الأنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة ، فهل تؤكل تلك البيضة؟ فقال قتادة : لا ، ولا آمر بأكلها. فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : ولِمَ؟ فقال : لأنّها من الميتة. قال له : فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة ، أتأكلها؟ قال : نعم. قال : فما حرم عليك البيضة ، وحلّل لك الدجاجة؟ ثم قال عليه‌السلام : فكذلك الأنفحة مثل البيضة ، فاشتر الجبن من أسواق المسلمين من أيدي المصلّين ، ولا تسأل عنه إلاّ أن يأتيك من يخبرك عنه» (1).

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام قال : «جاء رجل من الشام (2) ، وسأل أبا جعفر عليه‌السلام عن بدو خلق البيت؟ فقال عليه‌السلام : إنّ اللّه تعالى لما قال للملائكة : «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الاْءَرْضِ خَلِيفَةً» فردّوا عليه بقولهم : «أَتَجْعَلُ فِيهَا» (3) إلى قوله : «وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» فعلموا أنّهم وقعوا في الخطيئة ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 6 : 256.

(2) وفي رواية : من المغرب.

(3) سورة البقرة : 2 / 29.

فعاذوا بالعرش ، فطافوا حوله سبعة أشواط ، يسترضون ربّهم عزّوجلّ ، فرضي عنهم ، وقال لهم : اهبطوا إلى الأرض ، فابنوا لي بيتاً يعوذ به من أذنب من عبادي ، ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي ، فأرضى عنهم كما رضيت عنكم. فبنوا هذا البيت.

فقال له الرجل : صدقت يا أبا جعفر ، فما بدو هذا الحجر؟ قال : إنّ اللّه تعالى لما أخذ ميثاق بني آدم ، أجرى نهراً أحلى من العسل وألين من الزبد ، ثم أمر القلم فاستمدّ من ذلك النهر ، وكتب إقرارهم وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم ألقم ذلك الكتاب هذا الحجر ، فهذا الاستلام الذي ترى ، إنّما هو بيعة على إقرارهم ، وكان أبي إذا استلم الركن قال : اللّهمّ أمانتي أدّيتها ، وميثاقي تعاهدته ، ليشهد لي عندك بالوفاء. فقال الرجل : صدقت يا أبا جعفر ، ثم قام ، فلما ولّى قال الباقر لابنه الصادق عليهما‌السلام : اردده علي ، فتبعه إلى الصفا فلم يره ، فقال الباقر عليه‌السلام : أراه الخضر» (1).

وروى حريز ، عن ياسين ، أنّه أوصى رجل بألف درهم للكعبة ، فجاء الوصي إلى مكّة وسأل ، فدلّوه إلى بني شيبة ، فأتاهم فأخبرهم الخبر ، فقالوا له : برئت ذمّتك ، ادفعه إلينا. فقال الناس : سل أبا جعفر ، فسأله ، فقال عليه‌السلام : «إنّ الكعبة غنية عن هذا ، انظر إلى من زار هذا البيت فقطع به ، أو ذهبت نفقته ، أو ضلّت راحلته ، أو عجز أن يرجع إلى أهله ، فادفعها إلى هؤلاء» (2).

وعن علي بن محمد بن القاسم العلوي أنّه سأل أبا جعفر عليه‌السلام عن آدم حيث

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 333 ، شرح الأخبار 3 : 278 ، ونقله ابن حجر في الإصابة 2 : 264 ، عن كتاب أخبار مكّة للفاكهي ، وكتاب النسب للزبيري.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 330 ، الكافي 4 : 241 / 1.

حجّ ، بم حلق رأسه ، ومن حلقه؟ فقال : «نزل جبرئيل عليه بياقوتة من الجنّة ، فأمرّها على رأسه فتناثر شعره» (1).

## 2 ـ العبادة :

كان الإمام الباقر عليه‌السلام مثلاً أعلى في العبادة والورع والتقوى ، شأنه شأن آبائه المعصومين : ، أولئك الذوات المقدسة الذين ذابوا في حبّ اللّه وانقطعوا إليه ، لنيل رضوانه ورجاء الزلفى لديه.

وقد جاء عن الإمام الباقر عليه‌السلام جملة توصيات في موارد العبادة المختلفة ، فأكّد على الجانب الأخلاقي فيها ، فخير العبادة ما اقترن بالورع عن المحارم وعفّة البطن والفرج ، قال الباقر عليه‌السلام : «إنّ أشدّ العبادة الورع» (2). وقال عليه‌السلام : «ما من عبادة أفضل من عفّة بطن أو فرج» (3).

وحثّ على حضور القلب في الصلاة ، وأداء النوافل ، فقال عليه‌السلام : «إنّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها وخمسها ، فما يرفع له إلاّ ما أقبل عليه بقلبه ، وإنّما أُمروا بالنوافل ليتمّ لهم ما نقصوا من الفريضة» (4).

وفي سيرته العملية ، كان الإمام الباقر عليه‌السلام يحيي ليله قياماً وتضرّعاً إلى بارئه ، وهو في محراب عبادته ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليهما‌السلام ، أنّه كان في جوف الليل يقول : «أمرتني فلم أئتمر ، وزجرتني فلم أزدجر ، فها أنا عبدك

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 335 ، الكافي 6 : 195 / 6.

(2) الكافي 2 : 77 / 5.

(3) حلية الأولياء 3 : 187 ، تاريخ دمشق 45 : 293 ، أعلام الدين : 301 ، البداية والنهاية 9 : 341.

(4) الكافي 3 : 363 / 2.

بين يديك ولا أعتذر» (1).

وعرف الإمام الباقر عليه‌السلام بكثرة الصلاة ، ولم يثنِه عنها كثرة مشاغله في الوسط العلمي والاجتماعي ، قال أبو يعقوب البزّار : رأيت على أبي جعفر محمد ابن علي إزاراً أصفر ، وكان يصلّي كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة (2).

وعن عبد اللّه بن محمد بن عقيل : بلغنا أنّ أبا جعفر كان يصلّي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة (3).

وكان عليه‌السلام يطيل السجود ، ويتّجه بخالص قلبه نحو ربّه ، فيناجيه منقطعاً إليه ، طاعة للّه عزّوجلّ ، وتجسيداً لحقيقة العبودية.

عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال : «إنّي كنت أُمهِّد لأبي فراشه ، فانتظره حتى يأتي ، فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي ، وإنّه أبطأ علي ذات ليلة ، فأتيت المسجد في طلبه ، وذلك بعد ما هدأ الناس ، فإذا هو في المسجد ساجد ، وليس في المسجد غيره ، فسمعت حنينه وهو يقول : سبحانك اللّهمّ أنت ربّي حقّاً حقّاً ، سجدت لك يا رب تعبّداً ورقّاً ، اللّهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي ، اللّهمّ قني عذابك يوم تبعث عبادك ، وتب علي ، إنّك أنت التوّاب الرحيم» (4).

وعن جعفر بن محمد عليهما‌السلام قال : «كان أبي يصلّي في جوف النهار ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كشف الغمّة 2 : 329 ، حلية الأولياء 3 : 186 ، الفصول المهمّة : 194 ، نور الأبصار : 132 ، المختار في مناقب الأخيار / ابن الأثير الجزري : 30.

(2) تاريخ مدينة دمشق 45 : 280 ، سير أعلام النبلاء 4 : 404.

(3) سير أعلام النبلاء 4 : 404 ، تذكرة الحفّاظ 1 : 124.

(4) الكافي 3 : 323 / 9.

فيسجد السجدة فيطيل السجود حتّى يقال إنّه راقد» (1).

وكان عليه‌السلام في أكثر أوقاته وفي جميع حالاته ، لا يفتر لسانه عن ذكر اللّه سبحانه ، ويأمر أهله بالقراءة والذكر ، روى ابن القداح ، عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام ، قال : «كان أبي عليه‌السلام كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وانّه ليذكر اللّه ، وآكل معه الطعام وانّه ليذكر اللّه ، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر اللّه ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلاّ اللّه ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتّى تطلع الشمس ، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا ، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر» (2).

## البكاء العبادي :

ونلمس عند الإمام الباقر عليه‌السلام امتداداً لظاهرة البكاء ، تلك الظاهرة التي تكاد تستحوذ على حياة أبيه عليه‌السلام ، المعروف بالبكّاء ، لكثرة نشيجه وبكائه ، نتيجة الألم الذي يعتصر قلبه الزكي ، ليس فقط لفجيعته بأبيه وأخوته الذين رآهم يقتلون رأي العين في ساحة المواجهة مع الجبروت الأُموي ، بل لفجيعته برموز التغيير والنهضة والإصلاح في واقع الأُمّة.

وفي فضاء محموم بالظلم والإرهاب ، كانت دموعه التي يرسلها ساخنة ، هي المتنفّس الوحيد للتعبير عن عمق ألمه ومرارته ، وكانت أيضاً رسالة ناطقة لاستنهاض وجدان الأُمّة ، وشحذ همّتها ، وتذكيرها بالجريمة النكراء التي ارتكبها عتاة بني أُمية بحقّ سبط النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وسيد شباب أهل الجنّة عليه‌السلام.

وعليه فلا ريب أن نجد آثار تلك الظاهرة تمتد إلى الإمام الباقر عليه‌السلام ، سيما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وسائل الشيعة 6 : 381 / 8242.

(2) الكافي 2 : 498 / 1.

في جانبها العبادي ، ولا يخفى أنّ البكاء هو تجسيد لخشية المؤمن وطاعته لربّه ، وذوبانه في حبّه ، سيّما إذا كان صادراً عن قلب مخلص متعلّق بخالقه.

عن خالد بن أبي الهيثم ، عن محمد بن علي بن الحسين : ، قال : «ما اغرورقت عين بمائها من خشية اللّه تعالى إلاّ حرّم اللّه وجه صاحبها على النار ، فإن سالت على الخدّين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلّة ، وما من شيء إلاّ له جزاء إلاّ الدمعة ، فإن اللّه يكفّر بها بحور الخطايا ، ولو أنّ باكياً بكى في أُمّة لحرّم اللّه تلك الأُمّة على النار» (1).

من هنا كان الإمام الباقر عليه‌السلام يبكي في الحجّ بمجرّد أن يدخل المسجد الحرام تضرّعاً وخشوعاً للّه سبحانه ، وحين ينفتل من صلاته يبتلّ موضع سجوده من الدموع ، قال أفلح مولى الإمام الباقر عليه‌السلام : «خرجت مع محمد بن علي عليهما‌السلام حاجّاً ، فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته ، فبكى الناس لبكائه ، فقلت : بأبي وأُمّي إنّ الناس ينظرون إليك ، فلو رفقت بنفسك قليلاً. فقال : ويحك! لِمَ لا أبكي؟! لعلّ اللّه ينظر إليّ برحمة منه فأفوز بها عنده غداً. قال : ثم طاف بالبيت حتى جاء فركع عند المقام ، ورفع رأسه من سجوده ، فإذا موضع سجوده مبتلّ كلّه من دموعه» (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كشف الغمّة 2 : 360 ، نور الأبصار : 192 ، مطالب السؤول : 80 ، تذكرة الخواص : 349 ، البداية والنهاية 9 : 341 ، أخبار الدول 1 : 332.

(2) كشف الغمّة 2 : 329 و 360 ، حلية الأولياء 3 : 186 ، الفصول المهمّة : 194 ، نور الأبصار : 193 ، المختار في مناقب الأخيار / ابن الأثير الجزري : 30 ، تاريخ دمشق 45 : 280 ، تذكرة الخواص : 349 ، روض الرياحين / اليافعي : 57.

## الدعاء :

وثمّة مظهر عبادي آخر نلمسه في حياة إمامنا الباقر عليه‌السلام ، وهو الدعاء ، مخّ العبادة وسلاح الأنبياء ، إذ تتوطّد به دعائم الصلة بين العبد وخالقه ، لأنّ اللّه تعالى قد أذن للإنسان بالدعاء وتكفّل له بالإجابة.

سار الإمام الباقر على خطى أبيه السجّاد عليهما‌السلام الذي عاش في مرحلة فرضت عليه أن يتّخذ من الدعاء والتضرّع والمناجاة منهجاً لتعليم العقائد ، وبلورة الفكر الإسلامي ، وإرساء المفاهيم الأخلاقية التربوية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك في مجموعة صحائف هي بمثابة زبور آل محمد :.

من هنا دعا الإمام الباقر عليه‌السلام إلى ربط الإنسان المسلم بربّه ، من خلال كشف ما يترتّب على الدعاء من ثمار طيّبة يجتنيها الإنسان في الدنيا والآخرة ، كدفع البلاء ونيل المحبّة والرضوان. قال أبو جعفر عليه‌السلام : «ما من شيء أحبّ إلى اللّه عزّوجلّ من أن يسأل ، وما يدفع القضاء إلاّ الدعاء» (1).

وعنه عليه‌السلام : «إنّ اللّه تعالى يحبّ من عباده المؤمنين كلّ دعّاء» (2).

وقال عليه‌السلام : «إنّ اللّه كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة ، وأحبّ ذلك لنفسه ، إنّ اللّه جلّ ذكره يحبّ أن يُسأل ويُطلب ما عنده» (3).

وقد أثرت عن الإمام الباقر عليه‌السلام المزيد من الأدعية في مجال العبادة كالأذكار والقنوتات والتعقيبات التي تكشف عن تمسّكه عليه‌السلام بطاعة اللّه وعظيم إنابته إليه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) حلية الأولياء 3 : 187 ، تاريخ دمشق 45 : 293 ، أعلام الدين في صفات المؤمنين : 301 ، البداية والنهاية 9 : 341.

(2) الدعوات / قطب الدين الراوندي : 34 / 78.

(3) تحف العقول : 293.

وأخرى في مجال العقائد تشعّ منها معاني التوحيد ومختلف دروس العقيدة ، وأدعية في مجال التربية الأخلاقية وشدّ الناس باللّه تعالى وتذكيرهم بعظمته وجبروته ، وتحذيرهم من الكفر به وتجاوز حدوده ، وأدعية في مواقف ومواطن شتّى كأيّام الأسبوع وطلب الحاجات والمهمّات والأحراز عند المرض وعند النوم وبعد الطعام وغيرها.

ومن أمثلة أدعيته في مجال العبادة ، دعاؤه عند السجود ، رواه أبو عبيدة الحذّاء ، قال : «سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول وهو ساجد : أسألك بحقّ حبيبك محمد إلاّ بدّلت سيئاتي حسنات ، وحاسبتني حسابا يسيرا. ثم قال في الثانية : أسألك بحقّ حبيبك محمد إلاّ كفيتني مؤونة الدنيا وكل هول دون الجنّة. ثم قال في الثالثة : أسألك بحقّ حبيبك محمد لمّا غفرت لي الكثير من الذنوب والقليل ، وقبلت من عملي اليسير. ثم قال في الرابعة : أسألك بحقّ حبيبك محمد لمّا أدخلتني الجنّة ، وجعلتني من سكّانها ، ولما نجّيتني من سفعات النار برحمتك» (1).

ومن دعاء له عليه‌السلام عقيب صلاة الليل : «لا إله إلاّ اللّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ويميت ويحيي ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، اللهمّ لك الحمد يا رب ، أنت نور السماوات والأرض فلك الحمد يا رب ، وأنت قوّام السماوات والأرض فلك الحمد ، وأنت جمال السماوات والأرض فلك الحمد ، وأنت زين السماوات والأرض فلك الحمد ، وأنت صريخ المستصرخين فلك الحمد ، وأنت غياث المستغيثين فلك الحمد ، وأنت مجيب دعوة المضطرين ، فلك الحمد وأنت أرحم الراحمين.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) فلاح السائل / ابن طاوس : 243.

اللّهمّ بك تنزل كل حاجة فلك الحمد ، وبك يا إلهي أنزلت حوائجي الليلة فاقضها يا قاضي الحوائج ، اللّهمّ أنت الحقّ ، وقولك الحقّ ، ووعدك الحقّ ، وأنت مليك الحقّ ، أشهد أنّ لقاك حقّ ، وأنّ الجنّة حقّ والنار حقّ ، والساعة حقّ آتية لا ريب فيها ، وأنّك تبعث من في القبور.

اللّهمّ لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكّلت ، وبك خاصمت ، وإليك يا ربّ حاكمت ، فاغفر لي ما قدّمت وما أخّرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت الحي القيوم لا إله إلاّ أنت» (1).

ومن أدعيته عليه‌السلام في المجال العقيدي قوله : «الحمد للّه الذي منّ علينا ووفّقنا لعبادته ، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وجنّبنا عبادة الأوثان ، حمداً سرمداً وشكراً واصباً» (2).

ومن دعاء له عليه‌السلام ، وكان يسمّيه الجامع ، رواه عنه أبو حمزة الثمالي :

« بسم اللّه الرحمن الرحيم

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، آمنت باللّه وبجميع رسل اللّه ، وبجميع ما أرسل به رسل اللّه ، وأنّ وعد اللّه حقّ ، ولقاءه حقّ ، وصدق اللّه وبلّغ المرسلون ، والحمد للّه ربّ العالمين ، وسبحان اللّه كلّما سبّح اللّه شيء ، وكما يحبّ اللّه أن يسبّح ، والحمد للّه كلّما حمد اللّه شيء ، وكما يحبّ اللّه أن يحمد ، ولا إله إلاّ اللّه كلّما هلّل اللّه شيء ، وكما يحبّ اللّه أن يهلّل ، واللّه أكبر كلّما كبّر اللّه شيء ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مصباح المتهجّد : 116 ، بحار الأنوار 84 : 258.

(2) التوحيد : 93.

وكما يحبّ اللّه أن يكبّر .. » (1).

وله عليه‌السلام من أدعيته القصيرة ما رواه الجاحظ : «اللّهمّ أعنّي على الدنيا بالغنى ، وعلى الآخرة بالتقوى» (2).

وله عليه‌السلام دعاء حين يخرج من منزله ، رواه أبو حمزة الثمالي ، وهو في كفاية المهمّات ، قال عليه‌السلام في فضله : ما تكلم به أحد قط إلاّ كفاه اللّه ما أهمّه من أمر دنياه وآخرته ، ولفظه : «بسم اللّه ، حسبي اللّه ، توكّلت على اللّه ، اللّهمّ إنّي أسألك خير أُموري كلّها ، وأعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» (3).

وآخر رواه عبد اللّه بن عبد الرحمن ، عنه عليه‌السلام ، قال : قال لي : «ألا أعلمك دعاءً تدعو به ، إنّا أهل البيت إذا كربنا أمر ، وتخوّفنا من السلطان أمر لا قبل لنا به ، ندعو به. قلت : بلى بأبي أنت وأمي ، يا بن رسول اللّه. قال : قل : يا كائناً قبل كل شيء ، ويا مكوّن كلّ شيء ، ويا باقي بعد كلّ شيء ، صلِّ على محمد وآل محمد ، وافعل بي كذا وكذا» (4).

ومن دعائه بعد الطعام ، عن الصادق عليه‌السلام ، قال : «كان أبي يقول : الحمد للّه الذي أشبعنا في جائعين ، وأروانا في ظامين ، وآوانا في ضاحين ، وحملنا في راجلين ، وآمننا في خائفين ، وأخدمنا في عانين» (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مهج الدعوات / ابن طاوس : 213.

(2) البيان والتبيين 3 : 250 ، كشف الغمّة 2 : 363 وفيه : وعلى الآخرة بالعفو.

(3) الكافي 2 : 541 / 3.

(4) الكافي 2 : 560 / 13.

(5) الكافي 6 : 295 / 16.

## 3 ـ الزهد :

أما زهد الإمام الباقر عليه‌السلام في الحياة الدنيا ، وتجرّده عن كل نزعة مادية أو ذاتية ، فتشير كل تفاصيل حياته أنّه كان أزهد أهل زمانه وأورعهم وأتقاهم.

يقول ابن حجر الهيتمي : وله من الرسوم في مقامات العارفين ، ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة (1).

وقد أفرد الشيخ الصدوق ، كتاباً في زهده ، سمّاه كتاب زهد أبي جعفر عليه‌السلام (2).

وكان عليه‌السلام يحث أصحابه ويحدثهم بضرورة العمل بمقتضيات الزهد في الدنيا ، منها إخلاص الإيمان ، وإدامة الذّكر سيما ذكر الموت ، وقصر الأمل ، وغايته هدايتهم وتهذيب أخلاقهم ، قال عليه‌السلام : «لا زهد كقصر الأمل» (3).

وعن أبي عبيدة الحذاء ، قال : قلت لأبي جعفر عليه‌السلام : «حدثني بما أنتفع به. فقال : يا أبا عبيدة ، أكثر ذكر الموت ، فإنّه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلاّ زهد في الدنيا» (4).

وقال عليه‌السلام : «ما أخلص العبد الإيمان باللّه عزّوجلّ أربعين يوماً إلاّ زهده اللّه عزّوجلّ في الدنيا ، وبصره داءها ودواءها ، فأثبت الحكمة في قلبه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الصواعق المحرقة : 304.

(2) رجال النجاشي : 389.

(3) تحف العقول : 286.

(4) الكافي 2 : 131 / 13.

وأنطق بها لسانه» (1).

ومن خصائصه عليه‌السلام أنه كان ذا قلب محزون ، مشغول عما في الدنيا ، لم يحفل بمظاهر الحياة الفانية ونعيمها الزائل ، بل امتلأت آفاق قلبه بخالص دين اللّه ، واتجه بكلّ عواطفه إلى اللّه سبحانه ، ليس له همّة إلاّ لقاءه ، رغبة فيما أعدّه له في دار الخلود من الرضوان والنعيم والكرامة ، ويترجم الإمام عليه‌السلام ذلك خلال وصيته إلى تلميذه جابر الجعفي ، في ذم الدنيا وحث السالكين سبيل الهدى كي يسيروا في طريق المتّقين الصادقين في إدراك الآخرة والعمل لها ما وسعهم ذلك.

قال جابر : «خرج عليه‌السلام يوماً وهو يقول : أصبحت واللّه يا جابر محزوناً مشغول القلب. فقلت : جعلت فداك ، ما حزنك وشغل قلبك ، كل هذا على الدنيا؟ فقال عليه‌السلام : لا يا جابر ، ولكن حزن همّ الآخرة. يا جابر ، من دخل قلبه خالص حقيقة الإيمان شغل عما في الدنيا من زينتها ، إن زينة زهرة الدنيا ، إنّما هو لعب ولهو ، وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان. يا جابر ، إن المؤمن لا ينبغي له أن يركن ويطمئن إلى زهرة الحياة الدنيا.

واعلم أن أبناء الدنيا هم أهل غفلة وغرور وجهالة ، وأن أبناء الآخرة هم المؤمنون العاملون الزاهدون ، أهل العلم والفقه ، وأهل فكرة واعتبار واختيار ، لا يملون من ذكر اللّه.

واعلم يا جابر أن أهل التقوى هم الأغنياء ، أغناهم القليل من الدنيا ، فمؤونتهم يسيرة ، إن نسيت الخير ذكروك ، وإن عملت به أعانوك ، أخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم ، وقدموا طاعة ربهم أمامهم ، ونظروا إلى سبيل الخير ، وإلى ولاية أحباء اللّه ، فأحبوهم وتولوهم واتبعوهم. فانزل نفسك

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 16 / 6.

من الدنيا كمثل منزل نزلته ساعة ثم ارتحلت عنه ، أو كمثل مال استفدته في منامك ففرحت به وسررت ، ثم انتبهت من رقدتك وليس في يدك شيء.

وإني إنما ضربت لك مثلاً لتعقل وتعمل به إن وفقك اللّه له. فاحفظ يا جابر ما أستودعك من دين اللّه وحكمته ، وانصح لنفسك ، وانظر ما اللّه عندك في حياتك ، فكذلك يكون لك العهد عنده في مرجعك.

وانظر فإن تكن الدنيا عندك على غير ما وصفت لك فتحول عنها إلى دار المستعتب اليوم ، فلرب حريص على أمر من أمور الدنيا قد ناله ، فلما ناله كان عليه وبالاً وشقي به ، ولرب كاره لأمر من أمور الآخرة قد ناله فسعد به» (1).

ومما جاء عن معالي أخلاقه عليه‌السلام وشدة ورعه أنه كان اذا ضحك قال : «اللهمّ لا تمقتني» (2).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه إذا كان الإمام عليه‌السلام زاهداً ، فإنّما يستن بسنة جده المصطفى ، ويتبع منهاج آبائه الكرام : ، ولم يكن زهده بالمعنى الصوفي أو الرهباني ، الذي يعزله عن التمتع بزينة الحياة ، ويقطعه عن لقاء الناس ، بل هو إمام منفتح على الواقع بكل تفاصيله ، وله مرجعية واسعة ومهام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تحف العقول : 287 ، وروي نحوه فى كتاب ذم الدنيا / ابن أبي الدنيا : 129 ، تاريخ دمشق 45 : 280 ، سير أعلام النبلاء 4 : 405 ، حلية الأولياء 3 : 182 ، مطالب السؤول : 80 ، الفصول المهمة : 194 ، تذكرة الخواص : 348 ، روض الرياحين / اليافعي : 57 ، كشف الغمة 2 : 333.

(2) حلية الأولياء 3 : 185.

جسيمة ، على رأسها رفع منار العلم والنهوض بالواقع المعرفي للأمة ، فلا يمكن أن يحجر نفسه في خانة المتصوفة ، كما يدعي بعض المتصوفة (1) ، أو يتخذ من الزهد نظاماً يحكم حياته.

وهناك المزيد من الأخبار تدل على ما ذكرناه ، منها رواية الحكم بن عتيبة ، قال : «دخلت على أبي جعفر عليه‌السلام وهو في بيت منجد ، وعليه قميص رطب وملحفة مصبوغة ، قد أثر الصبغ على عاتقه ، فجعلت أنظر إلى البيت وأنظر إلى هيئته ، فقال : يا حكم ، ما تقول في هذا؟ فقلت : وما عسيت أن أقول وأنا أراه عليك؟

وأما عندنا فانما يفعله الشاب المُرِهْقُ ، فقال لي : يا حكم «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (2) وهذا مما أخرج اللّه لعباده ، فأما هذا البيت الذي ترى فهو بيت المرأة ، وأنا قريب العهد بالعرس ، وبيتي البيت الذي تعرف» (3).

وعن الحسن الزيات ، قال : «دخلت على أبي جعفر عليه‌السلام في بيت منجد ، ثم عدت إليه من الغد وهو في بيت ليس فيه إلاّ حصير ، وعليه قميص غليظ ، فقال : البيت الذي رأيته ليس بيتي ، انما هو بيت المرأة ، وكان أمس يومها» (4).

وروي أنه عليه‌السلام كان يتأنق بملبسه ، قال زرارة : «رأيت على أبي جعفر عليه‌السلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : الإمامة وأهل البيت / محمد بيومي مهران 3 : 67.

(2) سورة الأعراف : 7 / 32.

(3) الكافي 6 : 446 / 1.

(4) الكافي 6 : 477 / 5 و 448 / 13.

ثوباً معصفراً ، فقال : إني تزوجت امرأة من قريش» (1).

وعن جراح المدائني ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «إنا نلبس المعصفرات والمضرجات» (2).

وعن أبي الجارود ، قال : كان أبو جعفر عليه‌السلام «يلبس المعصفر والمنيّر» (3).

## 4 ـ الكرم :

البذل والعطاء والجود خصال بارزة في سيرة أئمتنا المعصومين : ، وكان الإمام أبو جعفر عليه‌السلام من أندى الناس كفاً ، وأسمحهم يداً ، لايردّ سائلاً ، ولا يخيب مؤملاً. قال الشيخ المفيد : وكان ـ مع ما وصفناه به من الفضل في العلم والسؤدد والرئاسة والإمامة ـ ظاهر الجود في الخاصة والعامة ، مشهور الكرم في الكافة ، معروفاً بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله (4).

ولم يكن عليه‌السلام يمارس الإحسان والجود وحسب ، بل كان يدعو كثيراً إلى العطاء ويمتدح أهل المعروف ، ويبين فضلهم في الدنيا والآخرة ، وكأنه يريد أن يجعله منهجا وسلوكاً للسائرين في طريقه ، فمن كلامه عليه‌السلام في هذا الاتجاه : «إن من أحب عباد اللّه إلى اللّه ، لمن حبب إليه المعروف ، وحبب إليه فعاله» (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 6 : 447 / 3.

(2) الكافي 6 : 447 / 6.

(3) الكافي 6 : 447 / 8.

(4) الارشاد 2 : 166.

(5) الكافي 4 : 25 / 3.

وقيل له عليه‌السلام : أتعرف شيئاً خيراً من الذهب؟ قال : «نعم ، معطيه» (1).

وقال عليه‌السلام : «إن اللّه جعل للمعروف أهلا من خلقه ، حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ، ووجه لطلاب المعروف الطلب إليهم ، ويسر لهم قضاءه ، كما يسر الغيث للأرض المجدبة ليحييها ويحيي أهلها ، وان اللّه جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض إليهم المعروف ، وبغض إليهم فعاله ، وحظر على طلاب المعروف التوجه إليهم ، وحظر عليهم قضاءه ، كما يحظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها ، وما يعفو اللّه عنه أكثر» (2).

وعن جابر الجعفي ، قال : «دخل رجل على أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، فقال له : عافاك اللّه ، اقبض مني هذه الخمس مئة درهم ، فإنها زكاة مالي. فقال له أبوجعفر عليه‌السلام : خذها أنت فضعها في جيرانك من أهل الإسلام والمساكين من إخوانك المسلمين» (3).

ويرتفع الإمام الباقر عليه‌السلام بالتكافل إلى مقام العبادة ، بل ويضاهي بعض العبادات ويفوقها ثوابا ، وهو مثل رائع في تنمية روح التضامن والتكافل في مجتمع يسوده التفاوت الطبقي بسبب ظروف المقاطعة ، واحتكار بيت المال في دائرة البلاط الضيقة ، التي تمارس قطع الأرزاق كعقوبة لمخالفيها في الرأي.

قال عليه‌السلام : «واللّه لأن أحج حجة أحب إليَّ من أن أعتق رقبة ورقبة ورقبة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشراً ، ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين ، ولأن أعول أهل بيت من المسلمين أسدّ جوعتهم ، وأكسو عورتهم ، وأكف وجوههم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ اليعقوبي 2 : 320.

(2) تحف العقول : 295.

(3) الغيبة / النعماني : 242.

عن الناس ، أحب إليَّ من أن أحج حجة وحجة وحجة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشراً ، ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين» (1).

وفي هذا الصدد ، كان عليه‌السلام يسعى إلى تربية شيعته وأتباعه من المؤمنين على أرقى نماذج التعامل الإسلامي فيما بينهم ، فيضرب لهم مثلاً أعلى في التكافل والتضامن ، لأجل التخفيف عن كاهل الأمة التي يرهقها الظلم والجور الذي تصبّه السياسة الأموية على قطاعات واسعة من جماهير الأمة ، سيما أتباع أهل البيت :.

عن الوصافي ، قال : «كنا عند أبي جعفر محمد بن علي يوماً ، فقال لنا : أيدخل أحدكم يده في كم أخيه ـ أو قال في كيسه ـ فيأخذ حاجته؟ قال : قلنا : لا. قال : فلستم أذن باخوان كما تزعمون. وفي رواية : أنتم أخدان ، ولستم باخوان» (2).

وفي رواية الكافي ، فقال أبو جعفر عليه‌السلام : «فلا شيء اذا ، قلت : فالهلاك اذا؟ وقال : إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد» (3). وعن الحجاج بن أرطاة حين سأله عليه‌السلام : أيدخل أحدكم يده في كم أخيه ...قلت : أما هذا فلا. فقال : «أما لو فعلتم ما احتجتم» (4).

ولا ريب أن الإمام عليه‌السلام يريد بهذا البيان أن يربي أصحابه على المواساة في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 195 / 11 ، و 4 : 2 / 3 ، ثواب الأعمال : 141.

(2) تاريخ دمشق 45 : 293 ، الصداقة والصديق / أبو حيان التوحيدي : 27 كشف الغمة 2 : 330 و 361 ، البداية والنهاية 9 : 340 ، حلية الأولياء : 3 : 187.

(3) الكافي 2 : 181 / 13.

(4) كشف الغمة 2 : 333.

المال ، وهي أرفع المكارم وأعلى المقامات ، وفي الوقت نفسه أشدّ الأعمال على الإنسان الذي جبل على حبّ المال وانشدّ إلى عالمه المادي ، إلاّ أولئك الذين بلغوا درجات من الكمال والإيمان تؤهلهم للزهد بالمال وعدم الاكتراث به.

روي عن أبي جعفر عليه‌السلام أنه قال : «أشد الأعمال ثلاثة : ذكر اللّه على كل حال ، وإنصافك الناس من نفسك ، ومواساة الإخوان في المال» (1).

وعلى الصعيد العملي كان من سجايا الإمام الباقر عليه‌السلام صلة الإخوان وإدخال السرور عليهم ، والإحسان والبذل والتصدق على ذوي الفاقة ، قال الشيخ المفيد : «كان لا يملّ من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه» (2).

ولعل القيمة الموضوعية لبِرِّ الإمام عليه‌السلام وصدقاته الجارية تكون أكثر وقعاً إذا عرفنا أنه عليه‌السلام كان متوسط الحال كثير العيال ، ولم يكن من ذوي الثروة والمال.

عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام ، قال : «كان أبي عليه‌السلام أقلّ أهل بيته مالاً ، وأعظمهم مؤنة ، قال : وكان يتصدق كل جمعة بدينار ، وكان يقول : الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل الجمعة على غيره من الأيام» (3).

وعن الصادق : أن أباه عليهما‌السلام تصدق على فقراء أهل المدينة بثمانية آلاف دينار (4).

وحكت سلمى مولاة أبي جعفر عليه‌السلام أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كشف الغمة 2 : 344 ، حلية الأولياء 3 : 183.

(2) الارشاد 2 : 167.

(3) ثواب الأعمال : 185.

(4) فلاح السائل / ابن طاوس : 176.

فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطيب ، ويكسوهم الثياب الحسنة في بعض الأحيان ، ويهب لهم الدراهم ، فكنت أكلمه في ذلك ، لكثرة عياله وتوسط حاله ، فيقول : «يا سلمى ، ما حسنة الدنيا إلاّ صلة الإخوان والمعارف. وكان يصل بالخمس مئة درهم ، وبالست مئة ، وبالألف درهم» (1).

وعن سليمان بن قرم ، قال : كان أبو جعفر محمد بن علي عليهما‌السلام يجيزنا بالخمس مئة درهم ، إلى الست مئة ، إلى الألف درهم (2).

وعن عمرو بن دينار وعبد اللّه بن عبيد ، أنهما قالا : «ما لقينا أبا جعفر محمد ابن علي عليهما‌السلام إلاّ وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة ، ويقول : هذه معدّة لكم قبل أن تلقوني» (3).

وقال الحسن بن كثير : «شكوت إلى أبي جعفر عليه‌السلام جور الزمان وجفاء الإخوان ، فقال : بئس الأخ أخ يرعاك غنياً ويجفوك فقيراً. ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبع مئة درهم ، فقال : استعن بهذه على الوقت ، فإذا فرغت فأعلمني» (4).

وثمة موقف تربوي في العطاء والبذل يسجله الإمام الباقر عليه‌السلام ، في حفظ كرامة السائل وحرمته في داره ، وعدم الحط من شأن الفقراء ، قال الجاحظ :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الفصول المهمة : 197 ، نور الأبصار : 194 ، تذكرة الخواص : 350 ، كشف الغمة 2 : 330 و 332.

(2) الارشاد 2 : 167 ، روضة الواعظين : 204 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 337.

(3) الارشاد 2 : 166 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 337.

(4) الفصول المهمة : 197 ، المختار في مناقب الأخيار : 30 ، روضة الواعظين : 204 ، الارشاد 2 : 166 ، كشف الغمة 2 : 330 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 337.

وكان محمد بن علي الباقر اذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة ، وكان لا يسمع من داره للسائل : بورك فيك ، ولا ياسائل خذ هذا ، وكان يقول : سمّوهم بأحسن أسمائهم» (1).

وفي هذا الاتجاه يقول عليه‌السلام : «اعلم أن طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك ، فأكرم وجهك عن رده» (2).

ويتسع العطاء لديه عليه‌السلام ليشمل الرفق بسائر المخلوقات ، يقول عليه‌السلام : «من سقى كبدا حرى من بهيمة أو غيرها أظلّه اللّه يوم لا ظل إلاّ ظلّه» (3).

## عتق المماليك :

كان الرقّ ظاهرة متفشية في الوسط الاجتماعي آنداك ، وكان يُنظر إلى العبيد نظرة ازدراء واحتقار ، وبحكم النظام الاجتماعي القائم ، أصبح العبيد محكومين من قبل ساداتهم لايستطيعون التمرّد عليهم ، وجاء الإسلام لتحرير الإنسان من براثن العبودية والرق ، واستئصال تلك الظاهرة ولو بالتدريج ، فشجع على البذل والعطاء في سبيل عتق الرقاب ، ومارس الرسول وأهل البيت : ذلك ممارسة عملية ، فتبوأ المماليك بفضل ذلك مراكز اجتماعية مهمة في أوساط المجتمع الإسلامي ، وكان آخر وصايا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بالصلاة وبهذه الشريحة الاجتماعية المهمة ، حيث قال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «اللّه اللّه في صلاتكم ، وما ملكت أيمانكم».

وقال : «ألبسوهم مما تلبسون ، وأطعموهم مما تأكلون».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البيان والتبيين 3 : 157.

(2) تحف العقول : 299.

(3) الكافي 4 : 58 / 6.

وقد جسّد الإمام الباقر عليه‌السلام إيمانه بكرامة الإنسان وسعيه إلى تحريره ، من خلال عتق العبيد والمماليك ، وبذله المزيد من العطاء في هذا السبيل ، امتداداً لعمل آبائه الكرام : ، واقتداءً بأحد خصال أبيه السجاد عليه‌السلام الذي تعامل مع تلك الظاهرة من موقع المسؤولية ، فاتّبع فلسفة خاصة في تحرير العبيد ، وتعامل معهم كبشر لا يميّزهم شيء عن سواهم في تطلعاتهم وآمالهم ، وسعى إلى تربيتهم وزرع القيم الرسالية في نفوسهم.

نعم ، كان الإمام الباقر عليه‌السلام قد تعامل مع تلك الظاهرة على خطى آبائه المعصومين : ، فحث وعمل على شراء المماليك وعتقهم لوجه اللّه ، وتعامل معهم بلطف الأخ الكبير وشفافية الأب الحنون والصديق الحميم ، وكان يجالسهم ويؤدب شرارهم ، ويعمل معهم يداً بيد ، ليزرع فيهم الثقة والاعتزاز بالنفس وبالدين.

روى أبو حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي عليهما‌السلام ، أنه قال في حديث : «أربع من كن فيه من المؤمنين ، أسكنه اللّه في أعلى عليين ، في غرف فوق غرف ، في محل الشرف. إلى أن قال : ومن لم يخرق بمملوكه ، وأعانه على ما يكلفه ، ولم يستسعه فيما لا يطيق» (1).

ولم يكن ذلك شعاراً يطلقه الإمام عليه‌السلام وحسب ، بل كان يمارس العمل مع مماليكه فيما لا يطيقون ، عن داود بن فرقد ، قال : «سمعت أبا عبد اللّه عليه‌السلام يقول : في كتاب رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : إذا استعملتم ما ملكت أيمانكم في شيء يشقّ عليهم ، فاعملوا معهم فيه. قال عليه‌السلام : كان أبي يأمرهم ، فيقول : كما أنتم ، فيأتي فينظر فإن كان ثقيلاً قال : بسم اللّه ، ثم عمل معهم ، وإن كان خفيفاً

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أمالي المفيد : 166.

تنحّى عنهم» (1).

وكان الإمام الباقر عليه‌السلام يكتب لبعضهم عهداً بالحرية بخط يده ويختمه بخاتمه ، منها العهد الذي كتبه لعبد اللّه بن المبارك قبل موته بسنة واحدة ، وكان عبد اللّه من سبي الحروب ، فأتى أبا جعفر عليه‌السلام فقال : «إني رويت عن آبائك : أن كل فتح بضلال فهو للإمام. فقال : نعم. قلت : جعلت فداك ، فإنهم أتوا بي من بعض فتوح الضلال ، وقد تخلصت ممن ملكوني بسبب ، وقد أتيتك مسترقاً مستعبداً. قال عليه‌السلام : قد قبلت. فلما كان وقت خروجه إلى مكة ، قال : مذ حججت فتزوجت ومكسبي مما يعطف علي إخواني ، لا شيء لي غيره ، فمرني بأمرك.

فقال عليه‌السلام : انصرف إلى بلادك ، وأنت من حجك وتزويجك وكسبك في حلّ.

ثم أتاه بعد ست سنين ، وذكر له العبودية التي ألزمها نفسه. فقال : أنت حرّ لوجه اللّه تعالى. فقال : اكتب لي به عهداً ، فخرج كتابه عليه‌السلام :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا كتاب محمد بن علي الهاشمي العلوي لعبد اللّه بن المبارك فتاه ، إنّي أعتقك لوجه اللّه والدار الآخرة ، لا رب لك إلاّ اللّه ، وليس عليك سيد ، وأنت مولاي ومولى عقبي من بعدي ، وكتب في المحرم سنة ثلاث عشرة ومائة ، ووقع فيه محمد بن علي بخط يده وختمه بخاتمه» (2).

وعن محمد بن مروان ، عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام : أن أبا جعفر عليه‌السلام مات وترك

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كتاب الزهد / الحسين بن سعيد : 44 / 117.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 338.

ستين مملوكاً ، فأعتق ثلثهم عند موته ، فأقرعت بينهم وأخرجت الثلث (1).

وعن أبي عبد اللّه عليه‌السلام ، قال : «دخلت على أبي يوماً وقد تصدق على فقراء أهل المدينة بثمانية آلاف دينار ، وأعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر» (2).

## 5 ـ التواضع :

التواضع من الخصال الحميدة التي حظيت بقراءة واقعية من قبل الإمام الباقر عليه‌السلام ، فأكّد أنه على المرء أن يرتقي على العجب ويتغلب على صفة الكبر في نفسه بالسلام والرضا بأدنى المجلس ، وعدم المراء حتى في الحق ، وعدم مجالسة الأغنياء.

قال عليه‌السلام : «التواضع الرضا بالمجلس دون شرفه ، وأن تسلم على من لقيت ، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً» (3).

وقال عليه‌السلام لرجل : «يا فلان ، لا تجالس الأغنياء ، فإنّ العبد يجالسهم وهو يرى أن للّه عليه نعمة ، فما يقوم حتى يرى أن ليس للّه عليه نعمة» (4).

وكان عليه‌السلام يرى أن الكبر يتناسب عكسياً مع المعرفة ، فكلما علم الإنسان عاقبته وما يؤول إليه مصيره ، زهد في الدنيا وتواضع لأبناء جنسه ، وحيثما يكون فارغاً من تلك المعرفة اغترّ بدنياه وزها بنفسه ، وكما يقال : إن السنابل الملآى تميل تواضعاً ، والفارغة تشمخ برأسها ، فالعجب علامة الجهل ، والتواضع دليل المعرفة ، جاء في وصيته عليه‌السلام لجابر الجعفي : «سدّ سبيل العجب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المحاسن 2 : 624 / 81 ، الكافي 7 : 18 / 11.

(2) فلاح السائل : 176.

(3) تحف العقول : 296.

(4) أمالي الصدوق : 326 / 318.

بمعرفة النفس» (1). وقال عليه‌السلام : «ما دخل قلب أحد شيء من الكبر ، إلاّ نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك ، قلّ ذلك أو كثر» (2).

وبيّن أن التكبر صفة مذمومة للعبد ، لأنها تعني تقمص صفة الرب تعالى ، قال عليه‌السلام : «المتكبر ينازع اللّه رداءه» (3).

وعلى صعيد السيرة العملية للإمام الباقر عليه‌السلام ، فإن التواضع صفة بارزة في حياته ، فهو يجتهد نفسه بالعمل لكسب عيشه ، لا يصده عنه كبر السن ، ولا شدّة الحرّ ، ويعدّ ذلك طاعة من طاعات اللّه يكف بها نفسه عن سائر الناس.

عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليهما‌السلام ، قال : «إن محمد بن المنكدر كان يقول : ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفاً ـ لفضل علي بن الحسين عليهما‌السلام ـ حتى رأيت ابنه محمد بن علي ، فأردت أن أعظه فوعظني. فقال له أصحابه : بأي شيء وعظك؟ قال : خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة ، فلقيت محمد بن علي ، وكان رجلاً بديناً ، وهو متكئ على غلامين له أسودين ، فقلت في نفسي : شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا! أشهد لأعظنه؟ فدنوت منه فسلمت عليه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تحف العقول : 284.

(2) كشف الغمة 2 : 344 و 360 ، حلية الأولياء 3 : 180 ، مطالب السؤول : 80 ، الفصول المهمة : 195 ، نور الأبصار : 195 ، تذكرة الخواص : 348 ، سير أعلام النبلاء 4 : 408.

(3) تحف العقول : 292.

فسلم علي ببُهر (1) وقد تصبب عرقاً.

فقلت : أصلحك اللّه ، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحال في طلب الدنيا! لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟! قال : فخلى عن الغلامين من يده ، ثم تساند ، وقال : لو جاءني واللّه الموت وأنا في هذه الحال ، جاءني وأنا في طاعة من طاعات اللّه ، أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس ، وانما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي اللّه. فقلت : يرحمك اللّه ، أردت أن أعظك فوعظتني» (2).

وكان عليه‌السلام في مركبه مثالاً للتواضع ، فلا يمتطي الخيل الفارهة ، بل يفضل الحمار على البغل ، ويحمد اللّه الذي سخّره حين يستوي عليه ، عن عبد اللّه بن عطاء ، قال : «قال لي أبو جعفر عليه‌السلام : قم فأسرج دابتين حماراً وبغلاً ، فأسرجت حماراً وبغلاً ، فقدمت إليه البغل ، ورأيت أنه أحبهما إليه ، فقال : من أمرك أن تقدم إلي هذا البغل؟ قلت : اخترته لك. قال : وأمرتك أنت تختار لي؟! ثم قال : إنّ أحبّ المطايا إلي الحمر. قال : فقدمت إليه الحمار ، وأمسكت له بالركاب فركب ، فقال : الحمد للّه الذي هدانا بالإسلام ، وعلمنا القرآن ، ومنّ علينا بمحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، والحمد للّه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، والحمد للّه رب العالمين» (3).

وكان يؤثر أصحابه بالركوب ، ويفضل أن يمشي على قدميه ، قال السيد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البُهر : تتابع النفس.

(2) الارشاد 2 : 161 ، الفصول المهمة : 195 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 332 ، شرح الأخبار 3 : 282 ، اعلام الورى 1 : 507.

(3) المحاسن 2 : 325 / 41 ، الكافي 8 : 276 / 417.

المرتضى : «روى أن رجلاً نظر إلى كثير الشاعر وهو راكب ، وأبو جعفر محمد بن علي عليهما‌السلام يمشى ، فقيل له : أتركب وأبو جعفر يمشي؟! فقال : هو أمرني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب ، أفضل مني في عصياني إياه بالمشي» (1).

وفي مأكله كان في غاية التواضع والبساطة ، فيكتفي بالخل والزيت أوالجبن وحده ، عن بزيع ، قال : «دخلت على أبي جعفر عليه‌السلام وهو يأكل خلاً وزيتاً في قصعة سوداء ، مكتوب في وسطها بصفرة : قل هو اللّه أحد. فقال لي : اُدن يا بزيع ، فدنوت فأكلت معه ، ثم حسا من الماء ثلاث حسيات حين لم يبق من الخبز شيء ، ثم ناولني فحسوت البقية» (2).

وعن عبد اللّه بن سليمان ، قال : «سألت أبا جعفر عليه‌السلام عن الجبن ، فقال : لقد سألتني عن طعام يعجبني ، ثم أعطى الغلام درهماً ، فقال : يا غلام ابتع لنا جبناً. ودعا بالغداء فتغدينا معه ، وأتى بالجبن فأكل وأكلنا» (3).

## 6 ـ الصبر والحلم :

دعا الإمام الباقر عليه‌السلام إلى إعداد النفس للارتقاء إلى أفضل الكمال المتمثل بجملة تعاليم منها الصبر على النائبة ، قال عليه‌السلام : «الكمال كل الكمال التفقه في الدين ، والصبر على النائبة ، وتقدير المعيشة» (4).

والصبر إضافة إلى كونه من الكمالات ، ومن مصاديق الحلم ، فهو من الفضائل التي قد تؤدي بصاحبها إلى الجنة ، إذا صبر على مصائب الدنيا وعما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أمالي المرتضى 1 : 204.

(2) المحاسن 2 : 440 / 300 ، الكافي 6 : 298 / 14.

(3) الكافي 6 : 339 / 1.

(4) تحف العقول : 292.

حرم اللّه من الشهوات واللذات ، قال عليه‌السلام : «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات ، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار» (1).

وبيّن الإمام الباقر عليه‌السلام مصداق الصبر الجميل ، وهو اجتناب الشكوى إلى الناس ، عن جابر الجعفي ، قال : «قلت لأبي جعفر : يرحمك اللّه ، ما الصبر الجميل؟ قال : ذلك الصبر الذي ليس فيه شكوى إلى الناس» (2).

ويدخل في هذا الإطار الصبر في حال الفاقة والحاجة ، بل وحتى في الغنى الذي قد يؤدي بالإنسان إلى العتوّ والطغيان ، وقد عبر عنه الإمام عليه‌السلام بمروءة الصبر ، لأنه دليل الثقة باللّه ، ولذلك فهو أعلى مرتبة من مروءة الاعطاء.

قال عليه‌السلام : «سخاء المرء عما في أيدي الناس أكثر من سخاء النفس والبذل ، ومروءة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى أكثر من مروءة الاعطاء ، وخير المال الثقة باللّه ، واليأس مما في أيدي الناس» (3).

والصبر صفة بارزة في سيرة الإمام الباقر عليه‌السلام العملية ، مثلما في سيرته القولية ، لأن قوله فعل وممارسة وتجسيد على أرض الواقع بمصاديق عملية واضحة ، فكان عليه‌السلام نموذج الصابر المتوكل على اللّه ، الذي ارتفع إلى حقيقة اليقين المتمثل بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بالقضاء.

روي أنه كان قوم أتوا أبا جعفر عليه‌السلام ، فوافقوا صبياً له مريضاً ، فرأوا منه اهتماماً وغماً ، وجعل لا يقر ، فقالوا : واللّه لئن أصابه شيء ، إنا لنتخوف أن نرى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 89 / 7.

(2) الكافي 2 : 93 / 23.

(3) التهذيب 6 : 187 / 1153.

منه ما نكره. قال : فما لبثوا أن سمعوا الصياح عليه ، فإذا هو قد خرج عليهم منبسط الوجه في غير الحال التي كان عليها ، فقالوا له : جعلنا اللّه فداك ، لقد كنا نخاف مما نرى منك ، أن لو وقع أن نرى منك ما يغمنا. فقال لهم : «إنا لنحب أن نعافى فيمن نحب ، فإذا جاء أمر اللّه سلمنا فيما يحب» (1).

وفي رواية سفيان بن عيينة أنه قال : «ندعو اللّه تبارك وتعالى فيما نحب ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف اللّه فيما أحب» (2).

وعن زرارة ، قال : «فلما قضى الغلام ، أمر به فغمض عيناه وشد لحياه ، ثم قال لنا : إن نجزع ما لم ينزل أمر اللّه ، فإذا نزل أمر اللّه ، فليس لنا إلاّ التسليم ، ثم دعا بدهن فادّهن واكتحل ، ودعا بطعام فأكل هو ومن معه ، ثم قال : هذا هو الصبر الجميل ، ثم أمر به فغسل ، ثم لبس جبة خز ومطرف خز وعمامة خز ، وخرج فصلى عليه» (3).

وحثّ الإمام عليه‌السلام على الحلم وسعة الصدر ، وأكد على ضرورة اقتران الحلم بالعلم ، إذ الحلم لباس العالم ، فيصبر حيثما يقتضي الامر حلماً ، أما الجاهل فلباسه التهور والجزع ، مما يوقعه في أخطاء وخيمة.

جاء في رسالة الإمام الباقر عليه‌السلام إلى سعد الخير : «وليس الحليم الذي لا يتقي أحداً في مكان التقوى ، والحلم لباس العالم ، فلا تعرين منه» (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافى 3 : 226 / 14.

(2) تاريخ دمشق 45 : 294 ، سير أعلام النبلاء 4 : 407 ، كشف الغمة 2 : 363 ، حلية الأولياء 3 : 187.

(3) التهذيب 6 : 187 / 1153.

(4) الكافي 8 : 53 / 16.

وقال عليه‌السلام : «ما شيب شيء بشيء ، أحسن من حلم بعلم» (1).

وجاء في سيرته العملية المزيد من المواقف التي صبر فيها على كيد الأعداء ، وسكت عن الجهال ، وصفح عن المسيئين ، وغضّ الطرف عن الهفوات ، ووسعها بعفوه وصبره وسعة صدره.

ومن ذلك موقفه من الناصبي الذي واجهه بكلمات قبيحة ، رواه محمد بن سليمان ، عن أبيه ، قال : «كان رجل من أهل الشام يختلف إلى مجلس أبي جعفر عليه‌السلام ، ويقول له : يا محمد ، ألا ترى إني إنما أغشى مجلسك حياءً مني لك ، ولا أقول : إن في الأرض أحداً أبغض إلي منكم أهل البيت ، وأعلم أن طاعة اللّه وطاعة رسوله وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم ، ولكن أراك رجلاً فصيحاً ، لك أدب وحسن لفظ ، وإنما الاختلاف إليك لحسن أدبك ، وكان أبو جعفر عليه‌السلام يقول له خيراً ، ويقول : لن تخفى على اللّه خافية ... وصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر عليه‌السلام» (2).

ومنه موقفه من النصراني الذي أراد استفزازه بكثرة الأسئلة ، وأجاب عنها الإمام بردّ جميل وموعظة حسنة ، قال له النصراني : «أنت ابن السوادء الزنجية البذية ، فقال له الإمام عليه‌السلام : إن كنت صدقت غفر اللّه لها ، وإن كنت كذبت غفر اللّه لك. ولم يزد عليها ، فأسلم النصراني» (3).

## 7 ـ الهيبة والوقار :

تجلّت في شخصية الإمام الباقر عليه‌السلام سمات أولياء اللّه وأحبائه الذين أضفى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شرح الأخبار3 : 283 ، الارشاد 2 : 168 ، تحف العقول : 292.

(2) الأمالي / الطوسي : 410 / 923 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 320.

(3) مناقب آل أبي طالب 3 : 337.

عليهم العزة والوقار والهيبة في الدنيا ، والظفر في الآخرة ، قال عليه‌السلام : «إن اللّه عزّوجلّ أعطى المؤمن ثلاث خصال : العزة في الدنيا ، والفلح في الآخرة ، والمهابة في صدور الظالمين ، ثم قرأ : «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُوءْمِنِينَ» (1) (2).

وقد ابتعد الإمام عليه‌السلام عن كل ما ينافي الوقار وسمو الشخصية ومعالي الأخلاق ، فروي أنه كان إذا ضحك قال : «اللهم لا تمقتني» (3).

من هنا كان كل من التقى الإمام عليه‌السلام ، قد بدت له مظاهر العظمة والإجلال وملامح الهيبة والوقار ، عظمة المكارم التي يحملها ، وهيبة الملكات القدسية التي اجتمعت في شخصه عليه‌السلام ، ومنهم الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاري.

قال جابر بن يزيد الجعفي : « دخل جابر بن عبد اللّه الأنصاري على علي بن الحسين عليهما‌السلام ، فبينا يحدّثه إذ خرج محمد بن علي الباقر عليه‌السلام من عند نسائه ، وعلى رأسه ذؤابة ، وهو غلام ، فلما بصر به جابر ارتعدت فرائصه ، وقامت كل شعرة على جسده ، ونظر إليه ملياً ، ثم قال له : يا غلام أقبل. فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ... » (4).

وقال أبو حمزة الثمالي : «لما كانت السنة التي حج فيها أبو جعفر محمد بن علي عليهما‌السلام ، ولقيه هشام بن عبد الملك ، أقبل الناس ينثالون عليه ، فقال عكرمة :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة المنافقون : 63 / 8.

(2) كشف الغمة 2 : 363.

(3 حلية الأولياء 3 : 185.

(4) كفاية الأثر : 55.

من هذا الذي عليه سيماء زهرة العلم لأجربنه؟ فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه ، واسقط في يده ، وقال : يا بن رسول اللّه ، لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره فما أدركني ما أدركني آنفاً؟ فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : ويلك ، إنك بين يدي بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه» (1).

وقابله فقيه أهل البصرة قتادة بن دعامة البصري ، فاضطرب قلبه من هيبته ، فقال : «أصلحك اللّه ، لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس ، فما اضطرب قلبي قدام واحدٍ منهم ما اضطرب قدّامك!» (2).

وقال عبد اللّه بن عطاء المكي : «ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر» (3).

## 8 ـ حسن العشرة :

أكد الإمام الباقر عليه‌السلام في أحاديث مستفيضة على تكريس مبدأ الأخاء في اللّه طلباً لمرضاة اللّه ، وبين فضل ذلك في الدارين ، فقال عليه‌السلام : «من استفاد أخاً في اللّه على إيمان باللّه ووفاء بأخائه طلباً لمرضاة اللّه ، فقد استفاد شعاعاً من نور اللّه ، وأماناً من عذاب اللّه ، وحجة يفلج بها يوم القيامة ، وعزاً باقياً وذكراً نامياً ، لأن المؤمن من اللّه عزوجل لا موصول ولا مفصول» (4).

وأكد على تعهد الإخوان بالزيارة والتواصل والمصافحة ، وإيثارهم على

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 317.

(2) الكافي 6 : 256.

(3) الارشاد 2 : 160 ، روضة الواعظين : 202 ، حلية الأولياء 3 : 185.

(4) تحف العقول : 295.

النفس ، فقال عليه‌السلام : «إن للّه عزّوجلّ جنّة لا يدخلها إلاّ ثلاثة : رجل حكم على نفسه بالحق ، ورجل زار أخاه المؤمن في اللّه ، ورجل آثر أخاه المؤمن في اللّه على نفسه» (1).

وقال عليه‌السلام : «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه ، كتب اللّه له بكل خطوة حسنة ، ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة ، وإذ طرق الباب فتحت له أبواب السماء ، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل اللّه عليهما بوجهه ، ثم باهى بهما الملائكة ، فيقول : انظروا إلى عبدي تزاورا وتحابا في ، حق علي ألاّ أعذّبهما بالنار بعد هذا الموقف ، فإذا انصرف شيعه الملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه ، يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل ، فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب ، وإن كان يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره» (2).

وقال عليه‌السلام : «إن المؤمنَين إذا التقيا فتصافحا أقبل اللّه عزّوجلّ عليهما بوجهه ، وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر» (3).

وجعل الصحبة الطويلة بمثابة القرابة ، فقال عليه‌السلام : «صحبة عشرين سنة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أعلام الدين : 126.

(2) الكافي 2 : 183 / 1.

(3) الكافي 2 : 180 / 4.

قرابة» (1).

وأكد على تعهد الإخوان ومواصلتهم والإحسان إليهم والسعي في حاجاتهم ، فمن كلامه في هذا الاتجاه : «ليس في الدنيا شيء أعون من الإحسان إلى الإخوان» (2).

وقال عليه‌السلام : «ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي له في حاجته قضيت أو لم تقض ، إلاّ ابتُلي بالسعي في حاجة من يأثم عليه ولا يؤجر ، وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضى اللّه ، إلاّ ابتُلى بأن ينفق أضعافها فيما أسخط اللّه» (3).

وقال عليه‌السلام : «إنّ اللّه تعالى أوحى إلى داود : يا داود ، أن العبد من عبيدي ليأتيني بالحسنة فأحكمه بها في الجنّة ، فقال داود : يا رب ، وما تلك الحسنة؟ قال : عبد مؤمن سعى في حاجة أخيه المؤمن أحب قضاءها ، قضيت له أم لم تقض» (4).

وإلى جانب ذلك أوصى عليه‌السلام بحسن السيرة والتعايش مع الآخر ولو كان منافقاً أو يهودياً ، فقال عليه‌السلام : «صانع المنافق بلسانك ، وأخلص ودك للمؤمنين ، وإن جالسك يهودي فأحسن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تحف العقول : 293.

(2) اسعاف الراغبين : 253.

(3) تحف العقول : 293.

(4) أعلام الدين : 265.

مجالسته» (1).

وأوصى عليه‌السلام بالبشر وطلاقة الوجه ، كأحد مقومات حسن العشرة ، فقال عليه‌السلام : «البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقربة من اللّه ، وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من اللّه» (2).

وعلى الصعيد العملي ، عرف الإمام الباقر عليه‌السلام بحسن العشرة وتعهد الإخوان والإحسان إليهم ، قال أبو عبيدة الحذاء : «كنت زميل أبي جعفر عليه‌السلام ، وكنت أبدأ بالركوب ، ثم يركب هو ، فإذا استوينا سلّم وساءل مسألة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح ، قال : وكان إذا نزل نزل قبلي ، فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلم وساءل مسألة من لا عهد له بصاحبه ، فقلت : يا ابن رسول اللّه ، إنك لتفعل شيئاً ما يفعله أحد من قبلنا ، وإن فعل مرة فكثير. فقال : أما علمت ما في المصافحة ، ان المؤمنين يلتقيان ، فيصافح أحدهما صاحبه ، فلا تزال الذنوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر ، واللّه ينظر إليهما حتى يفترقا» (3).

وعن أبي حمزة ، قال : «زاملت أبا جعفر عليه‌السلام فحططنا الرحل ثم مشى قليلاً ، ثم جاء فأخذ بيدي فغمزها غمزة شديدة فقلت : جعلت فداك ، أو ما كنت معك في المحمل؟! فقال : أما علمت أن المؤمن إذا جال جولة ثم أخذ بيد أخيه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأمالي / الشيخ المفيد 13 : 185 / 10 ، تحف العقول : 292 ، أعلام الدين : 301.

(2) تحف العقول : 297.

(3) الكافي 2 : 179 / 1.

نظر اللّه إليهما بوجهه ، فلم يزل مقبلاً عليهما بوجهه ، ويقول للذنوب تتحات عنهما ، فتتحات ـ يا أبا حمزة ـ كما يتحات الورق عن الشجر ، فيفترقان وما عليهما من ذنب» (1).

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 180 / 7.

الفصل الخامس

على أعتاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أنبأ رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن الدور العلمي الذي سيضطلع به حفيده الباقر عليه‌السلام ، حينما بشّر الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاري بادراك زمانه ورؤيته ، وأنه يبقر العلم بقراً ، فيخرجه من منابعه الأصيلة وكنوزه الدفينة ، وقد تحقق ذلك بجهود الإمام الباقر عليه‌السلام على طريق انشاء جامعة أهل البيت العلمية ، وتغذيتها بحقول المعرفة المختلفة.

## تأسيس مدرسة أهل البيت : :

إذا كان لكل واحد من أئمة أهل البيت : دور ينسجم مع الحاجات البشرية ويتوافق مع طبيعة ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية ، فيمكن القول : إن جهود أئمة أهل البيت : كانت تدور كلّها حول محور واحد ، وهو محور الحفاظ على الإسلام من خطر الانحراف الذي بدأ يدبّ في جسم هذه الأُمّة منذ اليوم الأول للسقيفة المشؤومة التي كانت السبب المباشر لكل ما تلاها من عوامل وأسباب الانحراف الذي كلّف أهل البيت : تضحيات جسيمة ، حيث تعاملوا مع مسبّبات الانحراف كل بحسب طبيعة المرحلة التي تكتنفه زماناً ومكاناً.

وفي حدود ما اتّصل بحياة الإمام الباقر عليه‌السلام ونشاطه العلمي المبدع على جميع الاتجاهات نجد أبيه الإمام السجّاد عليه‌السلام قد مهّد لولده الإمام الباقر عليه‌السلام الدور الذي سيضطلع به ، حيث استطاع إمامنا زين العابدين عليه‌السلام رغم سوء الظروف التي اكتنفت عصره أن يضع إصبعه على مواطن الانحراف ، وأن يجمع صفوف المؤمنين من أصحابه ، ويركّز على تربيتهم روحياً وعلمياً ، ليعيد الثقة إلى نفوسهم ، وكان أولئك الرجال من أهم أدوات مدرسة أهل البيت :.

وبعد وفاة الإمام السجاد عليه‌السلام بزغ نجم الباقر عليه‌السلام في سماء المدينة ، فحاول أن ينأى بنفسه عن دوائر الصراع السياسي خلال فترة إمامته ، كي يمهّد السبيل لأداء مهمته الرسالية المتمثلة بالتأسيس العلمي لفقه أهل البيت : ، وإقامة ركائز مدرستهم : ، فأتيح له أن يبلور اتجاه أهل البيت : إلى العلم والتعليم.

ورغم الإرهاب الفكري والسياسي الذي أشاعه الحكم الأموي المنحرف حينذاك ، كرس الإمام الباقر عليه‌السلام خلال إمامته كل جهوده لاستقطاب المسلمين حول تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة ، وإرساء ركائز البناء العلمي والتربوي على قواعد الإسلام المتينة ومصادره وأصوله الرصينة ، في وقت بدأ الحكام بترويج فقه وعاظ السلاطين المداهنين للسلطة الظالمة ، واستطاع الإمام الباقر عليه‌السلام إغناء الواقع الإسلامي بما فتح عليه من آفاق العلم والمعرفة ، وما حققه من انجازات علمية رائعة ، وبالتالي أسهم في حفظ الشريعة المقدسة من خطر الزوال والتحريف.

ولم يقتصر التدريس في مدرسة أهل البيت على أصول الاعتقاد والفقه

وأصوله ، بل تعداه إلى تدريس الفلسفه والكلام والطب وغيرها من العلوم المتاحة آنذاك ، وامتدّ أثر تلك المدرسة بما تحمل من علوم على مساحة واسعة من الأرض ، بعد أن كانت محصورة في مساجد المدينة المنورة والكوفة والبصرة ، فكانت مدرسة مفتوحة على الواقع الإسلامي كلّه ، واستوعبت فطاحل العلماء في عصره من مختلف الميول والاتجاهات.

وحين لفظت الدولة الأموية أنفاسها الأخيرة ، لاح في الأفق شيء من الانفراج للنشاط الفكري ، الأمر الذي جعل مدرسة أهل البيت تكتمل على يد صادق أهل البيت جعفر بن محمد عليهما‌السلام لتبلغ أوجها ، من حيث عدد طلابها وسعة العلوم التي تصدت لنشرها ، تلك العلوم المأخوذة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بواسطة وصيه وسبطيه ومن تلاهما من العترة الطاهرة : ، فعميد المدرسة الصادق عليه‌السلام هو القائل : حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وحديث رسول اللّه قول اللّه عزوجل (1).

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أحيا دوارس الربوع الخاليه  |  | فأصبحت ذات قباب عاليه  |
| أنار وجه الحق والحقيقه  |  | بأحسن البيان والطريقه  |
| أحيا بما فيه من اللطائف  |  | لطيفة العارف والمكاشف  |
| أحيا بعلمه معالم الهدى  |  | فأصبحت آمنة من الردى (2)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 53 / 14.

(2) الأنوار القدسية : 73.

## اجراءاته عليه‌السلام في هذا السبيل :

كان على رأس سلّم أولويّات الإمام الباقر عليه‌السلام ، في اطار وضع اللبنات لمدرسة أهل البيت : ، هو العمل على إبراز هوية الإسلام بعد اختلاط الأوراق في زمانه ، وإظهاره على أنه التمثيل الواقعي لما أراده اللّه تعالى ورسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عقيدة وفكراً وتشريعاً ، ومن ثم العمل على تهيئة مقدمات نشر علوم أهل البيت : ، ضمن عدة اجراءات اتخذها لتحقيق هذا الغرض ، منها اعداد الجماعة الصالحة سلوكاً وعملاً ، والحث على طلب العلم ، والدعوة إلى تدوينه ، والانفتاح على الواقع الإسلامي بكل ما فيه من مذاهب وفرق وتوجهات ، والدعوة إلى اعتماد الكتاب والسنة ، ومجابهة أصحاب الرأي والقياس ، وإعداد نخبة من المؤلفين والثقات من أصحابه الذين حملوا على أكتافهم رسالة الإسلام ومنار العلم ، وفيما يلي شرح موجز لتلك الإجراءات :

### 1 ـ إعداد الجماعة الصالحة :

لم تكن رسالة الإمام الباقر عليه‌السلام قائمة على العلوم النظرية البحتة ، بل كانت ذات سمة قرآنية دنيوية طفحت على جنباتها الأخلاق الفاضلة والتربية الإسلامية الصحيحة التي تؤكد تربية الذات على النقاء والطهارة ، وتعميق الصفات الأخلاقية في المجتمع الإسلامي ، وقد عمل الإمام الباقر عليه‌السلام بوحي من عمق إدراكه للواقع على إعداد النماذج الإسلامية المتحركة ، التي تسير على أكتافها عجلة مدرسة أهل البيت : ، وتعمّ باشعاعها ونورها مختلف قطاعات الأمة ، بوصفها الكتلة المؤمنة والمحافظة على خط الإسلام الأصيل.

حرص الإمام عليه‌السلام على بلوغ هذه الأهداف من خلال عدة توصيات ، كان لها الأثر الفاعل في تربية الكوادر الرسالية الواعية والنخبة الصالحة على

المستوى السلوكي والفكري ، وركز في توصياته على بيان مفهوم التشيع الأصيل ، وتأطير خواص ومميزات المنتمين إليه ، فليس جميع الشيعة بمستوى واحد من الخلال التي تؤهلهم لما يريده الإمام عليه‌السلام ، بل فيهم الانتهازي الذي يتحين الفرص ، وفيهم من يتهشم كالزجاج في وقت الفتنة والابتلاء ، وفيهم من هو كالذهب الخالص كلما فتنته إزداد جودة ، قال أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : «شيعتنا ثلاثة أصناف : صنف يأكلون الناس بنا ، وصنف كالزجاج تهشم ، وصنف كالذهب الأحمر كلما أدخل النار ازداد جودة» (1).

وأولئك الذين وصفهم الإمام عليه‌السلام بالذهب الأحمر ، هم الذين توافرت فيهم عِدّة خصال حددها الإمام عليه‌السلام في جملة أحاديث :

أولاً : إخلاص الولاء والمحبة لأهل البيت : وإحياء أمرهم ، باعتبارهم الصفوة والقيادة الرسالية ، قال عليه‌السلام : «إنما شيعة علي عليه‌السلام المتباذلون في ولايتنا ، المتحابون في مودتنا ، المتزاورون لاحياء أمرنا ، الذين إذا غضبوا لم يظلموا ، وإذا رضوا لم يسرفوا ، بركة على من جاوروا ، سلم لمن خالطوا» (2).

ثانياً : لا يكفي الشيعي أن ينتحل محبة أهل البيت : ويدين بولايتهم وحسب ، بل لا بد أن يتمسك بتقوى اللّه ويعمل بطاعته ، فمن كان للّه مطيعا فهو لهم : ولي ، ومن كان للّه عاصيا فهو لهم عدو ، ولا بد أن يعمل بعملهم ويستن بسنتهم ، فلا تنال ولايتهم إلاّ بالورع والعمل والاجتهاد ، ولابد للشيعي أن يتحلّى بمكارم الأخلاق ويجعلها سلوكاً وعملاً يسير على الأرض ، وعلى رأس تلك الفضائل التواضع والتخشع وصدق الحديث والأمانة وكثرة الذكر وتلاوة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ دمشق 45 : 291 ، كشف الغمة 2 : 344 ، حلية الأولياء 3 : 183.

(2) تحف العقول : 300.

القرآن والصوم والصلاة وتعهد الجيران والأيتام.

قال الباقر عليه‌السلام لمحمد بن مسلم : «يا محمد ، لا تذهبنّ بكم المذاهب ، فواللّه ما شيعتنا منكم إلاّ من أطاع اللّه» (1).

وقال عليه‌السلام لبعض شيعته : «إنا لا نغني عنكم شيئاً إلاّ بالورع ، وإن ولايتنا لا تنال إلاّ بالورع والاجتهاد ، ولا تدرك إلاّ بالعمل ، وإنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً وأتى جوراً» (2).

وقال عليه‌السلام لجابر بن يزيد الجعفي : «يا جابر ، أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فو اللّه ما شيعتنا إلاّ من اتقى اللّه وأطاعه ، وما كانوا يعرفون ـ يا جابر ـ إلاّ بالتواضع ، والتخشع ، وكثرة ذكر اللّه ، والصوم ، والصلاة ، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير ، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.

فقال جابر : يا بن رسول اللّه ، لست أعرف أحدا بهذه الصفة. فقال : يا جابر ، لا تذهبنّ بك المذاهب ، أحسب الرجل أن يقول أحبّ عليا وأتولاه! فلو قال : اني أحبّ رسول اللّه ؛ ورسول اللّه خيرٌ من عليّ ، ثم لا يعمل بعمله ولا يتبع سنته ، ما نفعه حبّه إيّاه شيئا ، فاتقّوا اللّه واعملوا لما عند اللّه ، ليس بين اللّه وبين أحد قرابة ، أحبّ العباد إلى اللّه وأكرمهم عليه ، أتقاهم له وأعملهم بطاعته ، واللّه ما يتقرّب إلى اللّه جلّ ثناؤه إلاّ بالطاعة ، ما معنا براءة من النار ، ولا على اللّه لأحد من حجّة ، من كان للّه مطيعا فهو لنا وليّ ، ومن كان للّه عاصيا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) حلية الأولياء 3 : 184 ، كشف الغمة 2 : 344 ، أعلام الدين : 144.

(2) أعلام الدين في صفات المؤمنين : 127 و 301.

فهو لنا عدو ، ولا تنال ولايتنا إلاّ بالورع والعمل» (1).

ثالثاً : أمرهم أن يجاهدوا أنفسهم كي يعرجوا في سلّم الكمال ، قال عليه‌السلام : «إنما شيعة علي عليه‌السلام الشاحبون الناحلون الذابلون ، ذابلة شفاههم ، خميصة بطونهم ، متغيرة ألوانهم ، مصفرة وجوههم ، إذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً ، واستقبلوا الأرض بجباههم ، كثير سجودهم ، كثيرة دموعهم ، كثير دعاءهم ، كثير بكاءهم ، يفرح الناس وهم محزونون» (2).

رابعاً : وأمرهم أن يعرضوا أنفسهم على المكارم الواردة في القرآن ، وأن يسلكوا سبيله ، فمن وصيته إلى جابر بن يزيد الجعفي : « واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا : إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ، ولكن اعرض نفسك على كتاب اللّه ، فان كنت سالكاً سبيله ، زاهداً في تزهيده ، راغباً في ترغيبه ، خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر ، فإنه لا يضرك ما قيل فيك. وإن كنت مبايناً للقرآن ، فماذا الذي يغرك من نفسك؟ ان المؤمن معنّي بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمرّة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة اللّه ، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها ، فينعشه اللّه فينتعش ، ويقيل اللّه عثرته ، فيتذكر ويفزع إلى التوبة والمخافة ، فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف ، وذلك بأن اللّه يقول : «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» » (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أمالي الطوسي : 735 / 1535 ، الكافي 2 : 60 / 3 ، تحف العقول : 294.

(2) الخصال : 444 / 40.

(1) تحف العقول : 284 ، والآية من سورة الأعراف : 7 / 201.

خامساً : حرص عليه‌السلام على تأصيل الخصال الإسلامية في سلوكهم ، ونبذ خصال السوء ، ففي قول اللّه عزّوجلّ : «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً» (2).قال عليه‌السلام : «قولوا لهم أحسن ما تحبون أن يقال لكم ، ثم قال : إن اللّه عزوجل يبغض اللعان السباب ، الطعان الفحاش المتفحش ، السائل الملحف ، ويحب الحيي الحليم ، العفيف المتعفف» (3).

سادساً : كان عليه‌السلام يطلب من شيعته أن لاينعزلوا عن محيطهم الاجتماعي ، وأن يتجردوا عن حبّ الذات ، لأن التشيع لا ينفك عن الألفة والأخوة ، وتحقيق أعلى مستويات التعاون والإيثار ، فأوصاهم بتعهد الجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام.

وفي هذا الشأن ، يقول جابر بن يزيد الجعفي : «دخلت على أبي جعفر الباقر عليه‌السلام فقلت : أوصني يا ابن رسول اللّه. فقال : ليعن قويكم ضعيفكم ، وليعطف غنيكم على فقيركم ، وليساعد ذو الجاه منكم بجاهه من لا جاه له ، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه ، واكتموا أسراركم ، ولا تحملوا الناس على رقابنا» (4).

وقال عليه‌السلام لأحد أصحابه : «يا اسماعيل ، أرأيت فيما قبلكم إذا كان الرجل ليس له رداء ، وعند بعض إخوانه فضل رداء ، يطرحه عليه حتى يصيب رداء؟ فقلت : لا. قال : فإذا كان له إزار يرسل إلى بعض إخوانه بإزاره حتى يصيب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة البقرة : 2 / 83.

(2) تاريخ اليعقوبي 2 : 321.

(3) أعلام الدين : 314 ، بشارة المصطفى : 113.

إزارا؟ فقلت : لا. فضرب بيده على فخذه ، ثم قال : ما هؤلاء باخوة» (1).

### 2 ـ الحثّ على طلب العلم وتعليمه :

وفي المجال النظري حثّ الإمام الباقر عليه‌السلام أتباعه على طلب العلم ، باعتباره الدعامة الأولى والمقدمة الضرورية التي يرتكز عليها صرح المدرسة العلمية ، وذلك من خلال الارشادات التالية :

أولاً : تحدث عليه‌السلام عن تمجيد العلم ، وبين ثمراته وفوائده ، وأثنى على طلابه.

عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : « سارعوا في طلب العلم ، فوالذي نفسي بيده لحديث واحد في حلالٍ وحرام ، تأخذه عن صادق ، خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضّة ، وذلك أنّ اللّه يقول : «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» » (2).

وقال عليه‌السلام : «ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلاّ خاض الرحمة ، وهتفت به الملائكة : مرحباً بزائر اللّه ، وسلك من الجنة مثل ذلك المسلك» (3).

ومن كلامه عليه‌السلام في هذا السياق ، قوله لبعض أصحابه : «تعلموا العلم ، فإن تعلّمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، والعلم ثمار (4) الجنة ، وأنس في الوحشة ، وصاحب في الغربة ، ورفيق في الخلوة ، ودليل على السراء ، وعون على

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مصادقة الاخوان / الصدوق : 36 ، مجموعة ورام 2 : 85 ، كتاب المؤمن / الحسين ابن سعيد : 45.

(2) المحاسن 1 : 227 / 156 ، الآية من سورة الحشر : 59 / 7.

(3) ثواب الأعمال : 131.

(4) في التذكرة : منار.

الضراء ، وزين عند الأخلاء ، وسلاح على الأعداء ، يرفع اللّه به قوماً فيجعلهم في الخير سادة ، وللناس أئمة ، يقتدى بفعالهم ، وتقتصّ آثارهم ، ويصلى عليهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البرّ وأنعامه» (1).

ثانياً : شدد الإمام عليه‌السلام على ضرورة سؤال أهل العلم ومذاكرتهم ، لأن السؤال هو المفتاح الذي يلج منه الطالب إلى خزائن العلم ، قال عليه‌السلام : «العلم خزائن ، والمفاتيح السؤال ، فاسألوا يرحمكم اللّه ، فانه يؤجر في العلم أربعة : السائل ، والمتكلم ، والمستمع ، والمحبّ لهم» (2).

وقال : «ألا إن مفاتيح العلم السؤال ، وأنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شفاء العمى طول السؤال وانما  |  | تمام العمى طول السكوت على الجهل»(3)  |

أما المذاكرة في العلوم ، فإنها تفتح آفاق الدراسة والمعرفة الواسعة ، وذلك من وسائل إحياء للعلم ، قال الباقر عليه‌السلام : «رحم اللّه عبداً أحيا العلم. فقيل : وما إحياؤه؟ قال : إن يذاكر به أهل الدين والورع» (4).

وقال عليه‌السلام : «تذاكر العلم ساعة خير من قيام ليل» (5). وقال عليه‌السلام : «تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة» (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أعلام الدين في صفات المؤمنين : 302 ، التذكرة الحمدونية : 387.

(2) الخصال : 245 / 101.

(3) كفاية الأثر : 252.

(4) الكافي 1 : 41 / 7 ، منية المريد / الشهيد الثاني : 169.

(5) الاختصاص : 245.

(6) المحاسن 1 : 206 / 62 ، الكافي 1 : 41 / 9.

وهنا يرتفع الإمام عليه‌السلام بدراسة العلم إلى مستوى الصلاة والعبادة ، فأنت حينما تتدارس العلم مع الآخرين ، فكأنك تصلي وتتعبد ، يصلي عقلك ويتعبّد إلى اللّه سبحانه حتى يفيض عليه الحقيقة مما لم يطلع عليه في دراسته وحده.

فالعلم لا يقتصر على أن نقرأ ونسمع ، لأن التلقي والتلقين وحدهما من المسائل السلبية التي لا يتعمق بهما العلم ، ولا تُفتح آفاقه ، وهذا من التعاليم الراقية لمن يريد أن ينهض بتأسيس مدرسة علمية تلتقي فيها مختلف الطوائف ، لأن التذاكر يجعل الفكر يصطدم بفكر الآخر أو ينفتح عليه ، كما قد يكون التذاكر تفاعلاً ذاتيا مع العلم ، مما يجعل العلم يتعمق في الذات.

ثالثاً : وضع الإمام الباقر عليه‌السلام الأسس القويمة لآداب المتعلمين ، قال عليه‌السلام : «إذا جلست إلى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه» (1).

وتحدّث الإمام عليه‌السلام عن الروحية التي ينبغي للمتعلم أن يعيشها في طلب العلم ، فقال عليه‌السلام : «من طلب العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوأ مقعده من النار ، إن الرياسة لا تصلح إلاّ لأهلها» (2).

ذلك لأن هناك من يطلب العلم للشيطان ولا يطلبه للّه ، فقد يريد من العلم أن يخدم شخصه في الجاه أو الكسب المادي ، كي يصرف وجوه الناس إليه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الاختصاص : 245.

(2) الكافي 1 : 47/6.

 وهناك من يتشدق به في مواجهة العلماء ، أو يجادل به السفهاء ، لتأكيد ذاته مباهاة وافتخاراً ، وفي المقابل فإن هناك من يطلب العلم من أجل أن ينير ذاته في معرفة الحقيقة ، وأن ينير بالعلم مجتمعه.

رابعاً : تحدّث الإمام أبو جعفر عليه‌السلام في كثير من أحاديثه عن صفات العلماء ، ودعاهم إلى الابتعاد عن الآفات النفسية سيما الحسد ، وإلى عدم استصغار من هو دونهم من صغار طلابهم ، قال عليه‌السلام : «لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ، ولا محقراً لمن دونه» (2).

ونهى المتصدين منهم للإفتاء عن الفتوى بغير علم ، لأنها مصدر لضلالة الأمة ، قال عليه‌السلام : «ما علمتم فقولوا ، وما لم تعلموا فقولوا : اللّه أعلم» (3).

واعتبر ذلك من حقوق اللّه سبحانه على العباد ، فقد سأله زرارة : «ما حق اللّه على العباد؟ فقال عليه‌السلام : أن يقولوا ما يعلمون ، ويكفوا عما لا يعلمون ، فإذا فعلوا ذلك فقد أدوا إلى اللّه حقه» (4).

وطلب الإمام عليه‌السلام من أهل العلم العمل بمقتضى العلم ، وتطبيق ما علموه على واقع حياتهم ، لأن ذلك يفتح عليهم آفاقاً علمية رحبة ، قال عليه‌السلام : «من عمل بما يعلم ، علمه اللّه ما لا يعلم» (4). وقال عليه‌السلام : «إذا سمعتم العلم فاستعملوه» (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تحف العقول : 294.

(2) المحاسن 1 : 206 / 62 ، الكافي 1 : 42 / 4.

(3) المحاسن 1 : 204 / 53 ، الكافي 1 : 50 / 12.

(4) أعلام الدين في صفات المؤمنين : 300.

(5) الكافي 1 : 45 / 7.

ودعاهم إلى تعاطي العلم وإشاعته بين الناس ، جاعلاً ذلك بمثابة الزكاة للعلم ، يقول عليه‌السلام : «زكاة العلم أن تعلمه عباد اللّه» (1).

خامساً : بيّن الإمام عليه‌السلام نوع العلم الذي ينبغي على المعلّم تعليمه إلى طلابه ، فيقول عليه‌السلام : «من علّم باب هدى ، فله مثل أجر من عمل به ، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ، ومن علم باب ضلال ، كان عليه مثل أوزار من عمل به ، ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً» (2).

سادساً : أشاد عليه‌السلام بفضل العلماء ، وبين سمو منزلتهم ، فقال عليه‌السلام : «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس ، فكل من أبصر شمعته دعا له بخير» (3).

وقال عليه‌السلام : «إن الذي يعلّم العلم منكم ، له مثل أجر المتعلّم ، وله الفضل عليه ، فتعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء» (4).

وقال عليه‌السلام : «عالم ينتفع بعلمه ، أفضل من سبعين ألف عابد» (5).

### 3 ـ الانفتاح على الأمة بكل طوائفها :

رغم أن الإمام الباقر عليه‌السلام يمثل عنواناً مذهبياً في ما يعتقده كثير من المسلمين بأنه إمام في موقع الوصاية من الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، إلاّ أنه كان منفتحاً على مختلف أطياف الواقع الإسلامي ، وكان مرجعاً لها جميعاً ، وحرص على أن تمتاز مدرسته بالسعة والشمولية والتنوع ، بحيث يصدق عليها مدرسة الإسلام الكبرى ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 41 / 3.

(2) تحف العقول : 297.

(3) الاحتجاج 1 : 28 / 156 ، اليقين / ابن طاوس : 7.

(4) الكافي 1 : 35 / 2.

(5) حلية الأولياء 3 : 183 ، الفصول المهمة : 195 ، كشف الغمة 2 : 344 ، أعلام الدين في صفات المؤمنين : 83 ، تحف العقول : 294 ، مطالب السؤول : 80.

ويتضح ذلك مما يلي :

أولاً : التواضع العلمي ، وهو المقدمة الأساسية لتحقيق الانفتاح على الأمة ، وأبدى الإمام الباقر عليه‌السلام تواضعه العلمي في روايته حديث اللوح عن جابر مع علمه الأكيد بهذا الحديث الشريف ، فقد ثبت في الصحيح أنه عليه‌السلام عارض ما يحفظ من حديث اللوح الذي يتضمن النص على أئمة أهل البيت : واحداً واحداً ، بالأصل الذي كان عند الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاري عليهما ‌السلام ، وتجشم زحمة الذهاب إلى بيت جابر لهذا الغرض ، وجاء في الرواية أنه عليه‌السلام قال لجابر : هل لك يا جابر أن تعرضه علي؟ فقال : نعم ، فمشى معه عليه‌السلام حتى انتهى إلى منزل جابر ، فأخرج إليه صحيفة من رقّ ، فقال : يا جابر ، انظر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك ، فنظر جابر في نسخته ، فقرأه عليه وما خالف حرف حرفاً (1). ولا يخلو هذا العمل من محاولة الإمام عليه‌السلام إثارة الوازع في نفوس أصحابه لطلب العلم ، ودفعهم باتجاه التفاني في سبيل الحفاظ على السنة المحمدية وتدوينها.

ويدل على تواضعه من خلال تواصله العلمي ومراسلاته الفقهية وحواراته الفكرية والكلامية مع علماء الإسلام من مختلف أوساط الأمة بمن فيهم حكام الجور الأمويين وفقهائهم ، كالحسن البصري ، ونافع مولى عبد اللّه ابن عمر ، والأبرش بن الوليد الكلبي وزير هشام بن عبد الملك ، وقتادة بن دعامة البصري ، وسالم التمار من الزيدية ، وطاوس اليماني ، وعبد اللّه بن معمر الليثي ، وعبد اللّه بن المبارك ، وعمر بن عبد العزيز ، وعمرو بن عبيد من المعتزلة وآخرين ، باعتبار أن الحوار هو الذي يقلّص مساحة الخلاف.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اكمال الدين : 308.

ثانياً : استقطاب رواد المعرفة بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية والفقهية والعقدية ، فتجد في مجلسه وحلقة درسه مختلف رجالات الفكر من شتى ديار الإسلام ، منهم العامي والزيدي والمعتزلي والمتصوف والخارجي وغيرهم ، فلا يضيق مجلسه بفكر يختلف مع فكره ، ولا بعالم يلتزم اجتهاداً أو يتبنى مذهباً معيناً في الفقه أو الكلام.

قال الشيخ الطبرسي في ذكره لتاريخ الإمام الباقر عليه‌السلام : يختلف إليه الخاص والعام ، ويأخذون عنه معالم دينهم ، حتى صار في الناس علماً تضرب به الأمثال (1).

ويقول أبو زهرة : ورث الباقر إمامة العلم ونبل الهداية عن أبيه زين العابدين ، ولذا كان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية ، وما زار أحد المدينة ، إلاّ عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه ، وكان ممن يزوره علماء من الذين يتشيعون لآل البيت ، وعلماء من أهل السنة ، وكان يقصده بعض المنحرفين الغلاة في تشيعهم الذين أفرطوا ، فكان يبين لهم الحق ، فإن اهتدوا أخذ بيدهم إلى الحق الكامل ، وان استمروا على غيهم صدهم ، وأخرجهم من مجلسه ، وكان يقصده من أئمة الفقه والحديث كثيرون ، منهم سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة محدث مكة ، ومنهم الإمام أبو حنيفة (2) فقيه العراق ، وكان

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاج المواليد : 40.

(2) عدّ الحافظ أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي الإمام الباقر عليه‌السلام من التابعين الذين روى عنهم أبو حنيفة ، في كتابه جامع مسانيد أبي حنيفة 2 : 349 ، وجاء في تذكرة الخواص : 347 قال ابن سعد : محمد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة ، كان عالماً عابداً ثقة ، روى عنه الأئمة أبو حنيفة وغيره.

 يرشد كل من يجيء إليه ، ويبين له الحق الذي لا عوج فيه (1).

وعدا من ذكر أبو زهرة ، عدّ المترجمون للإمام عليه‌السلام من رجال العامة أعلاماً آخرين تلقوا العلم عنه عليه‌السلام ، مما يدل على سعة مدرسته وتنوعها ، منهم : أبو إسحاق السبيعي ، وأبيض بن أبان ، والأعمش ، والأوزاعي إمام الشام ، وحجاج بن أرطاة ، وحرب بن سريج ، وحفص بن غياث ، والحكم بن عتيبة ، وخالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف السلولي ، وربيعة الرأي ، والزهري ، وأخوه زيد ، وعبادة بن صهيب ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعبد اللّه بن أبي بكر ابن حزم شيخ مالك ، وعبد الملك بن جريج إمام مكة ، وعطاء بن أبي رباح ، وعمر بن خالد الواسطي ، وعمرو بن دينار ، والقاسم بن الفضل الحذاء ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وقرة بن خالد البصري ، وكيسان صاحب الصوفية ، وليث بن أبي سليم ، ومالك ، ومحمد بن المنكدر ، ومحمد بن يوسف ، ومخول بن راشد ، ومعمر بن يحيى ، ومكحول بن راشد ، ووكيع ، ويحيى بن أبي كثير ، وغيرهم (2).

وعدّ المترجمون له عليه‌السلام من الشيعة رجالاً من الزيدية أو البترية رووا عنه عليه‌السلام معالم الدين ، منهم : أبو المقدام ثابت الحداد ، والحسن بن صالح بن حي ، وإليه تنسب الزيدية الصالحية ، وأبو الجارود زياد بن المنذر ، وإليه تنسب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الإمام الصادق / محمد أبو زهرة : 22.

(2) تاريخ دمشق 45 : 268 ، و 272 ، البداية والنهاية 9 : 338 ، سير أعلام النبلاء 4 : 401 ، تذكرة الحفاظ / الذهبي 1 : 124 ، طبقات الحفاظ / السيوطي : 56 ، كشف الغمة 2 : 344 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 327 ، الجمع بين رجال الصحيحين 2 : 446.

الزيدية الجارودية ، وسالم التمار ، وسعيد بن خيثم الهلالي وأخوه معمر وكانا من دعاة زيد ، وسلمة بن كهيل ، وصباح بن قيس بن يحيى المزني ، وطلحة بن زيد ، وعمر بن قيس الماصر ، وعمرو بن جميع ، وعمرو بن خالد الواسطي ، وغياث بن إبراهيم ، وقيس بن الربيع ، وكثير النواء ، ومحمد بن زيد ، ومسعدة ابن صدقة ، ومقاتل بن سليمان ، ومنصور بن المعتمر ، ويوسف بن الحارث.

وذكروا أيضاً جملة من أعلام الأمة تطول قائمة تعدادهم ، فيهم خيرة وفضلاء وأئمة التابعين ومن قاربهم من شيوخ آل أبي طالب وغيرهم ممن روى عنه وتلمذ له في مدرسته (1).

ونحن حينما ندرس تلك المرحلة ، نلمس الدرس الوحدوي الإسلامي في مسألة الثقافة والفكر ، بعيداً عن كل ما يثير الخلاف والتناحر ، وعلى ضوئه يمكننا اليوم أن نوسع ساحتنا الإسلامية ، كي ينطلق المسلمون مع اختلاف أفكارهم وتعددها ، ليلتقوا في مدرسة واحدة ، يطرح فيها كل واحد فكره ، دون أي تعقيد أو احراج ، فما دام الاختلاف في تحديد ما هو الإسلام عقيدة وشريعة ومفاهيم ، وما دامت المسألة هي في اكتشاف الحقيقة الإسلامية من الكتاب والسنة ، فلماذا يحمل المسلم في داخله حقداً على أخيه المسلم الآخر ، قد يصل إلى حد الاقصاء والتكفير وإباحة إزهاق الأرواح على الهوية ، مثلما يحصل اليوم في عراقنا الدامي من قبل عصابات الاجرام الضالة التي تقودهم الوهابية على مرأى ومسمع كل أحد!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : من روى عنه عليه‌السلام في رجال الطوسي ، وخلاصة الأقوال ، ورجال ابن داود ، ورجال النجاشي وغيرها من مصادر ومجاميع رجال الشيعة.

## هل روى عنه عليه‌السلام من يحتج به؟

قد يبدو هذا السؤال غريباً مع ما ذكرنا من أسماء الرجال الذين رووا العلم عن الإمام الباقر عليه‌السلام ، وما ذكره الذين ترجموا للإمام عليه‌السلام من أنه روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين ، وكبار أئمة الحديث ، ووصفهم الذهبي والسيوطي بالخلق أو الخلائق مما يدل على كثرتهم (1). ولكن ابن سعد في طبقاته يقول في ترجمة الباقر عليه‌السلام : كان ثقة كثير العلم والحديث ، وليس يروي عنه من يحتج به (2) ، وهل يعقل أنه لم يطلع على هذا اللفيف من رجالات الأمة بمختلف مشاربهم واتجاهاتهم واطلع فقط على الضعفاء الذين رووا الحديث عنه عليه‌السلام؟ فهلا يحتج بأمثال فطاحل العلم ابنه جعفر الصادق عليه‌السلام وأخوه زيد ، وأعلام التابعين وأئمة العلم في عصره؟! فانظر أين وصلت العصبية بابن سعد في تجاهله مثل هذه الحقائق الدامغة ، فكان كمن أراد تغطية ضوء الشمس بغربال؟

### 4 ـ اعتماد الكتاب والسنة :

الكتاب والسنة الأساسان المتينان لأي مدرسة علمية تتصدى لنشر علوم الإسلام ، والابتعاد عنهما يعني البناء على قاعدة هشّة ، لا تلبث أن تنزع عنها رداء الإسلام وهويته لتلحق بمدارس الهوى والضلال والانحراف.

من هنا يعتقد أئمة أهل البيت : وشيعتهم من بعدهم اعتقاداً راسخاً بأن القرآن الكريم والسنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريراً ، هما أصل التشريع ومصدره

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البداية والنهاية 9 : 338 ، سير أعلام النبلاء / الذهبي 4 : 401 ، تذكرة الحفاظ / الذهبي 1 : 124 ، طبقات الحفاظ / السيوطي : 56 ، روضة الواعظين : 202.

(2) الطبقات الكبرى 5 : 248.

الأم بلا منازع ، ومن ذلك ندرك سرّ التلازم والتوافق بين القرآن الكريم والعترة المطهرة القائم منذ صدور حديث الثقلين ، والباقي ما دام هناك مسلم على وجه الأرض ، وعلى هذه الخطى جاء عن الإمام الباقر عليه‌السلام جملة توصيات :

أولاً : دعا الإمام الباقر عليه‌السلام ومن قبله آباؤه : إلى مركزية الكتاب الكريم ، وكونه حاكماً على جميع ما نسب إلى السنة في جميع الأحكام الشرعية والعقائد التي جاء بها أهل البيت : عن جدهم رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. قال الإمام الباقر عليه‌السلام : «انظروا أمرنا وما جاءكم عنا ، فان وجدتموه موافقاً القرآن فهو من قولنا ، وما لم يكن موافقاً للقرآن ، فقفوا عنده وردوه الينا ، حتى نشرحه لكم كما شرح لنا» (1).

وقال عليه‌السلام : «إن على كل حق نوراً ، وما خالف كتاب اللّه فدعوه» (2).

وعلى ضوء ذلك ، كان عليه‌السلام إذا سئل عن حديث يحدّث به أشار إلى دليله من كتاب اللّه ، حتى يبدو حديثه وكأنّه انتزاعات من القرآن المجيد. عن أبي الجارود ، قال : قال أبو جعفر عليه‌السلام : « إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب اللّه ، ثم قال في بعض حديثه : إن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نهى عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السؤال. فقيل له : يا بن رسول اللّه ، أين هذا من كتاب اللّه عزوجل؟ قال : قوله : «لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ» (3) ، وقال : «وَلاَ تُوءْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أعلام الدين في صفات المؤمنين : 314.

(2) أعلام الدين في صفات المؤمنين : 301.

(3) سورة النساء : 4 / 114.

 جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً» (2) ، وقال : «لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُوءْكُمْ» » (2).

فالقرآن نور يضيء لنا الطريق في ثقافتنا وروحيتنا وحركتنا في الحياة ، وهو الأساس الأول الحري بأن نتدبره ونستلهًمه ، ونجعله كتاب الحياة الذي ينفتح على كل ما يحقق للإنسان الخير والسعادة ، ولا نجمده من خلال تخلفنا وجهلنا.

ثانياً : نقل السنة النبوية ، كان الإمام الباقر عليه‌السلام رافداً عظيماً للعلم النبوي ، وقد اضطلع بدور تأريخي في ربط زمان صدور السنة المباركة بزمانه الذي تغير فيه المسار ، وذلك من خلال جسر من النصوص المحمدية التي تستطيع معالجة مشكلات الحياة على وجه الأرض ، وتنتزع منها القواعد التي تساير الحياة إلى يوم الدين.

والصفة الثابتة لتلك السنة لا تمثل تطلعات وآراء خاصة مطلقاً ، بل هي آثار مودعة لديه عليه‌السلام من علوم النبوة ومكنون الرسالة ، توارثها أهل البيت : كابراً عن كابر ، واكتنزوها في صدورهم كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم.

عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، في حديثه لجابر الجعفي ، قال : «يا جابر ، إنا لو كنّا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم» (3).

وعنه عليه‌السلام قال : «لو أنا حدثنا برأينا ضللنا ، كما ضل من كان قبلنا ، ولكنا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النساء : 4 / 5.

(2) الاحتجاج 2 : 55 ، والآية الأخيرة من سورة المائدة : 5 / 101.

(3) الاختصاص : 280 ، بصائر الدرجات : 319.

حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه فبينها لنا» (1).

ويؤكد عليه‌السلام حجية حديث أهل البيت : ، باعتباره امتداداً لحديث رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ورواية صادقة له ، فحينما سئل عن الحديث يرسله ولا يسنده ، قال : إذا حدثت الحديث ولم أسنده ، فسندي فيه : أبي ، عن جدي ، عن أبيه ، عن جده رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، عن جبرئيل عليه‌السلام ، عن اللّه عزوجل (2).

ثالثاً : الموروث المدوّن ، حيث تداول أهل البيت : عدة كتب منها : الجفر والجامعة والصحيفة ومصحف فاطمة ، وكتاب علي عليه‌السلام ، الذي يشتمل على الشرائع والسنن الالهية بخط علي عليه‌السلام ، واملاء رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وقد وصلت الإمام أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، ومن بعده من أئمة أهل البيت :.

روى حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : أشار إلى بيت كبير ، وقال : «يا حمران ، إن في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخط علي ، وإملاء رسول اللّه ، ولو ولينا الناس لحكمنا بينهم بما أنزل اللّه ، لم نعدُ ما في هذه الصحيفة» (3).

وأخرج الإمام محمد الباقر عليه‌السلام كتاب علي عليه‌السلام أمام بعض أهل العلم ، وجعل ينظر فيه وكان كتاباً مدروجاً عظيماً ، روى ذلك النجاشي بسنده عن محمد بن عذافر بن عيسى الصيرفي المدائني ، قال : «كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه‌السلام ، فجعل يسأله ، وكان أبو جعفر عليه‌السلام له مكرماً ، فاختلفا في شيء ، فقال أبو جعفر عليه‌السلام : يا بني قم ، فأخرج كتاب علي ، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بصائر الدرجات : 319 ، اعلام الورى 1 : 508.

(2) الارشاد 2 : 167 ، الخرائج والجرائح 2 : 893 ، اعلام الورى 1 : 508.

(3) بصائر الدرجات : 163.

ففتحه ، وجعل ينظر حتى أخرج المسألة. فقاله أبو جعفر عليه‌السلام : هذا خط علي عليه‌السلام ، وإملاء رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وأقبل على الحكم ، وقال : يا أبا محمد ، اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً ، فواللّه لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل» عليه‌السلام (1).

رابعاً : وجه الإمام عليه‌السلام الأنظار إلى ضرورة أخذ العلم من منابعه الصحيحة ومدرسته الوثقى ، وأهله الذين نزل في بيوتهم ، ولم تجد الأمة علماً أوثق ولا أصح مما خرج من أهل البيت : حصراً.

عن أبي مريم ، قال : «قال أبو جعفر عليه‌السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : شرّقا وغرّبا ، فلا تجدان علماً صحيحاً إلاّ شيئاً خرج من عندنا أهل البيت :» (2).

وقال عليه‌السلام : «كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال» (3).

وعن عبد اللّه بن سليمان ، قال : «سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول وعنده رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى ، وهو يقول : ان الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار ، فقال أبو جعفر عليه‌السلام : فهلك إذن مؤمن آل فرعون! ما زال العلم مكتوماً منذ بعث اللّه نوحاً عليه‌السلام ، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً ، فواللّه ما يوجد العلم إلاّ هاهنا» (4). وفي رواية : «فواللّه ما يوجد العلم إلاّ عند أهل العلم الذين نزل عليهم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 359 ، ترجمة محمد بن عذافر.

(2) الكافي 1 : 399.

(3) الاختصاص : 31.

(4) الكافي 1 : 51 / 15 ، بصائر الدرجات : 29 ، الاحتجاج 2 : 68.

جبرئيل» (2).

وعن زرارة ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ـ في حديث ـ قال : «إنه ليس أحد عنده علم شيء إلاّ خرج من عند أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فليذهب الناس حيث شاءوا ، فواللّه ليس الأمر إلاّ من هاهنا ، وأشار بيده إلى بيته (3) ، وأشار بيده إلى صدره» (4).

على أن دعوة الإمام أبي جعفر عليه‌السلام إلى التمسك بهدي القرآن والسنة وتركيزه على مركزيتهما ، لاقت آذاناً صاغية من بعض أعلام الأمة حتى على المستوى التشريعي الذي غالباً ما يختلف الفقهاء في فروعه.

عن قيس بن الربيع ، قال : سألت أبا اسحاق السبيعي عن المسح ، فقال : «أدركت الناس يمسحون حتى لقيت رجلاً من بني هاشم لم أر مثله قط ، محمد بن علي بن الحسين ، فسألته عن المسح على الخفين فنهاني عنه ، وقال : لم يكن أميرالمؤمنين عليه‌السلام يمسح ، وكان يقول : سبق الكتاب المسح على الخفين. قال أبوإسحاق : فما مسحت منذ نهاني عنه. وقال قيس بن الربيع : وما مسحت أنا منذ سمعت أبا إسحاق» (5).

### 5 ـ مجابهة الرأي والقياس :

بالنظر لاختلاف جيل التابعين حول مصادر الفقه التي يستقون منها أحكامهم ، وحول جواز الرجوع إلى الرأي ، تشعّبت الآراء في تلك الفترة إلى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بصائر الدرجات : 30.

(2) الكافي 1 : 399 / 2.

(3) بصائر الدرجات : 538.

(4) الارشاد 2 : 161 ، شرح الأخبار 3 : 281.

إتجاهين متباينين ، هما اتجاه الحديث ، ومركزه المدينة المنورة ، واتجاه الرأي ، ومركزه الكوفة ، فألغى الأول اتجاه الرأي ، وتوقّفت النصوص الشرعية إلى حدّ الجمود على ظواهرها ، بينما الاتجاه الثاني بالغ باستخدام الرأي ، وتشدّد في قبول الحديث ، فضيّق دائرة العمل بالحديث ، وتبع ذلك التوسّع في الأخذ بالقياس.

ولا شك أن تضيق دائرة الحديث هو من تداعيات الحظر على تدوين الحديث وروايته الذي فرضته السلطة بعد وفاة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، الأمر الذي جعل بعض الفقهاء ينأى بنفسه عن مصادر التشريع الأصيلة المتمثلة بالكتاب والسنة ، ويلجأ إلى اعتماد عناصر جديدة في استنباط الأحكام الشرعية ، وهي القياس والرأي والاستحسان والعرف والمصالح المرسلة التي دخلت بقوة في خط الاجتهاد حتى بلغت ذروتها على يد أبي حنيفة (1) الذي اشتهر بكثرة القياس في الفقه.

وقد وقف الإمام الباقر وأولاده المعصومون : من بعده بوجه هذه القواعد الاجتهادية ، وقاوموا اجتهاد الرأي ، وتصدوا لتفنيد آراء ومزاعم القائلين بها ، من خلال ما يلي :

أولاً : التأكيد على أن النصوص الشرعية تفي بتزويد الفقيه ما يحتاج إليه ، أو بعبارة أخرى التأكيد على شمولية الكتاب والسنة لحاجات الإنسان كلّها ، بل وحتى لما يطرأ عليها من مسائل في المستقبل ، قال الإمام الباقر عليه‌السلام : «إن اللّه تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه ، وجعل على

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) النعمان بن ثابت ، المتوفى سنة 150 هـ.

من تعدى ذلك الحد حداً» (1). فلا توجد واقعة في الحياة إلاّ ويمكن إدراجها تحت الأحكام الكلية المستنبطة من الكتاب والسنة دون الرجوع إلى الرأي ، وإذا وجد رأي يقول بعدم ذلك ، فيلجأ إلى الاستحسان والرأي ، فالمشكلة ليست في أن اللّه سبحانه لم يبيّن للإنسان الخطوط التفصيلية التي يحتاجها في تلبية حاجات الحياة ومواجهة مشكلاتها ، بل هي في أن الناس تركوا ما أمروا به من الانصياع إلى أهل البيت : وأخذ معالم الدين عنهم ، ولو فعلوا ذلك لاستطاعوا أن يكتشفوا الحل الإسلامي لأية مشكلة طارئة تعترى حياتهم.

ثانياً : رفض القياس ، وعدّه ابتداعاً في الدين ومحقاً له ، لما فيه من جرأة على تجاوز أحكام اللّه تعالى ، وتهاون بالسنة والحديث ، وتعويل على العقل من غير حجة شرعية ولا دليل معتبر. عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، قال : «إنَّ السنّة لا تقاس ، وكيف تقاس السُنّة ، والحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟!» (2).

إذ لو صحّ القياس كدليل لوجب على الحائض أن تقضي صلاتها دون صومها ، وهو كما ترى.

وعنه عليه‌السلام ، قال : «من أفتى الناس برأيه ، فقد دان اللّه بما لا يعلم ، ومن دان اللّه بما لا يعلم ، فقد ضادَّ اللّه حيث أحلَّ وحرَّم فيما لا يعلم» (3).

ثالثاً : بلورة اتجاه معارض لمدرسة الحديث والرأي في الأوساط العلمية

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 59 / 2.

(2) المحاسن 1 : 214 / 96.

(3) الكافي 1 : 58 / 17.

آنذاك ، وضع حجره الأساس الإمام الباقر عليه‌السلام من خلال تحديد معالم مدرسة أهل البيت ومصادر أصولها التشريعية ، المستندة إلى الكتاب والسنة ودليل العقل ، والقول بعصمة أهل البيت : في تبليغ الأحكام والحدود ، وحجية حديثهم باعتباره الامتداد الصحيح لحديث رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، من هنا كانت مدرسة أهل البيت بمثابة النمرقة الوسطى بين تيارين فكريين متنازعين ، وقد أثمرت جهود روادها في التخفيف من غلواء هذين التيارين.

رابعاً : مواجهة الداعين إلى القياس بالحوار والمناظرة ، فقد حاور الإمام الباقر عليه‌السلام أبا حنيفة حول القياس في الفقه ، حين لقيه في المدينة أيام الموسم ، فقال : « أنت الذي حولت دين جدي وأحاديثه إلى القياس؟ فقال : معاذ اللّه عن ذلك ، اجلس مكانك كما يحق لي ، فان لك عندي حرمة كحرمة جدك صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في حياته على أصحابه .. » (2).

ومهما قيل في هذا الحوار ، فإنه يدل على إنكار الإمام الباقر عليه‌السلام للقياس ، وأنه كان يتابع ما يجري على الساحة الفكرية ، ويراقب أعلام الأمة فيما يطرحون من أفكار ، وكان يحاور كي يقلّص من مساحات الخلاف ، باعتباره إمام الأئمة الذي يقوم بدوره الرسالي.

يقول الشيخ أبو زهرة : من هذا الخبر نتبين إمامة الإمام الباقر للعلماء ، يحضرهم إليه ، ويحاسبهم على ما يبلغه عنهم ، أو يبدو منهم ، وكأنه الرئيس يحكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادة ، وهم يقبلون طائعين غير مكرهين تلك الرئاسة (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب أبي حنيفة 1 : 208 للحافظ الكردي ، طبعة حيدر آباد.

(2) الإمام الصادق / أبو زهرة : 23.

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سمت به معاهد العلم إلى  |  | هام الضراح والسماوات العلى  |
| حتى تجلت لأولى الألباب  |  | حقائق السنة والكتاب  |
| أحكمها بمحكم الأساس  |  | جلت عن الرأي أو القياس  |
| وسد باب الظن والتخمين  |  | بفتح باب العلم واليقين  |
| وبابه المفتوح باب الباري  |  | وباب علم المصطفى المختار  |
| هل يترك العين ويطلب الأثر  |  | فما أضل من تولى وكفر!  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فاتبعوا إبليس في قياسه  |  | واستحسنوا البنا على أساسه  |
| واتخذوا سبيله سبيلا  |  | ما راقبوا اللّه ولا الرسولا  |
| صدوا عن الحق وتاهوا في العمى  |  | في مثله تحبس قطرها السما  |
| حادوا عن العترة والكتاب  |  | بل نكسوا قُدما على الأعقاب (2)  |

###  6 ـ اعداد المؤلفين والثقات :

كان الكثير من أصحاب الإمام الباقر عليه‌السلام يزدحمون في حلقة درسه ويختلفون إليه في جميع المناسبات ، ولكثرتهم أفردهم ابن عقدة في كتاب من روى عن أبي جعفر عليه‌السلام (3) ، وعدّ الشيخ الطوسي (468) من أصحابه والرواة عنه من مختلف ديار الإسلام ، ومن مختلف الاتجاهات ، فتجد فيهم العامي والزيدي والمعتزلي والمتصوف والخارجي وغيرهم ، وتجد فيهم النساء إلى جانب الرجال ، ممن شمرن عن ساعد الجدّ للرواية عن الإمام عليه‌السلام ، ومنهن ابنته

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأنوار القدسية : 76.

(2) رجال النجاشي : 94 ، الذريعة 22 : 228.

خديجة ، وحبابة الوالبية.

وقد أثمرت توصيات الإمام الباقر عليه‌السلام وجهوده في اعداد النخبة الصالحة من هذا الجمع ، أن تمخضت عن كوكبة من الرجال الثقات المخلصين والمؤلفين الذين أوقفوا حياتهم على حمل راية العلم ومعالم الدين وتبليغه إلى سائر البلدان.

وكان أهم انجازاتهم في هذا الاتجاه :

أولاً : عملوا على صيانة آثار النبوة وحديث أهل البيت : وتراثهم من مطبات الوضع والتزوير ، وأوصلوه إلينا بأمانة عبر الأجيال المتعاقبة.

قال أبو عبد اللّه عليه‌السلام : «رحم اللّه زرارة بن أعين ، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي عليه‌السلام» (1).

وقال عليه‌السلام : «بشّر المخبتين بالجنة : بريد بن معاوية العجلي ، وأبو بصير بن ليث البختري المرادي ، ومحمد بن مسلم ، وزرارة ، أربعة نجباء أمناء اللّه على حلاله وحرامه ، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست» (2).

ثانياً : تميزت منهم شخصيات واعية تتمتع بذهنية علمية قادرة على التفكير والتحليل ، أسهمت في اثراء مدرسة أهل البيت : بالمتخصصين في حقول المعرفة المختلفة ، وأرست قواعد التحديث والحديث وأصول الاجتهاد والاستنباط. قال الصادق عليه‌السلام : «ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عليه‌السلام إلاّ زرارة ، وأبو بصير ليث المرادي ، ومحمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية العجلي ، ولولا هؤلاء ماكان أحد يستنبط هذا. هؤلاء حفاظ الدين ، وأمناء أبي عليه‌السلام على

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اختيار معرفة الرجال 1 : 347 / 217.

(2) اختيار معرفة الرجال 1 : 398.

حلال اللّه وحرامه» (1).

ثالثاً : تنوعهم الجغرافي أوصل صوت الإمام عليه‌السلام إلى بقعة جغرافية شاسعة ، وأسهم في اتساع مرجعيته الفكرية والروحية ، فتجد فيهم الكوفي ، والبصري ، والموصلي ، والبغدادي ، والمدائني ، والأنباري ، والواسطي ، والرصافي ، والحجازي ، والمدني ، والمكي ، والطائفي ، والشامي ، والحلبي ، واليماني ، والحضرمي ، والهجري ، والمصري ، والنيسابوري ، والجبلي ، والكناسي ، والهمذاني ، والبرقي ، والسجستاني ، والقمي وغيرهم.

رابعاً : تنوع الاختصاص في مختلف ضروب المعرفة الإنسانية ، من علوم لغوية وشرعية وطبيعية ، أكسب مدرسة أهل البيت البقاء والدقة والشمولية ، وأدى إلى نشاط ملحوظ في حركة التأليف.

فتجد في أصحابه عليه‌السلام المفسر والقارئ والفقيه والمتكلم والراوي والشاعر واللغوي والمؤرخ وغيرهم ، فمن أصحاب أبي جعفر عليه‌السلام من علماء التفسير وعلوم القرآن : أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، وهو أول من صنف في علم أحكام القرآن ، وله تفسير كبير ، وجابر بن يزيد الجعفي ، وأبو بصير ، وأبو حمزة الثمالي ، وصنف أبان بن تغلب في معاني القرآن (2) ، وتفسير غريب القرآن.

ومن الفقهاء الذين أجمعت العصابة على تصديقهم ، وكونهم أفقه الأولين ستة : زرارة ، ومعروف بن خربوذ ، وبريد ، وأبو بصير الأسدي ، والفضيل بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اختيار معرفة الرجال 1 : 348 / 219.

(2) ذكره ابن النديم في الفهرست : 276.

يسار ، ومحمد بن مسلم الطائفي ، وقالوا : وأفقه الستة زرارة (1).

ومن الفقهاء القراء : سليمان بن خالد الأقطع ، وأبان بن تغلب ، وكان أبان عالماً بالقراءات ، وله كتاب القراءات (2) ، قرأ على عاصم ، وأبي عمرو الشيباني ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش (3) ، ومنهم حمران بن أعين ، وهو مقرئ كبير ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي جعفر عليه‌السلام وآخرين ، وروى القراءة عنه عرضاً حمزة الزيات (4).

وممن اهتمّ بالكلام من أصحابه عليه‌السلام : زرارة بن أعين بن سنسن ، وله مصنفات في الاستطاعة والجبر.

ومن أعلام اللغة والأدب : الشاعر الحجازي سديف بن مهران بن ميمون المكي ، ومالك بن أعين الجهني ، والكميت بن زيد الأسدي ، والشاعر الفقيه عبد اللّه بن غالب الأسدي ، وكثير عزّة ، وأبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي الكوفي ، أستاذ الكسائي ، وإمام الكوفيين في النحو ، وأقدمهم بالتصنيف فيه.

وممن كتب في التاريخ : أبان بن تغلب ، وعبد اللّه بن إبراهيم بن محمد الجعفري ، ومحمد بن مبشر الثقفي ، ومسمع بن عبد الملك ، الملقب كردين.

ولكي نطلع القارئ الكريم على دور أصحاب الإمام الباقر عليه‌السلام في رفع منار

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اختيار معرفة الرجال 2 : 431.

(2) وهو كتاب القراءات ، ذكره ابن النديم في الفهرست : 276.

(3) غاية النهاية / ابن الجزري 1 : 4.

(4) غاية النهاية / ابن الجزري 1 : 261.

العلم وإقامة عماده ، وامتياز مدرسة أهل البيت بسعة معارفها وتنوع رجالها ، نعرض هنا مجموعة مختارة من أصحابه الثقات والمؤلفين :

1 ـ أبان بن تغلب بن رباح. كان عظيم المنزلة في أصحابنا ، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد اللّه : ، وروى عنهم ، وكانت له عندهم منزلة وقدم. وكان أبان ; مقدماً في كل فن من العلم في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو ، وله كتب ، منها : تفسير غريب القرآن (1) ، وكتاب الفضائل ، وكتاب صفين ، ولأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء ، وكان قارئاً من وجوه القراء. روي أنه كان اذا قدم المدينة تقوّضت إليه الحلق ، وأخليت له سارية النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. وقال له الباقر عليه‌السلام : «اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس ، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك». ومات أبان في حياة أبي عبد اللّه الصادق عليه‌السلام ، سنة 141 هـ ، فلما أتاه نعيه قال : «أما واللّه لقد أوجع قلبي موت أبان» (2).

2 ـ إبراهيم بن أبي البلاد. كان ثقة قارئاً أديباً ، وكان راوية الشعر ، وله يقول الفرزدق :

يا لهف نفسي على عينيك من رجل.

وعمّر دهراً ، وكان للرضا عليه‌السلام إليه رسالة أثنى بها عليه ، وله كتاب (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) قيل : هو أول من صنف فيه ، لأن معمر بن المثنى توفي بعد المئتين ، وأبان توفي سنة 141 هـ.

(2) رجال النجاشي : 11 ، الفهرست / الشيخ الطوسي : 57 ، خلاصة الأقوال : 73 ، الذريعة 2 : 135 ، وترجمه السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء.

(3) رجال النجاشي : 22.

3 ـ إبراهيم بن صالح الأنماطي. ثقة ، لا بأس به ، له كتب ، قال النجاشي : قال لي أبو العباس أحمد بن علي بن نوح : انقرضت كتبه فليس أعرف منها إلاّ كتاب الغيبة (1).

4 ـ إبراهيم بن عثمان الخزاز. ثقة ، له أكثر من أصل ، وله كتاب النوادر (2).

5 ـ إبراهيم بن عمر الصنعاني. شيخ من أصحابنا ، ثقة ، له كتاب وأصول (3).

6 ـ إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى. مدني ، روى عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما‌السلام ، وكان خصيصاً بهما ، والعامة لهذه العلة تضعّفه ، وحكى بعض أصحابنا عن بعض المخالفين أن كتب الواقدي سائرها إنما هي كتب إبراهيم ابن محمد بن أبي يحيى ، نقلها الواقدي وادّعاها. وذكر بعض أصحابنا أن له كتاباً مبوباً في الحلال والحرام عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام (4).

7 ـ إبراهيم بن نعيم العبدي. أبو الصباح الكناني ، له كتاب ، ويسمى الميزان من ثقته ، قال له الصادق عليه‌السلام : أنت ميزان لا عين فيه (5).

8 ـ إسماعيل بن جابر الجعفي. ثقة ممدوح ، له أصول رواها عنه صفوان بن يحيى ، وله كتاب ذكره محمد بن الحسن بن الوليد في فهرسته (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 15 ، الفهرست / الشيخ الطوسي : 34 ، خلاصة الأقوال : 314 ، رجال ابن داود : 32 ، معالم العلماء : 41.

(2) الذريعة 2 : 136 و 24 : 319.

(3) رجال النجاشي : 20 ، رجال الطوسي : 121 ، معالم العلماء : 42.

(4) رجال النجاشي : 14 ، الذريعة 7 : 61.

(5) رجال الطوسي : 121 ، نقد الرجال 1 : 92 ، الذريعة 2 : 137.

(6) رجال النجاشي : 32 رجال الطوسي : 121 ، خلاصة الأقوال : 54.

9 ـ إسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي. تابعي ، سمع أبا الطفيل عامر بن واثلة ، وكان فقيهاً ، نقل ابن عقدة : أن الصادق عليه‌السلام ترحم عليه ، وحكى عن ابن نمير أنه قال : ثقة (1).

10 ـ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي. مفسر مشهور ، عدّه الشيخ من أصحاب السجاد والباقر والصادق : (2).

11 ـ إسماعيل بن الفضل بن يعقوب. من بني الحارث بن عبد المطلب ، ثقة ، من أهل البصرة ، روي أن الصادق عليه‌السلام قال : هو كهل من كهولنا ، وسيد من ساداتنا (3).

12 ـ برد الأسكاف الأزدي الكوفي. عده الشيخ من أصحاب السجاد والباقر عليهما‌السلام ، وله كتاب (4).

13 ـ بريد بن معاوية العجلي. وجه من وجوه أصحابنا ، ثقة فقيه ، روي أنه من حواري الباقر والصادق عليهما‌السلام ، وله محل عندهما ، قال الكشي : انه ممن اتفقت العصابة على تصديقه ، وممن انقادوا له بالفقه. ومات سنة 150 هـ (5).

14 ـ ثابت بن دينار الكوفي الأزدي. أبو حمزة الثمالي ، ثقة ، من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث ، له كتاب تفسير القرآن ، وكتاب النوادر ، وكتاب الزهد (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) خلاصة الأقوال : 54 ، نقد الرجال 1 : 220.

(2) رجال الطوسي : 109 و 124 و 160.

(3) رجال الطوسي : 121 ، خلاصة الأقوال : 53.

(4) رجال النجاشي : 113 ، رجال الطوسي : 110 ، الذريعة 6 : 315.

(5) خلاصة الأقوال : 81.

(6) رجال الطوسي : 129 ، الفهرست : 90.

15 ـ جابر بن يزيد الجعفي. ثقة جليل مشهور له أصل وتفسير وكتاب النوادر والفضائل ، ورسالة أبي جعفر الباقر عليه‌السلام إلى أهل البصرة ، توفي سنة 128 هـ ، وقيل : 132 هـ (1).

16 ـ الحارث بن المغيرة النصري. بصري ، ثقة ثقة ، له كتاب (2).

17 ـ حجر بن زائدة الحضرمي. ثقة صحيح المذهب ، صالح ، له كتاب (3).

18 ـ حجر بن زائدة الحضرمي. أبو عبد اللّه ، ثقة صحيح المذهب ، له كتاب (4).

19 ـ حذيفة بن منصور الخزاعي. ثقة ، له كتاب (5).

20 ـ حسان بن مهران الجمال. أخو صفوان الجمال ، عدّه الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام ، ثقة ثقة ، له كتاب (6).

21 ـ الحسن بن السري الكاتب. الكرخي ، ثقة ، له كتاب (7).

22 ـ الحسن بن علي بن أبي المغيرة الكوفي. ثقة ، له كتاب (8).

23 ـ الحسين بن ثوير بن أبي فاختة. ثقة ، له كتاب نوادر (9).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال الطوسي : 129 ، نقد الرجال 1 : 325 ، الذريعة 2 : 144 و 24 : 324.

(2) رجال النجاشي : 139 ، خلاصة الأقوال : 123 ، الذريعة 6 : 319.

(3) نقد الرجال 1 : 403 ، الذريعة 6 : 320.

(4) رجال النجاشي : 148.

(5) رجال النجاشي : 147.

(6) رجال النجاشي : 147 رجال الطوسي : 132 ، الفهرست : 120.

(7) نقد الرجال 2 : 26.

(8) رجال النجاشي : 149.

(9) رجال النجاشي : 55.

24 ـ الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم. روى ابن عقدة ، عن الفضل بن يوسف ، قال : الحكم بن عبد الرحمن ، خيار ، ثقة ثقة (1).

25 ـ الحكم بن المختار بن أبي عبيدة. ثقة (2).

26 ـ خالد بن طهمان. أبو العلاء الخفاف السلولي ، له نسخة أحاديث رواها عن أبي جعفر عليه‌السلام ، وكان من العامة (3).

27 ـ رافع بن سلمة بن زياد الأشجعي. كوفي ، ثقة من بيت الثقات وعيونهم ، له كتاب (4).

28 ـ زحر بن عبد اللّه الأسدي. ثقة ، له كتاب (5).

29 ـ زرارة بن أعين. شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم ، كان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً ، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين ، مات سنة 150 هـ ، كان ثقة صادقاً فيما يرويه ، وله مصنفات منها كتاب في الاستطاعة والجبر (6).

30 ـ زياد بن أبي الحلال. كوفي ثقة ، عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام ، له كتاب (7).

31 ـ زياد بن سوقة البجلي. كوفي ، ثقة ، عده الشيخ من أصحاب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) نقد الرجال 2 : 141.

(2) رجال الطوسي : 131.

(3) رجال النجاشي : 151.

(4) رجال النجاشي : 169 ، الذريعة 6 : 331 ، خلاصة الأقوال : 147.

(5) رجال النجاشي : 176 ، الذريعة 6 : 332.

(6) نقد الرجال 2 : 254.

(7) رجال النجاشي : 171 ، رجال الطوسي : 136.

الباقر عليه‌السلام (1).

32 ـ زياد بن عيسى الحذاء. كوفي ، ثقة صحيح ، له كتاب ، قال العقيقي العلوي : أبو عبيدة ، زياد الحذاء ، كان حسن المنزلة عند آل محمد : ، وكان زامل أبا جعفر عليه‌السلام إلى مكة (2).

33 ـ زياد بن المنذر. أبو الجارود الهمداني الخارقي ، زيدي المذهب ، واليه تنسب الزيدية الجارودية ، له أصل ، وكتاب تفسير القرآن ، رواه عن أبي جعفر عليه‌السلام أيام استقامته ، وكأنه كان يكتبه عن إملائه عليه‌السلام ، ولذا نسبه ابن النديم إلى الباقر عليه‌السلام (3).

34 ـ زيد بن محمد بن يونس. أبو أسامة الشحام ، كوفي ، ثقة عين ، له كتاب (4).

35 ـ سعد بن طريف الحنظلي الاسكاف. كان قاضياً ، وله رسالة الإمام الباقر عليه‌السلام إليه (5).

36 ـ سلام بن أبي عمرة الخراساني. ثقة ، له كتاب (6).

37 ـ سليمان بن خالد بن دهقان. أبو الربيع الأقطع ، كان قارئاً فقيهاً وجهاً ، خرج مع زيد عليه‌السلام فقطعت يده ، وكان الذي قطعها يوسف بن عمر بنفسه ، ومات في حياة أبي عبد اللّه عليه‌السلام ، فتوجع لفقده ، ودعا لولده ، وأوصى بهم أصحابه ، له

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال الطوسي : 135 ، خلاصة الأقوال : 149.

(2) رجال النجاشي : 170 ، نقد الرجال 2 : 275.

(3) رجال النجاشي : 170 ، الفهرست : 131 ، الذريعة 2 : 150 و 4 : 251.

(4) رجال ابن داود : 100 ، نقد الرجال 2 : 290.

(5) رجال النجاشي : 178 ، نقد الرجال 2 : 309.

(6) رجال النجاشي : 189 ، الذريعة 6 : 336.

كتاب (1).

38 ـ شجرة بن ميمون. أبو أراكة النبال الوابشي ، كوفي ، هو وابنه علي بن شجرة ، والحسن بن شجرة ، كلهم ثقات وجوه أعيان أجلة ، وله كتاب (2).

39 ـ شهاب بن عبد ربه الأسدي الصيرفي الكوفي. ثقة له كتاب يعد من الأصول (3).

40 ـ صباح بن يحيى. أبو محمد المزني الكوفي ، ثقة ، له كتاب (4).

41 ـ عامر بن عبد اللّه بن جذاعة. من حواري الباقر والصادق عليهما‌السلام (5).

42 ـ عباد بن صهيب. أبو بكر التميمي ، بصري ، ثقة ، روى عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام كتاباً ، وعده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام (6).

43 ـ عبد الرحمن بن أعين بن سنسن الشيباني. له كتاب ، روى الكشي عن الحسن بن علي بن يقطين عن مشايخه أنه كان مستقيماً (7).

44 ـ عبد الغفار بن القاسم بن قيس. أبو مريم الأنصاري ، ثقة ، له كتاب (8).

45 ـ عبد اللّه بن ابراهيم بن محمد الجعفري. ثقة ، صدوق ، له كتب ، منها :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 183 ، الذريعة 6 : 336.

(2) رجال النجاشي : 275 ، رجال الطوسي : 138 ، خلاصة الأقوال : 169 و 189.

(3) خلاصة الأقوال : 56 ، في ترجمة اسماعيل بن عبد الخالق بن عبد ربه ، الذريعة 2 : 159.

(4) رجال النجاشي : 201 ، الذريعة 6 : 339.

(5) رجال ابن داود : 113.

(6) رجال النجاشي : 293 ، رجال الطوسي : 142 ، الفهرست : 192.

(7) رجال النجاشي : 237 ، نقد الرجال 3 : 43.

(8) رجال النجاشي : 246 ، الذريعة 6 : 343.

كتاب خروج محمد بن عبد اللّه ومقتله ، وكتاب خروج صاحب فخ ومقتله (1).

46 ـ عبد اللّه بن سنان بن طريف. ثقة جليل ، له كتاب الصلاة الكبير (2).

47 ـ عبد اللّه بن غالب الأسدي. شاعر فقيه ، ثقة ثقة ، له كتاب تكثر الرواة عنه ، قال له أبو عبد اللّه الصادق عليه‌السلام : «إن ملكاً يلقي الشعر عليك ، وإني لأعرف ذلك الملك» (3).

48 ـ عبد المؤمن بن القاسم بن قيس الأنصاري. كوفي ، ثقة ، هو وأخوه أبو مريم عبد الغفار بن القاسم ، توفي سنة 147 هـ ، له كتاب (4).

49 ـ عبيد بن محمد بن قيس البجلي. له كتاب يرويه عن أبيه ، عرضه على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه‌السلام ، فقال : «هذا قول أمير المؤمنين عليه‌السلام» (5).

50 ـ عبيد اللّه بن الوليد الوصافي. ثقة ، له كتاب (6).

51 ـ علي بن أبي المغيرة الزبيدي. ثقة ، وله كتاب مفرد (7).

52 ـ عنبسة بن بجاد العابد. عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام ، وكان قاضياً ، ثقةً خيراً فاضلاً ، له كتاب (8).

53 ـ غياث بن ابراهيم التميمي. بصري وسكن الكوفة ، عده الشيخ من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 216.

(2) الذريعة 15 : 57.

(3) رجال النجاشي : 222 ، الذريعة 6 : 345.

(4) رجال النجاشي : 249.

(5) الفهرست : 176.

(6) رجال النجاشي : 231.

(7) نقد الرجال 3 : 225.

(8) رجال النجاشي : 320 ، رجال الطوسي : 141.

أصحاب الباقر عليه‌السلام ، ثقة ، له كتاب في الحديث ، وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه‌السلام (1).

54 ـ فضيل بن يسار النهدي البصري. ثقة عين ، جليل القدر ، له كتاب (2).

55 ـ الفيض بن المختار الجعفي الكوفي. ثقة عين ، له كتاب (3).

56 ـ كثير بن كلثم. كوفي ، ثقة (4).

57 ـ الكميت بن زيد الأسدي. شاعر الإمام الباقر عليه‌السلام ، وقد قدمنا ترجمته في الفصل الثاني ، وقيل : في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر : كان خطيب بني أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وكاتباً حسن الخط ، ونسابة ، وكان جدلياً ، وهو أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك ، وكان رامياً لم يكن في بني أسد أرمى منه ، وكان فارساً شجاعاً ، وكان سخياً ديناً (5).

58 ـ ليث بن البختري المرادي. ثقة عظيم الشأن ، وله كتاب (6).

59 ـ مالك بن عطية الأحمسي. عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام ، ثقة ، وله كتاب (7).

60 ـ محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي. أصله كوفي ، وسكن هو وأبوه قبله النيل ، روى هو وأبوه عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما‌السلام ، وابن عمه معاذ بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الفهرست : 196 ، خلاصة الأقوال : 385.

(2) رجال النجاشي : 309 ، رجال الطوسي : 143 ، خلاصة الأقوال : 228.

(3) رجال النجاشي : 311.

(4) رجال النجاشي : 319.

(5) الغدير 2 : 169 عن خزانة الأدب 2 : 69 وشرح الشواهد : 13.

(6) رجال النجاشي : 321 ، معالم العلماء : 129 ، رجال ابن داود : 214.

(7) رجال النجاشي : 422 ، رجال الطوسي : 145 ، الفهرست : 250.

مسلم بن أبي سارة ، وهم أهل بيت فضل وأدب ، وعلى معاذ ومحمد تفقّه الكسائي علم العرب ، والكسائي والفراء يحكون عنهما في كتبهم كثيراً ، وهم ثقات لا يطعن عليهم بشيء. ولمحمد هذا كتاب الوقف والابتداء ، وكتاب الهمز ، وكتاب إعراب القرآن (1).

61 ـ محمد بن السائب الكلبي. له كتاب أحكام القرآن ، والتفسير ، وقيل : هو أول من صنف في هذا الفن ، توفي سنة 146 هـ (2).

62 ـ محمد بن شريح الحضرمي. ثقة ، عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام ، وله كتاب (3).

63 ـ محمد بن قيس البجلي. ثقة ، وجه من وجوه العرب بالكوفة ، له كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه‌السلام رواه عن الباقر عليه‌السلام ، وكتاب آخر نوادر (4).

64 ـ محمد بن مرازم الساباطي. ثقة ، له كتاب (5).

65 ـ محمد بن مسلم بن رباح الطحان. وجه أصحابنا بالكوفة ، فقيه ، صحب أبا جعفر وأبا عبد اللّه عليهما‌السلام ، وروى عنهما ، وكان من أوثق الناس. له كتاب يسمى الأربع مئة مسألة في أبواب الحلال والحرام (6).

66 ـ مسكين. ثقة ، عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام (7).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 324.

(2) الذريعة 1 : 40 و 4 : 311.

(3) رجال النجاشي : 366 ، رجال الطوسي : 145 ، الفهرست : 230.

(4) رجال النجاشي : 322 ، الفهرست : 206 ، خلاصة الأقوال : 252.

(5) الذريعة 6 : 364.

(6) رجال النجاشي : 323 ، الذريعة 1 : 407.

(7) رجال الطوسي : 145.

67 ـ مسمع بن عبد الملك. أبو سيار ، الملقب كردين ، شيخ بكر بن وائل بالبصرة ووجهها ، وسيد المسامعة ، وكان أوجه من أخيه عامر بن عبد الملك وأبيه ، له كتاب نوادر كبير ، وروى أيام البسوس. وقال له أبو عبد اللّه عليه‌السلام : «إنّي لأعدك لأمر عظيم ، يا أبا السيار» (1).

68 ـ معاذ بن مسلم بن أبي سارة النحوي. نحوي مشهور ، وثقه النجاشي عند ترجمة محمد بن الحسن بن أبي سارة (2).

69 ـ منصور بن حازم أبو أيوب البجلي. كوفي ، ثقة ، عين ، صدوق ، من أجلة أصحابنا وفقهائهم. عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام ، له كتب منها : أصول الشرائع ، وكتاب الحج (3).

70 ـ معمر بن يحيى بن سام العجلي. ثقة ، متقدم ، له كتاب (4).

71 ـ موسى بن الحسن بن عامر الأشعري القمي. أبو الحسن ، ثقة ، عين ، جليل. صنف ثلاثين كتاباً ، منها : كتاب الطلاق ، كتاب الوصايا ، كتاب الفرائض ، كتاب الفضائل ، كتاب الحج ، كتاب الرحمة ، كتاب الوضوء ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الحج ، كتاب الصيام ، كتاب يوم وليلة ، كتاب الطب. روى عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام ، وعده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام (5).

72 ـ نصر بن مزاحم المنقري. مستقيم الطريقة ، صالح الأمر ، له مصنفات

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 420 ، نقد الرجال 4 : 375.

(2) نقد الرجال 4 : 384.

(3) رجال النجاشي : 413 ، معالم العلماء : 156 ، رجال الطوسي : 147.

(4) رجال النجاشي : 425 ، نقد الرجال 4 : 402.

(5) رجال النجاشي : 406 ، رجال الطوسي : 147 ، خلاصة الأقوال : 272.

حسان (1).

73 ـ هارون بن حمزة الغنوي. ثقة ، عين ، له كتاب ، عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه‌السلام (2).

74 ـ هيثم بن أبي مسروق النهدي. قريب الأمر ، له كتاب نوادر (3).

75 ـ وهب بن عبد ربه الأسدي. ثقة ، له كتاب (4).

76 ـ يحيى بن أبي العلاء الرازي. له كتاب (5) ، وهو ثقة مشهور.

77 ـ يحيى بن القاسم الأسدي. أبو بصير ، ثقة وجيه ، له كتاب يوم وليلة ، كتاب مناسك الحج ، وتفسير أبي بصير (6).

78 ـ أبو خالد القماط. كوفي ، ثقة ، له كتاب (7).

وكان كل هؤلاء وغيرهم من الرجال الأفذاذ يشكلون حجر الزاوية في مدرسة أهل البيت : التي اكتمل بناؤها على يد الإمام الصادق عليه‌السلام ، الذي كان حلقة الوصل في نقل علوم الشريعة بشكل لم يسبق له مثيل ، قال الحسن بن علي الوشاء يصف مسجد الكوفة : اني أدركت في هذا المسجد تسع مئة شيخ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمد (8).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) نقد الرجال 5 : 11.

(2) رجال النجاشي : 437 ، رجال الطوسي : 148 ، الفهرست : 260.

(3) رجال النجاشي : 161 ، نقد الرجال 5 : 45.

(4) رجال النجاشي : 430.

(5) نقد الرجال 5 : 60.

(6) رجال النجاشي : 441 ، الذريعة 4 : 251.

(7) نقد الرجال 5 : 86.

(8) رجال النجاشي : 40 / 80.

الفصل السادس

دوره عليه السلام في تأصيل عقائد الإسلام

## في أصول الاعتقاد :

تعرض الإمام الباقر عليه‌السلام لمسائل كلامية دقيقة ذات صلة بالتوحيد وصفات الذات الإلهية والإمامة والمعاد وغيرها من المسائل التي كانت مثار جدل في عصره ، وهي تكتسب أهمية قصوى في ذلك العصر إذا لوحظ حجم التحديات

التي تواجه الإسلام من قبل الحكام الذين استباحوا كل وسائل القمع والإرهاب ضد القائلين بإمامة أهل البيت : ، وكان الإمام عليه‌السلام بصدد إعادة المسار إلى نصابه في سبيل إعلاء كلمة الدين ، وتنمية الأفكار والمفاهيم الإسلامية الصحيحة في وعي المسلم ووجدانه.

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وشيد الدين الحنيف السامي  |  | حتى علت دعائم الإسلام  |
| قامت به قواعد التوحيد  |  | واستحكمت برأيه السديد  |
| فرّقَ جمعَ الغيِّ والضلالِ  |  | بجمع شمل العلم والكمال (1)  |

 وقد ورد في حديث الإمام الباقر عليه‌السلام تبيين أصول العقيدة لبعض أصحابه ، حيث سأله أبو الجارود عن دينه الذي يدين اللّه به هو وأهل بيته.

قال أبو الجارود : «قلت لأبي جعفر عليه‌السلام : يا بن رسول اللّه ، هل تعرف مودتي لكم وانقطاعي إليكم وموالاتي إيّاكم؟ قال : فقال : نعم. قال : فقلت : فإني أسألك مسألة تجيبني فيها ، فإني مكفوف البصر ، قليل المشي ، ولا استطيع زيارتكم كل حين. قال : هات حاجتك. قلت : أخبرني بدينك الذي تدين اللّه عزّوجلّ به أنت وأهل بيتك ، لأدين اللّه عزّوجلّ به. قال : إن كنت أقصرت الخطبة ، فقد أعظمت المسألة ، واللّه لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين اللّه عزّوجلّ به ، شهادة أن لا إله إلاّ اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه ، والإقرار بما جاء به من عند اللّه ، والولاية لولينا ، والبراءة من عدونا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والاجتهاد والورع» (2).

## 1 ـ كلماته في التوحيد ومعرفة الخالق :

يشكل التوحيد الحجر الأساس في البناء الفكري والعقيدي والأخلاقي ، وهو المحور الذي تدور عليه العقائد والشرائع الإلهية ، من هنا كان للإمام الباقر عليه‌السلام كلمات كثيرة في بيان معنى التوحيد الخالص من شوائب الشرك ومقولات التشبيه والتجسيم ، وتأكيد أن المعبود سبحانه لم يزل ولا يزال واحداً صمداً قدوساً تفرّد بالعبودية ، وتعالى عن صفات الخلق.

## إخلاص التوحيد :

قال أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : «الأحد الفرد المتفرد ، والأحد والواحد بمعنى واحد ، وهو المتفرد الذي لا نظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة ، وهو الانفراد ، والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ، ومن ثم قالوا : ان بناء العدد من الواحد ، وليس الواحد من العدد ، لأن العدد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأنوار القدسية : 72.

(2) الكافي 2 : 21 / 10.

لا يقع على الواحد ، بل يقع على الإثنين ، فمعنى قوله : اللّه أحد ، المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته ، فرد بالهيته ، متعال عن صفات خلقه» (1).

وقال محمد بن مسلم : سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه‌السلام قال : «أخبرني عن اللّه عزّوجلّ متى كان؟ قال : متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟! سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً» (2).

وأكد الإمام عليه‌السلام على إخلاص التوحيد للّه وما يترتب عليه من حسن الثواب ، روى جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «جاء جبرئيل إلى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فقال : يا محمد ، طوبى لمن قال من أمتك : لا إله إلاّ اللّه ، وحده وحده وحده» (3).

وعن أبي حمزة ، قال : سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول : «ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلاّ اللّه ، إنّ اللّه عزّوجلّ لا يعدله شيء ، ولا يشركه في الأمور أحد» (4).

وحذّر عليه‌السلام من الشرك لأنه من الظلم الذي لا يغفره اللّه ، قال عليه‌السلام : « الظلم ثلاثة : ظلم لا يغفره اللّه ، وظلم يغفره اللّه ، وظلم لا يدعه اللّه ، فأما الظلم الذي لا يغفره اللّه فالشرك باللّه ... » (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التوحيد : 90.

(2) الكافي 8 : 120 / 93 ، الاحتجاج 2 : 54.

(3) التوحيد : 21 / 10.

(4) الكافي 2 : 516 / 1 ، التوحيد : 19 / 3.

(5) تحف العقول : 293 ، الخصال : 118 / 105.

وحاول عليه‌السلام غرس هذه المفاهيم عن طريق الدعاء الذي جعل منه ميداناً لتعليم العقائد وعلى رأسها التوحيد ، ومن ذلك الدعاء وقت الزوال الذي علمه الباقر عليه‌السلام محمد بن مسلم : «لا إله إلاّ اللّه ، واللّه أكبر ، وسبحان اللّه ، والحمد للّه الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً.

قال محمد بن مسلم : فقلت : جعلت فداك ، أحافظ على هذا الكلام عند الزوال؟ قال : نعم ، حافظ عليه كما تحافظ على عينيك» (1).

## العقول لا تدرك كنه الذات :

يؤكد الإمام الباقر عليه‌السلام امتناع عقول المخلوقين وحواسهم عن إدراك حقيقة الذات الالهية ، أو توهمه بالمحسوسات ، لأنه سبحانه فوق ما يدركه العقل ، وفوق ما تتصوره الأوهام والحواس ، عن المنهال بن عمرو ، عنه عليه‌السلام قال : «اذكروا من عظمة اللّه ما شئتم ، ولا تذكرون منه شيئاً إلاّ وهو أعظم منه» (2).

وقال عليه‌السلام : «اللّه معناه المعبود الذي أَلْهَ الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته» (3).

وعن عبد الرحمن بن أبي نجران ، قال : «سألت أبا جعفر عليه‌السلام عن التوحيد ، فقلت : أتوهم شيئاً. فقال : نعم ، غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل ، وخلاف ما يتصور في الأوهام؟! إنّما يتوهم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) فلاح السائل : 96 ، بحار الأنوار 87 : 54 ، مستدرك الوسائل 3 : 126 / 3174.

(2) تاريخ دمشق 45 : 282 ، سير أعلام النبلاء 4 : 405.

(3) التتوحيد : 89.

شيء غير معقول ولا محدود» (1).

وعن المدائني ، قال : «بينما محمد بن علي بن الحسين : في فناء الكعبة أتاه أعرابي فقال له : هل رأيت اللّه حيث عبدته؟ فأطرق وأطرق من كان حوله ، ثم رفع رأسه إليه ، فقال : ما كنت لأعبد شيئاً لم أره. فقال : وكيف رأيته؟ قال : لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجور في قضية ، بان من الأشياء وبانت الأشياء منه ، ليس كمثله شيء ، ذلك اللّه لا إله إلاّ هو. فقال الأعرابي : اللّه أعلم حيث يجعل رسالاته» (2).

ونهى عليه‌السلام عن الكلام في كنه الذات لأنه يؤدي إلى الخوض في التشبيه والتجسيم ، وإنزال ذات الإله وكأنها شيء من الأشياء التي تخضع لوصف الحواس وسائر المدركات العقلية ، الأمر الذي يتبعه الضُلاَّل والتِّيه.

عن محمد بن مسلم ، قال : قال أبو جعفر عليه‌السلام : «يا محمد ، إن الناس لا يزال لهم المنطق حتى يتكلموا في اللّه ، فإذا سمعتم ذلك فقولوا : لا إله إلاّ اللّه» (3).

وعنه ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «تكلموا فيما دون العرش ، ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإنَّ قوماً تكلموا في اللّه فتاهوا ، حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه» (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التوحيد : 89.

(2) الكافي 1 : 82 / 1 ، التوحيد : 106 / 6.

(3) تاريخ دمشق 45 : 282 ، البدء والتاريخ 1 : 74 ، ونحوه في التوحيد : 108 / 5 ، الاحتجاج 1 : 54 ، أمالي المرتضى 1 : 104.

(4) المحاسن 1 : 237 / 209.

وعن أبي بصير ، قال : قال أبو جعفر عليه‌السلام : «تكلموا في خلق اللّه ، ولا تتكلموا في اللّه ، فإن الكلام في اللّه لا يزداد صاحبه إلاّ تحيراً».

وفي رواية أخرى عن حريز : «تكلموا في كل شيء ، ولا تتكلموا في ذات اللّه» (2).

وعنه عليه‌السلام : «كلّما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه ، مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم» (3).

## صفات الذات :

نفى الإمام الباقر عليه‌السلام ما قاله بعض متكلمي العراق من تعدد صفات الذات ، وأنّه تعالى يسمع بغير ما يبصر ، ويبصر بغير ما يسمع ، شأنه في ذلك شأن مخلوقاته ، وقد عمل الإمام عليه‌السلام على وضع هذه المسألة في إطارها الصحيح ، مؤكّداً وحدة الصفات ، وكونها عين الذات الإلهية المقدّسة.

روى محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، ـ في صفة القديم ـ إنّه واحد صمد ، أحدي المعنى ، ليس بمعان كثيرة مختلفة. قال : «قلت : جعلت فداك ، إنّه يزعم قوم من أهل الع راق أنّه يسمع بغير الذي يبصر ، ويبصر بغير الذي يسمع. قال : فقال : كذبوا وألحدوا ، وشبهوا اللّه تعالى ، إنّه سميع بصير ، يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يسمع. قال : فقلت : يزعمون أنّه بصير على ما يعقله. قال : فقال : تعالى اللّه ، إنما يعقل من كان بصفة المخلوق ، وليس اللّه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المحاسن 1 : 238 / 211.

(2) الكافي 1 : 92 / 1.

(3) بحار الأنوار 66 : 292.

كذلك» (1).

## أزلية الذات :

ورد في كلام الإمام الباقر عليه‌السلام ما يؤكد أزلية واجب الوجود وتوحيده ، وتنزيهه عن المشابهة لمخلوقاته المفتقرة إلى الزمان والمكان والعلّة.

قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه‌السلام : «إن اللّه تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره ، نوراً لا ظلام فيه ، وصادقاً لا كذب فيه ، وعالماً لا جهل فيه ، وحياً لا موت فيه ، وكذلك هو اليوم ، وكذلك لا يزال أبداً» (2).

وعن أبي بصير ، قال : «جاء رجل إلى أبي جعفر عليه‌السلام ، فقال له : أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال : ويلك إنما يقال لشيء لم يكن متى كان ، إنّ ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كيف ، ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لمكانه مكاناً ، ولا قوي بعد ما كون الأشياء ، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً ، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ، ولا يشبه شيئاً مذكوراً ، ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه ، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه ، لم يزل حياً بلا حياة ، وملكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً ، وملكاً جباراً بعد إنشائه للكون ، فليس لكونه كيف ، ولا له أين ، ولا له حدّ ، ولا يعرف بشيء يشبهه ، ولا يهرم لطول البقاء ، ولا يصعق لشيء ، بل لخوفه تصعق الأشياء كلّها ، كان حياً بلا حياة حادثة ، ولا كون موصوف ، ولا كيف محدود ، ولا أين

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الاحتجاج 2 : 54.

(2) التوحيد : 141.

موقوف (1) عليه ، ولا مكان جاور شيئاً ، بل حي يعرف ، وملك لم يزل له القدرة والملك ، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته ، لا يحدّ ولا يبعّض ولا يفنى ، كان أولاً بلا كيف ، ويكون آخراً بلا أين ، وكل شيء هالك إلاّ وجهه ، له الخلق والأمر ، تبارك اللّه ربّ العالمين.

ويلك أيّها السائل ، إنّ ربّي لا تغشاه الأوهام ، ولا تنزل به الشبهات ، ولا يحار ولا يجاوزه شيء (2) ، ولا تنزل به الأحداث ، ولا يسأل عن شيء يفعله ، ولا يندم على شيء ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى» (3).

## معنى الصمد :

ذهب المشبهة إلى أن معنى الصمد هو المصمت الذي لا جوف له ، وذلك لا يكون إلاّ من صفة الأجسام المصمتة التي لا أجواف لها ، واللّه جلّ ذكره متعال عن ذلك ، ليس كمثله شيء ، وهو أعظم وأجلّ من أن تقع الأوهام على صفته ، أو تدرك كنه عظمته.

من هنا أكّد الإمام أبو جعفر الباقر عليه‌السلام على أن معنى الصمد هو أن اللّه سبحانه يعبده كل شيء ، ويصمد إليه كل شيء (4). وقال عليه‌السلام : «الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناهٍ» (5). أي هو السيد الصمد الذي جميع الخلق

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) في التوحيد : ولا أثر مقفو.

(2) في التوحيد : ولا يجار من شيء ، ولا يجاوره شيء.

(3) الكافي 1 : 88 / 3 ، التوحيد : 173 / 2.

(4) الكافي 1 : 123 / 2.

(5) التوحيد : 90 ، معاني الأخبار : 7.

من الجن والإنس إليه يصمدون في الحوائج ، وإليه يلجأون عند الشدائد ، ومنه يرجون الرخاء ودوام النعماء ، ليدفع عنهم الشدائد (1).

وورد عنه عليه‌السلام تفسير لحروف كلمة الصمد ، ينسجم مع المعنى الذي يؤكده في وحدانية الخالق ، وأزلية ملكه ودوامه ، وعجز حواس وأوهام الخلق عن درك ماهيته وكيفيته.

قال وهب بن وهب القرشي : سمعت الصادق عليه‌السلام يقول : «قدم وفد من أهل فلسطين على الباقر عليه‌السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ، ثم سألوه عن الصمد ، فقال : تفسيره فيه ، الصمد خمسة أحرف : فالألف دليل على إنّيته ، وهو قوله عزّوجلّ : «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» (2) وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس ، واللام دليل على إلهيته بأنه هو اللّه.

والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ، ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة ، دليل على أن إلهيته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس ، ولا تقع في لسان واصف ، ولا أذن سامع ، لأن تفسير الإله هو الذي ألْهَ الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحسّ أو بوهم ، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس ، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة ، دليل على أن اللّه سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه ، كما أن لام الصمد لا تتبين ولا تدخل في حاسة من الحواس الخمس ، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف ، فمتى تفكر العبد في ماهية الباري وكيفيته ، ألْهَ فيه وتحيّر ، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له ، لأنه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : الكافي 1 : 124.

(2) سورة آل عمران : 3 / 18.

عزّوجلّ خالق الصور ، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز وجل خالقهم ومركب أرواحهم في أجسادهم.

وأما الصاد فدليل على أنه عز وجل صادق وقوله صدق وكلامه صدق ، ودعا عباده إلى إتباع الصدق بالصدق ، ووعد بالصدق دار الصدق.

وأما الميم فدليل على ملكه ، وأنه الملك الحق لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه.

وأما الدال فدليل على دوام ملكه ، وأنه عزّوجلّ دائم ، تعالى عن الكون والزوال ، بل هو عزّوجلّ يكوّن الكائنات ، الذي كان بتكوينه كل كائن» (1).

## العلم الإلهي :

جاء في حديث الباقر عليه‌السلام ما يؤكد أزلية علمه تعالى ، وأنه محيط بكل شيء ، وليس في علمه تفاوت ولا اختلاف وليس له حدود ، فهو عالم بالأشياء قبل وبعد كونها على حد سواء ، لأنه الخالق والمكوّن له.

عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «سمعته يقول : كان اللّه عزّوجلّ ولا شيء غيره ، ولم يزل عالماً بما يكون ، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه» (2).

وعن فضيل ، قال : قلت لأبي جعفر عليه‌السلام : «جعلت فداك ، إن رأيت أن تعلمني هل كان اللّه جل ذكره يعلم قبل أن يخلق الخلق أنه وحده؟ فقد اختلف مواليك. فقال بعضهم : قد كان يعلم تبارك وتعالى أنه وحده قبل أن يخلق شيئاً من خلقه ، وقال بعضهم : إنما معنى يعلم يفعل ، فهو اليوم يعلم أنه لا غيره قبل

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التوحيد : 92 ، معاني الأخبار : 7.

(2) الكافي 1 : 107 / 2 ، التوحيد : 145 / 12.

 فعل الأشياء ، وقالوا : إن أثبتنا أنه لم يزل عالماً بأنه لاغيره ، فقد أثبتنا معه غيره في أزليته ، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني ما لا أعدوه إلى غيره ، فكتب عليه‌السلام : ما زال اللّه تعالى عالماً تبارك وتعالى ذكره» (1).

## 2 ـ كلماته في الإمامة :

تحدث الإمام أبو جعفر الباقر عليه‌السلام عن كثير من جوانب الإمامة ، باعتبارها من أصول الدين وأركان الإسلام في مدرسة أهل البيت : ، وهي القاعدة الصلبة التي ترتكز عليها بنى الإسلام ، وكان ذلك في وقت عصيب عملت فيه السلطة بكل ما أوتيت من قوة على طمس معالم الإمامة ، وإقصاء أهلها.

وكان من مضامين حديثه في هذا الاتجاه بيان ضرورة ووجوب الإمامة ، ووجه الحاجة إلى الإمام ، وكون معرفته من ضرورات الدين ، التي بدونها يموت المرء ميتة جاهلية ، وتحدث عن منزلة الإمام وعظمته وكرامته عند اللّه ، وأكد على أن الأئمة الذين فرض اللّه طاعتهم هم المعصومون الإثنا عشر من أهل البيت : حصراً ، وهم الأوصياء ، الذين أوجب اللّه سبحانه التمسك بهم وطاعتهم وإخلاص الولاية لهم ، وفرض حبهم ومودتهم والصلوات عليهم.

## ضرورة ووجوب الإمامة :

أكّد الإمام الباقر عليه‌السلام على ضرورة الإمامة ووجوبها من اللّه تعالى ، ذلك لأن الإمام حجته على عباده ، وهو الذي يهتدى به إليه سبحانه ، من هنا لا تخلو الأرض من إمام حي معروف ظاهر أو غائب منذ بدء الخليقة إلى آخر الدهر.

عن أبي هراسة ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام أنه قال : «لو أن الإمام رُفِعَ من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التوحيد : 145 / 11.

الأرض ساعة لساخت بأهلها وماجت ، كما يموج البحر بأهله» (1).

عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام أنه قال : «واللّه ما ترك اللّه أرضه منذ قبض اللّه آدم إلاّ وفيها إمام يهتدى به إلى اللّه ، وهو حجته على عباده ، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة للّه على عباده» (2).

## وجه الحاجة إلى الإمام :

لتأكيد ضرورة النبوة والإمامة ، ذكر الإمام الباقر عليه‌السلام العلّة التي من أجلها يحتاج إلى النبي والإمام ، وهي تحقيق صلاح العالم وأمان أهل الأرض.

عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال : «قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه‌السلام : لأي شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال : لبقاء العالم على صلاحه ، وذلك أن اللّه عزوجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام ، قال اللّه عزّوجلّ : «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» (3) وقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون. يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن اللّه عزوجل طاعتهم بطاعته ، فقال : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الاْءَمْرِ مِنْكُمْ» (4) وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ولا يعصون ، وهم المؤيدون

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الغيبة / النعماني : 139 ، بصائر الدرجات : 508 / 3 ، الإمامة والتبصرة : 34 ، الكافي 1 : 179 / 12 ، اكمال الدين : 202 / 3 و 9.

(2) الغيبة / النعماني : 138.

(3) سورة الأنفال : 8 / 33.

(4) سورة النساء : 4 / 59.

الموفّقون المسدّدون ، بهم يرزق اللّه عباده ، وبهم تعمر بلاده ، وبهم ينزل القطر من السماء ، وبهم يخرج بركات الأرض ، وبهم يمهل أهل المعاصي ، ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب ، لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه ، ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم ، صلوات اللّه عليهم أجمعين» (1). وقد شخص عليه‌السلام في هذا الحديث أيضاً هوية الأئمة مفترضي الطاعة من قبل اللّه عزّوجلّ.

## وجوب معرفة الإمام :

تحدّث الإمام الباقر عليه‌السلام عن وجوب معرفة إمام العصر ، لارتباط هذه المعرفة بمعرفة اللّه ، قال عليه‌السلام : «إنّما كلّف الناس ثلاثة : معرفة الأئمة ، والتسليم لهم فيما ورد عليهم ، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه» (2).

وعن جابر ، قال : سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول : «إنّما يعرف اللّه عزّوجلّ ويعبده من عرف اللّه وعرف إمامه منا أهل البيت ، ومن لا يعرف اللّه عزّوجلّ ولا يعرف الإمام منا أهل البيت ، فإنّما يعرف ويعبد غير اللّه ، هكذا واللّه ضلالاً» (3).

وأكّد حديث آبائه : «أنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ، من هنا فإن الحجة لا تقوم للّه عزّوجلّ على عباده إلاّ بإمام حي معروف.

عن فضيل بن يسار ، قال : سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول : «من مات وليس له

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) علل الشرائع 1 : 123 / باب 103.

(2) الكافي 1 : 390 / 1.

(3) الكافي 1 : 181 / 4.

إمام فميتته ميتة جاهلية ، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر ، ومن مات وهو عارف لإمامه ، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه» (1).

وعن أبي عبيدة الحذاء ، قال : سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول : «من مات لا يعرف إمامه ، مات ميتة جاهلية كفر ونفاق وضلال» (2).

وفي لفظ آخر عنه وعن سالم بن أبي حفصة ، أنهما سمعا أبا جعفر عليه‌السلام يقول : «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية» (3).

وقال أبو جعفر عليه‌السلام : «إن الحجّة لا تقوم للّه عزّوجلّ على خلقه إلاّ بإمام حي يعرفونه» (4).

## الآثار المترتبة على عدم المعرفة :

وشرح الإمام عليه‌السلام الآثار المترتبة على عدم معرفة الإمام ، وعلى رأسها عدم قبول الأعمال إلاّ بتلك المعرفة ، ضارباً أروع الأمثلة في هذا السياق.

عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول : «كل من دان اللّه عزّوجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من اللّه ، فسعيه غير مقبول ، وهو ضال متحير ، واللّه شانئ لأعماله ، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها ، فهجمت ذاهبة وجائية يومها ، فلما جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها ، فحنت إليها واغترت بها ، فباتت معها في مربضها ، فلما أن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 371 / 5.

(2) الإمامة والتبصرة : 82.

(3) الكافي 1 : 397 / 1 ، بصائر الدرجات : 279 و 529 و 530.

(4) قرب الاسناد : 351.

ساق الراعي قطيعه ، أنكرت راعيها وقطيعها ، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها ، فبصرت بغنم مع راعيها فحنت إليها واغترت بهافصاح بها الراعي : ألحقي براعيك ، وقطيعك فأنت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك ، فهجمت ذعرة متحيرة تائهة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها ، فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها ، فأكلها.

وكذلك واللّه يا محمد من أصبح من هذه الأُمّة لا إمام له من اللّه عزّوجلّ ظاهر عادل ، أصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق.

واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين اللّه ، قد ضلّوا وأضلّوا ، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضّلال البعيد» (1).

## كيف يُعْرَف الإمام؟

تحدث الإمام الباقر عليه‌السلام عن الوسائل التي يتمكّن المرء من التعرّف على الإمام ، أو الخصال التي يجب توافرها في الإمام ، لكي يسحب البساط عن كل من يدعي هذا المنصب الخطير.

عن أبي الجارود ، قال : سألت أبا جعفر الباقر عليه‌السلام : «بم يعرف الإمام؟ قال : بخصال أولها : نص من اللّه تبارك وتعالى عليه ، ونصبه علماً للناس حتى يكون عليهم حجة ، لأن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نصب علياً عليه‌السلام وعرفه الناس باسمه وعيّنه ، وكذلك الأئمة : ينصب الأول الثاني ، وأن يُسأل فيجيب ، وأن يسكت عنه فيبتدئ ، ويخبر الناس بما يكون في غد ، ويكلم الناس بكل

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 183 / 8 و : 374 / 2 ، المحاسن 1 : 92 / 47.

لسان ولغة» (1).

## أئمة أهل البيت : :

عمل الإمام الباقر عليه‌السلام على تشخيص المراد من أئمة أهل البيت : بعد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فذكر أنّ اللّه تبارك وتعالى أرسل محمداً صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى الجن والإنس ، وجعل من بعده اثني عشر وصياً ، منهم من مضى ، ومنهم من بقي (2) ، وذكر أنهم اثنا عشر إماماً من أهل بيت النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وكلهم محدثون ، ومنهم علي بن أبي طالب وهو أولهم (3) ، وبقية الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة (4) ، وهم الحسن والحسين ، ثم الأئمة من ولد الحسين عليه‌السلام (5) ، وهم تسعة من صلبه (6) ، وتاسعهم قائمهم (7).

وروى الإمام الباقر عليه‌السلام عن الصحابي الجليل جابر عبد اللّه الأنصاري حديث اللوح الذي هبط به جبرئيل على رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من الجنّة ، فأعطاه فاطمة 3 ، وفيه أسماء الأئمة من بعده ، وفيه اثنا عشر اسماً هي أسماء الأوصياء أولهم علي عليه‌السلام وبعده أحد عشر من ولده ، وآخرهم القائم عليه‌السلام (8).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) معاني الأخبار : 101 / 3.

(2) اكمال الدين : 325 / 4.

(3) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام 2 : 60 / 24.

(4) اكمال الدين 1 : 222 / 8.

(5) الكافي 1 : 533 / 16 ، عيون أخبار الرضا عليه‌السلام 2 : 59 / 22 ، الخصال : 478 / 44.

(6) كفاية الأثر : 245.

(7) الخصال : 419 / 12.

(8) اكمال الدين : 311 / 2 و 3 ، الارشاد 2 : 159 ، اعلام الورى 1 : 501.

## الوصية :

وذكر الإمام الباقر عليه‌السلام الوصية باعتبارها أهم ما يعهد به النبي إلى القائد الرسالي الذي يخلفه في قيادة الأمة في مسيرتها الرسالية ، ويكون حجةً للّه على العباد ، ووريثاً للنبوة ، ومحافظاً على ديمومة حركة الرسالة ، ولم يتخلف أحد من الأنبياء عن هذه القاعدة الإلهية منذ أبينا آدم عليه‌السلام حتى رسولنا المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وتماشياً مع هذه السنن الإلهية خلّف النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم علياً عليه‌السلام وصياً له من بعده ، في أحاديث كثيرة منها قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : «لكلّ نبي وصيّ ووارث ، وأنّ علياً وصيي ووارثي» (1) ، وبيّن أن أولاده المعصومين هم الأوصياء من بعده.

وجاء في حديث الإمام الباقر عليه‌السلام ما يؤكّد هذه المضامين ، ففي حديث عنه عليه‌السلام ذكر فيه اتصال الوصية منذ هبة اللّه وصيّ آدم عليهما‌السلام إلى سام بن نوح عليه‌السلام (2).

وفي حديث آخر عنه عليه‌السلام جاء فيه : « فلمّا انقضت نبوة آدم عليه‌السلام واستكمل أيامه ، أوصى اللّه تعالى إليه ، أن يا آدم قد قضيت نبوتك ، واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الأعظم وميراث العلم وآثار علم النبوة في العقب من ذريتك ، عند هبة اللّه ابنك ، فإني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأعظم وآثار علم النبوة في العقب من ذريتك إلى يوم القيامة ، ولن أدع الأرض إلاّ وفيها عالم يُعرَف به ديني ، وتُعرَف به طاعتي ، ويكون نجاةً لمن يولد بينك وبين نوح .. » (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الرياض النضرة 3 : 119 ، ذخائر العقبى : 71 ، فتح الباري 8 : 150.

(2) تفسير العياشي 2 : 28 / 1237 ، قصص الأنبياء / الراوندي : 62 / 43.

(3) تفسير العياشي 2 : 32 / 1238 ، روضة الكافي 8 : 113 / 92 ، اكمال الدين : 213 / 2.

وفي حديث آخر عنه عليه‌السلام ذكر فيه وصية موسى عليه‌السلام إلى فتاه يوشع بن نون (2).

وأخرج العلامة ابراهيم بن محمّد الصنعاني في كتابه (إشراق الأصباح) عن محمد بن علي الباقر عليه‌السلام ، عن آبائه : : عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من حديث طويل ، وفيه : «وهو ـ يعني علياً ـ وصيي ووليي» (3).

وعن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : سمعته يقول : «إن أقرب الناس إلى اللّه عزوجل وأعلمهم به وأرأفهم بالناس محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم والأئمة : ، فادخلوا أين دخلوا ، وفارقوا من فارقوا ، فإن الحقّ فيهم ، وهم الأوصياء ، ومنهم الأئمة» (4).

## التمسك بالأئمة وطاعتهم : :

تحدّث الإمام أبو جعفر عليه‌السلام عن حقوق أهل البيت الواجبة على الأُمّة ، والتي تسالم الحكام على الاعتداء عليها وتجاوزها ، ومن ذلك فرض طاعتهم ومولاتهم والتمسّك بهديهم ومودّتهم.

عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : « ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه ، وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى ، الطاعة للإمام بعد معرفته ، ثم قال : إن اللّه تبارك وتعالى يقول : «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» » (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(2) تفسير العياشي 3 : 98 / 2666 ، اكمال الدين : 217 / 2.

(3) العقد الثمين / الشوكاني : 41.

(4) اكمال الدين : 328 / 8.

(5) الكافي 1 : 185 / 1 ، والآية من سورة النساء : 4 / 80.

وعن أبي بصير أنه سأل الإمام الباقر عليه‌السلام عن قول اللّه تعالى : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الاْءَمْرِ مِنْكُمْ» (1) ، فقال : «نزلت في علي بن أبي طالب عليه‌السلام.

قلت : إنّ الناس يقولون : فما منعه أن يسمّي علياً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر عليه‌السلام : قولوا لهم : إنّ اللّه أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول اللّه هو الذي فسّر ذلك ، وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا سبعاً حتى فسّر ذلك لهم رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وأنزل : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الاْءَمْرِ مِنْكُمْ» فنزلت في علي والحسن والحسين ، وقال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : أوصيكم بكتاب اللّه وأهل بيتي ، اني سألت اللّه أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض ، فأعطاني ذلك» (2).

وجاء في حديث جابر الجعفي ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام : «وطاعتنا فريضة» (3).

وقال عليه‌السلام موضحاً أن التمسك بهم هو سبيل النجاة ، والتخلف عنهم هو سبيل الغواية والضلال : «نحن صراط اللّه المستقيم ، نحن رحمة اللّه للمؤمنين ، بنا يفتح اللّه ، وبنا يختم اللّه ، من تمسّك بنا نجا ، ومن تخلّف عنا غوى» (1).

ومثلما ذكر حقوق الإمام على الرعية ، تحدث عن حق الرعية على الإمام.

عن أبي حمزة الثمالي ، قال : «سألت أبا جعفر عليه‌السلام ما حق الإمام على الناس؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النساء : 4 / 59.

(2) الكافي 1 : 286 / 1 ، شواهد التنزيل / الحسكاني 1 : 189 / 203.

(3) مناقب آل أبي طالب 3 : 336.

 قال : حقه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا. قلت : فما حقهم عليهم؟ قال : يقسم بينهم بالسوية ، ويعدل في الرعية ، فإذا كان ذلك في الناس ، فلا يبالي من أخذ هاهنا وهاهنا» (2).

## إخلاص الموالاة لهم : :

وحيث أن الإمامة منصب خطير ، به تقام الفرائض وتنتظم الأمور ، صارت الولاية أحد أركان الإسلام ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه» (3).

وعن زرارة ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة : فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال : الولاية أفضل ، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن» (4).

وقال أبو جعفر عليه‌السلام : «من سره أن لا يكون بينه وبين اللّه حجاب حتى ينظر الى اللّه وينظر اللّه إليه ، فليتول آل محمد ويبرأ من عدوهم ، ويأتم بالإمام منهم» (5).

وعن الفضيل ، قال : نظر أبو جعفر عليه‌السلام إلى الناس يطوفون حول الكعبة ، فقال : « هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية ، إنما أمروا أن يطوفوا بها ، ثم ينفروا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) عيون المعجزات : 67.

(2) الكافي 1 : 405 / 1.

(3) الكافي 2 : 18 / 3.

(4) الكافي 2 : 18 / 5.

(5) قرب الاسناد : 351.

الينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ، ويعرضوا علينا نصرتهم ، ثم قرأ هذه الآية «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» » (1).

وفي قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (2).

جاء عن الإمام الباقر عليه‌السلام في هذه الآية قوله : «كونوا مع آل محمد :» (3).

وقال عليه‌السلام : «من سرّه أن لا يكون بينه وبين اللّه حجاب حتى ينظر إلى اللّه وينظر اللّه إليه ، فليتول آل محمد ويبرأ من عدوهم ، ويأتم بالإمام منهم ، فإنه إذا كان كذلك نظر اللّه إليه ونظر إلى اللّه» (4).

## مودتهم : :

لا يختلف اثنان أن مودة أهل البيت : عقيدة مستمدة من كتاب اللّه تعالى وسنة نبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ومبدأ رسالي ينطوي على آثار مهمة في حياة الفرد والمجتمع ، من هنا حرص الإمام الباقر عليه‌السلام على نفض غبار التناسي والنسيان عن ذاكرة الأُمّة ، وإزالة تراكمات الحكام الذين عملوا على تبديل ذلك الودّ المفروض بالقتل والقمع والإرهاب والترويع والبغض والنصب ، فذكّرهم بضرورة من ضرورات الدين ، وحق من حقوق أهل البيت الثابتة لهم لطهارتهم وعصمتهم وقربهم من ربهم ، مبيناً أن حبهم من الإيمان ، بل هو أصل الإيمان.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أصول الكافي 1 : 392 / 1 ، والآية من سورة إبراهيم : 14 / 37.

(2) سورة التوبة : 9 / 119.

(3) ترجمة الإمام علي عليه‌السلام من تاريخ مدينة دمشق 2 : 421 / 930.

(4) قرب الاسناد : 351.

قال عليه‌السلام : «حبنا إيمان ، وبغضنا كفر» (1).

وقال عليه‌السلام : «إنّما حبنا أهل البيت شيء يكتبه اللّه في قلب العبد ، فمن كتبه اللّه في قلبه لم يستطع أحد أن يمحوه ، أما سمعت اللّه يقول : «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِْيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» (2) فحبنا أهل البيت من أصل الإيمان» (3).

## آثار مودّتهم : :

بيّن الإمام الباقر عليه‌السلام عمق الآثار المترتبة على حب آل البيت ، ومنها أنه دليل على طهارة القلب وطيب المولد ، ويؤدي بالمرء إلى غفران الذنوب والخلاص من شديد الحساب والأمن من فزع يوم القيامة.

قال الإمام الباقر عليه‌السلام : «لا يحبّنا عبد ويتولانا حتى يطهّر اللّه قلبه ، ولا يطهّر اللّه قلب عبد حتى يسلّم لنا ويكون سلما لنا ، فإذا كان سلما لنا سلّمه اللّه من شديد الحساب ، وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر» (4).

وعنه عليه‌السلام ، قال : «من أصبح يجد برد حبنا على قلبه فليحمد اللّه على بادئ النعم. قيل : وما بادئ النعم؟ قال : طيب المولد» (5).

وقال عليه‌السلام : «محبنا في الجنة ، ومبغضنا في النار» (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 188 / 12 ، المحاسن 1 : 247 / 463.

(2) المجادلة : 58 / 22.

(3) شواهد التنزيل 2 : 330 / 971.

(4) الكافي 1 : 194 / 1.

(5) معاني الأخبار : 161 / 2.

(6) مناقب آل أبي طالب 3 : 336.

وقال عليه‌السلام : «بحبّنا تغفر لكم الذنوب» (1).

وإخلاص حبهم هو دليل على بلوغ حقيقة الإيمان ، روى فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : حتى يكون الموت أحب إليه من الحياة ، والفقر أحب إليه من الغنى ، والمرض أحب إليه من الصحة. قلنا : ومن يكون كذلك؟ قال : كلكم. ثم قال : أيما أحب إلى أحدكم؛ يموت في حبنا ، أو يعيش في بغضنا؟ فقلت : نموت واللّه في حبكم أحب إلينا. قال : وكذلك الفقر والغنى والمرض والصحة. قلت : إي واللّه» (3).

ونقل الإمام الباقر عليه‌السلام عن جده رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأمير المؤمنين عليه‌السلام كثيراً من الأحاديث في هذا الاتجاه (4).

## الصلاة عليهم :

الصلاة على النبي وآله من الحقوق التي جاءت صريحة لأهل البيت : في محكم الكتاب الكريم في قوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً» (4) ، وثبت في السنن المنقولة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنه حينما سئل عن كيفية الصلاة قال : «قولوا اللهم صل على محمد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أمالي الطوسي : 452 / 1010.

(2) معاني الأخبار : 189.

(3) راجع : أمالي الطوسي : 423 / 947 ، تفسير البرهان / البحراني 3 : 212 في تفسير قوله تعالى : «من جاء بالحسنة فله خير منها» ، مناقب ابن المغازلي : 138 ، بحار الأنوار 26 : 227 / 1 و 27 : 77 / 8.

(4) سورة الأحزاب : 33 / 56.

وآل محمد».

ونقل عن الإمام الباقر عليه‌السلام ما يؤكد هذا الحق الثابت والمضيع ، أو المنقول بصور مشوهة ومبتورة تزلفاً للحكام الذين استخدموا شتى الوسائل في حرب مفتوحة على أهل هذا البيت الطاهر.

وقد صرّح الإمام الباقر عليه‌السلام بوجوب الصلاة عليهم في التشهّد (2).

ورويت أحد صور الصلاة على النبي والآل : عن الإمام الباقر عليه‌السلام ، وبين فضلها ، بالاسناد عن ناجية ، قال : «قال أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : إذا صلّيت العصر يوم الجمعة فقل : اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد الأوصياء المرضيّين بأفضل صلواتك ، وبارك عليهم بأفضل بركاتك ، والسلام عليه وعليهم وعلى أرواحهم وأجسادهم ورحمة اللّه وبركاته. فإنّه من قالها بعد العصر ، كتب اللّه له مائة ألف حسنة ، ومحا عنه مائة ألف سيئة ، وقضى له بها مائة ألف حاجة ، ورفع له بها مائة ألف درجة» (3).

## فضل أهل البيت : ومنزلتهم :

واستغرق الإمام أبو جعفر عليه‌السلام في الحديث عن عظمة منصب الإمامة وسمو منزلتها عند اللّه تعالى في جملة أحاديث بين فيها أن الإمامة عهد من اللّه لشخص محدّد متميّز بخصال وصفات تؤهله لهذا المنصب العظيم ، منها أنه معصوم متنزّه من الظلم بجميع صوره. روى جابر ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : سمعته يقول : «إن اللّه اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً ، واتّخذه نبياً قبل أن يتّخذه رسولاً ، واتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً ، واتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) جلاء الأفهام / ابن قيم الجوزية : 253.

(2) أمالي الصدوق : 483 / 656 ، أمالي الطوسي : 440 / 986.

 إماماً ، فلمّا جمع له هذه الأشياء ـ وقبض يده ـ قال له : يا إبراهيم إني جاعلك للناس إماماً فمن عظمها في عين إبراهيم عليه‌السلام قال : يا رب ، ومن ذريتي؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين» (1).

وتحدث عن خصوص منزلة أهل بيت النبي : المعصومين الذين فرض اللّه طاعتهم ، وعن فضائلهم التي حباهم اللّه بها في أحاديث عدّة ، منها حديث خيثمة الجعفي ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : « سمعته يقول : نحن جنب اللّه ، ونحن صفوته ، ونحن خيرته ، ونحن مستودع مواريث الأنبياء ، ونحن أمناء اللّه عزوجل ، ونحن حجج اللّه ، ونحن أركان الإيمان ، ونحن دعائم الإسلام ، ونحن من رحمة اللّه على خلقه ، ونحن الذين بنا يفتح وبنا يختم ، ونحن أئمة الهدى ، ونحن مصابيح الدجى ، ونحن منار الهدى ، ونحن السابقون ، ونحن الأخرون ، ونحن العلم المرفوع للخلق ، من تمسك بنا لحق ، ومن تخلف عنا غرق ، ونحن قادة الغر المحجلين ، ونحن خيرة اللّه ، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى اللّه عزوجل ، ونحن من نعمة اللّه عزوجل على خلقه ، ونحن المنهاج ، ونحن معدن النبوة ، ونحن موضع الرسالة ، ونحن الذين إلينا تختلف الملائكة ، ونحن السراج لمن استضاء بنا ، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ، ونحن الهداة إلى الجنة ... » (2).

وعنه عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «نحن شجرة النبوة ، وبيت الرحمة ، ومفاتيح الحكمة ، ومعدن العلم ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وموضع

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 175 / 4.

(2) اكمال الدين : 205 / 20 ، بصائرالدرجات : 82 / 10 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 336.

سر اللّه ، ونحن وديعة اللّه في عباده ، ونحن حرم اللّه الأكبر ، ونحن عهد اللّه ، فمن وفى بذمتنا فقد وفى بذمة اللّه ، ومن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد اللّه ، ومن خفرنا فقد خفر ذمة اللّه وعهده» (1).

وعن سدير ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «قلت له : جعلت فداك ، ما أنتم؟ قال : نحن خزان علم اللّه ، ونحن تراجمة وحي اللّه ، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض» (2).

وعن جابر الجعفي ، قال : قال الباقر عليه‌السلام : «نحن ولاة أمر اللّه ، وخزان علم اللّه ، وورثة وحي اللّه ، وحملة كتاب اللّه» (3).

وعن الفضيل بن يسار ، قال أبو جعفر عليه‌السلام : «يا فضيل ، ما ينقم الناس منا ، فواللّه إنّا لشجرة النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبيت الرحمة ، ومعدن العلم» (4).

وعنه عليه‌السلام : «نحن الأُمّة الوسطى ، ونحن شهداء اللّه على خلقه ، وحججه في أرضه» (5).

## فضل الحسين عليه‌السلام وزيارته :

الحسين عليه‌السلام مفجّر ثورة تصحيح المسار في الزمن العصيب ، كان له نصيب وافر من حديث الإمام الباقر عليه‌السلام الذي شهد الثورة وهو غلام رباعي ، وحمل

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بصائر الدرجات : 77 / 3.

(2) الكافي 1 : 192 / 3.

(3) مناقب آل أبي طالب 3 : 336.

(4) بصائر الدرجات : 77 / 5.

(5) الكافي 1 : 146 / 2 و 147 / 4 ، بصائر الدرجات : 183 / 11 و 102 / 3.

منارها طوال حياته لاستثمار النصر الذي حققه جده الحسين عليه‌السلام بدمه الزكي ، واستكمال الخطوات التي حمل السجاد عليه‌السلام أعباءها في الدفاع عن أهداف نهضة الحسين عليه‌السلام وتأصيل مبادئها في أذهان الأمة ، عن طريق التحديث بفضائل قائد النهضة وفضل التواصل مع دلالات ثورته وتعهده بالزيارة تصديقاً لما رغب فيه.

روى محمد بن مسلم عن الباقر والصادق عليهما‌السلام : «أن للحسين عليه‌السلام ثلاث فضائل يتميز بها عن سواه من الخلق ، فضلاً عن سائر فضائله الأخرى ، وهي : أن جعل اللّه الإمامة في ذريته ، والشفاء في تربته ، واجابة الدعاء عند قبره» (1).

وعنه ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه‌السلام ، فإنّ إتيانه يزيد في الرزق ، ويمدّ في العمر ، ويدفع مدافع السوء ، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ له بالإمامة من اللّه» (2).

وعن داود الرقي ، قال : «قال الباقر محمد بن علي بن الحسين : : من زار الحسين عليه‌السلام في ليلة النصف من شعبان غفرت له ذنوبه ، ولم تكتب عليه سيئة في سنته حتى تحول عليه السنة ، فإن زاره في السنة المستقبلة غفرت له ذنوبه» (3).

## الغيبة :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اعلام الورى 1 : 431.

(2) تهذيب الأحكام 6 : 42 / 1 ، كامل الزيارات : 284.

(3) الإمالي / الطوسي : 47 / 59.

استغرق موضوع الغيبة كثيراً من حديث الإمام الباقر عليه‌السلام وجهوده ، ويبدو أن واحدة من دواعي ذلك هو اعتقاد بعض الناس بمهدويته هو عليه‌السلام ، وما أرجف به الأمويون من ادعاء مهدوية عمر بن عبد العزيز ، وصنع الوضاعون روايات عن الباقر عليه‌السلام وفاطمة بنت علي عليه‌السلام تؤيد مهدوية عمر بن عبد العزيز ، ومنها الحديث المزعوم عن الباقر عليه‌السلام : النبي منّا ، والمهدي من بني عبد شمس ، ولا نعلمه إلاّ عمر بن عبد العزيز ، ونحو ذلك (1). لأجل الطعن بهذه العقيدة وإضعافها في نفوس معتقديها.

وعلى ضوء ذلك عمل الإمام الباقر عليه‌السلام في اتجاهين ، الأول : نفي مهدويته ومهدوية غيره من المدعين. الثاني : تشخيص هوية مهدي أهل البيت الذي بشّر به النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم والأئمة الميامين من قبل ، وبيان خصاله التي لا تنطبق إلاّ عليه.

## 1 ـ نفي ادعاء مهدويته عليه‌السلام :

كان ردّ الإمام الباقر عليه‌السلام على من ادعى المهدوية له أو لغيره ، يبتني على جملة أمور ، هي :

أ ـ تأكيد أن كل واحد من أئمة أهل البيت : قائم بأمر اللّه ، ويهدي إلى اللّه عزّوجلّ ، لكنه ليس القائم أو المهدي الموعود صاحب السيف الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ب ـ تأكيد أن المهدي عليه‌السلام يظهر في صورة شاب أقل عمراً منه عليه‌السلام ، وأنى يكون هو المهدي وقد دنى أجله؟!

روي أن الحكم بن أبي نعيم كان يعتقد مهدوية الإمام الباقر عليه‌السلام ، قال : «أتيت أبا جعفر عليه‌السلام بالمدينة فقلت له : جعلت فداك ، إني جعلت عليّ نذر صيام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) راجع : الطبقات الكبرى 5 : 333 ، تاريخ دمشق 45 : 187.

وصدقة إن أنا لقيتك لم أخرج من المدينة حتى أعلم أنك قائم آل محمد عليه‌السلام أو لا ، فإن كنت أنت رابطتك ، وإن لم تكن انتشرت في الأرض وطلبت المعاش؟

فقال عليه‌السلام : يا حكم ، كلنا قائم بأمر اللّه عزّوجلّ. فقلت : وأنت المهدي؟ قال : كلنا نهدي إلى اللّه عزّوجلّ. قلت : فأنت صاحب السيف ووارث السيف ، وأنت الذي تقتل أعداء اللّه وتعزّ أولياءه ، ويظهر بك دين اللّه؟ قال : يا حكم ، أكون أنا هو وقد بلغت هذا! أليس صاحب الأمر أقرب عهداً باللين مني؟! ثم قال بعد كلام طويل : سر في حفظ اللّه والتمس معاشاً» (1).

وعن الأعمش عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «يزعمون أني أنا المهدي ، وإني إلى أجلي أدنى مني إلى ما يدعون ، ولو أن الناس اجتمعوا على أن يأتيهم العدل من باب ، لخالفهم القدر حتى يأتي به من باب آخر» (2).

ج ـ تأكيد أن المهدي الموعود عليه‌السلام يتميز بصفات لا تنطبق على أحد ممن أدّعي له هذا الأمر ، سواء كان من أهل البيت : أو من غيرهم ، منها :

## أولاً : خفاء ولادته :

قال الشيخ المفيد : روي عن الباقر عليه‌السلام : أن الشيعة قالت له يوماً : «أنت صاحبنا الذي يقوم بالسيف؟ قال : لست بصاحبكم ، انظروا من خفيت ولادته ، فيقول قوم ولد ، ويقول قوم ما ولد ، فهو صاحبكم» (3).

وعن أبي الجارود ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، قال : «لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون : هو هذا ، فيذهب اللّه به ، حتى يبعث اللّه لهذا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الهداية الكبرى : 242.

(2) تاريخ دمشق 45 : 291.

(3) رسائل في الغيبة 2 : 13.

الأمر من لا تدرون ولد أم لم يولد ، خلق أم لم يخلق» (1).

وعن عبد اللّه بن عطاء ، قال : قلت لأبي جعفر عليه‌السلام : «إن شيعتك بالعراق كثيرون ، فواللّه ما في أهل بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج؟! فقال : يا عبد اللّه بن عطاء ، قد أمكنت الحشو من أذنيك! واللّه ما أنا بصاحبكم. قلت : فمن صاحبنا؟ قال : انظروا من تخفى على الناس ولادته ، فهو صاحبكم» (2).

## ثانياً : الفتنة والتمحيص :

ذكر عليه‌السلام في أحاديث كثيرة مرور شيعته خلال غيبة الإمام المهدي عليه‌السلام بمرحلة طويلة من التمحيص والابتلاء ، ومنه عن محمد بن منصور الصيقل ، عن أبيه ، قال : «دخلت على أبي جعفر الباقر عليه‌السلام وعنده جماعة ، فبينا نحن نتحدث وهو على بعض أصحابه مقبل ، إذ التفت إلينا وقال : في أي شيء أنتم؟ هيهات هيهات ، لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحّصوا ، هيهات ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميّزوا ، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا ، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلاّ بعد إياس» (3).

## 2 ـ تشخيص هوية المهدي عليه‌السلام وبيان خصاله :

وأخبر أبو جعفر الباقر عليه‌السلام أن الإمام الحجة عليه‌السلام هو الثاني عشر من الأئمة عليه‌السلام ، وشخص بعض صفاته التي لا تنطبق إلاّ عليه ، كما ذكر الملاحم والفتن وعلامات الظهور ، وقيام دولة الحق على يديه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الغيبة / النعماني : 188.

(2) اكمال الدين : 325 / 2.

(3) الغيبة / النعماني : 216.

ولكي لا يطول بنا المقام هنا ، اقتصر على ذكر بعض مضامين حديث الإمام الباقر عليه‌السلام في هذا الاتجاه ، فقد ورد عنه أن الإمام المهدي عليه‌السلام من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (1) ، وهو رجل من ولد الحسين عليه‌السلام (2) ، وهو الإمام التاسع من بعد الحسين بن علي عليهما‌السلام (3) ، والسابع من بعد الباقر عليه‌السلام (4) ، وهو ابن أمة (5) ، وله غيبتان (6) ، وأن قيامه عليه‌السلام من المحتوم الذي لا تبديل له عند اللّه (7).

وفيه شبه بالأنبياء : وسنن من سننهم ، منهم يونس بن متى عليه‌السلام في غيبته وعودته ، ويوسف عليه‌السلام في حبسه وغيبته ، وموسى عليه‌السلام بكونه خائفاً يترقب ، وعيسى عليه‌السلام في اختلافهم به ، بين قائل : انه مات ، وقائل : انه لم يمت ، ومحمد المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في خروجه بالسيف ، وقتله أعداء اللّه وأعداء رسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من الجبارين والطواغيت ، وأنه ينصر بالسيف والرعب ، وأنه لا ترد له راية (8).

وروي عن الإمام الباقر عليه‌السلام أنه يصلح اللّه له أمره في ليلة واحدة (9) ، ويخرج في آخر الزمان فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الغيبة / النعماني : 234 ، الارشاد 2 : 371.

(2) عقد الدرر : 126 ، الارشاد 2 : 347.

(3) الغيبة / النعماني : 94 ، كفاية الأثر : 251.

(4) الغيبة / النعماني : 96 ، كفاية الأثر : 251.

(5) الغيبة / النعماني : 166 و 233 و 329.

(6) الغيبة / النعماني : 171 و 178 ، دلائل الإمامة : 535.

(7) الغيبة / النعماني : 88.

(8) اكمال الدين : 326 / 6 و 7 و 11 ، الغيبة / النعماني : 167.

(9) الغيبة / النعماني : 166 و 233 و 329.

وظلماً (1) ، وأنه منصور بالرعب ، مؤيد بالنصر ، تطوي له الأرض وتظهر له الكنوز ، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ، ويظهر اللّه عزّوجلّ به دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، فلا يبقى في الأرض خراب إلاّ قد عمّر ، وينزل روح اللّه عيسى بن مريم عليه‌السلام فيصلّي خلفه (2) ، ويهدم ما قبله كما صنع رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ويستأنف الإسلام جديداً (3) ، وإذا قام قسم بالسوية ، وعدل في الرعية (4) ، وذكر علامات ظهوره المقدس وأخبار أصحابه ودولته في أخبار طويلة (5).

## 3 ـ كلماته عليه‌السلام في الموت والجنّة والنار :

## معنى الموت :

قيل لمحمد بن علي الباقر عليه‌السلام : «ما الموت؟ قال عليهما‌السلام : هو النوم الذي يأتيكم في كل ليلة ، إلاّ أنه طويل مدته ، لا ينتبه منه إلاّ يوم القيامة» (6).

## عظمة الجنة والنار :

عن المنهال بن عمرو ، عنه عليه‌السلام ، قال : «اذكروا من النار ما شئتم ، ولا تذكرون منها شيئاً إلاّ وهي أشد منه ، واذكروا من الجنّة ما شئتم ، ولا تذكرون منها شيئاً إلاّ وهي أفضل» (7).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كفاية الأثر : 251.

(2) اكمال الدين : 330 / 16.

(3) الغيبة / النعماني : 237.

(4) الغيبة / النعماني : 242.

(5) الغيبة / النعماني : 288 و 315 ، عقد الدرر 1 : 49 و 64.

(6) الاعتقادات / الشيخ الصدوق : 31.

(7) تاريخ دمشق 45 : 282 ، سير أعلام النبلاء 4 : 405.

## وصف النار وأهلها :

عن عمرو بن ثابت ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، قال : «إن أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من ألم العذاب.

ما ظنّك ـ ياعمرو ـ بقومٍ لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يُخفف عنهم من عذابها ، عطاش فيها جياع ، كليلة أبصارهم ، صم بكم عمي ، مُسودّة وجوههم ، خاسئين فيها نادمين ، مغضوبٌ عليهم فلا يرحمون ، ومن العذاب لا يُخفّف عنهم ، وفي النار يُسجرون ، ومن الحميم يشربون ، ومن الزقوم يأكلون ، وبكلاليب النار يخطمون ، وبالمقامع يضربون ، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون ، فهم في النار يسحبون على وجوههم ، ومع الشياطين يقرنون ، وفي الأنكال (2) والأغلال يصفدون ، إن دعوا لم يُستجب لهم ، وإن سألوا حاجة لم تقضَ لهم ، هذه حال من دخل النار» (3).

وعن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، قال : «إنّ رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حيث أسري به إلى السماء لم يمر بخلق من خلق اللّه إلاّ رأى منه ما يحب من البِشر واللطف والسرور به حتى مرّ بخلق من خلق اللّه ، فلم يلتفت إليه ، ولم يقل له شيئا ، فوجده قاطبا عابسا ، فقال : يا جبرئيل ، ما مررت بخلق من خلق اللّه إلاّ رأيت البشر واللطف والسرور منه إلاّ هذا ، فمن هذا؟ قال : هذا مالك خازن النار ، وهكذا خلقه ربّه. قال : فإنّي أحبّ أن تطلب إليه أن يريني النار. فقال له جبرئيل : إنّ هذا محمّدا رسول اللّه ، وقد سألني أن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(2) الأنكال : جمع نكل ، القيد الشديد.

(3) أمالي الصدوق : 651 / 886.

أطلب إليك أن تريه النار. قال : فأخرج له عنقا منها (1) فرآها ، فما افترَّ ضاحكا (2) حتى قبضه اللّه عزّوجلّ» (3).

## 4 ـ مجابهة البدع والمفاهيم الخاطئة :

## الابتداع شرك وضلال :

قام الإمام الباقر عليه‌السلام بدور بارز في الدفاع عن العقيدة الإسلامية المتمثلة بالكتاب الكريم وسنة النبي المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وجعلهما الميزان في تقييم الأعمال وإن كل ما خالفهما فهو بدعة وضلال (4).

وعلى ضوء ذلك بين لأصحابه عدم مشروعية صلاة الضحى وصلاة التراويح جماعة في شهر رمضان ، فقد سأل زرارة ومحمد بن مسلم والفضيل أبا جعفر الباقر وأبا عبد اللّه الصادق عليهما‌السلام عن الصلاة في شهر رمضان نافلة بالليل جماعة ، فقالا : «إن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كان إذا صلّى العشاء الآخرة انصرف إلى منزله ، ثم يخرج من آخر الليل إلى المسجد فيقوم فيصلّي ، فخرج في أول ليلة من شهر رمضان ليصلّي ، كما كان يصلّي ، فاصطفّ الناس خلفه ، فهرب منهم إلى بيته وتركهم ، ففعلوا ذلك ثلاث ليال ، فقام صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في اليوم الثالث على منبره ، فحمد اللّه وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة في جماعة بدعة ، وصلاة الضحى بدعة ، ألا فلا تجتمعوا ليلاً في شهر رمضان لصلاة الليل ، ولا تصلّوا صلاة الضحى ، فإن تلك معصية ، ألا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي طائفة منها.

(2) أي ابتسم وبدت ثناياه.

(3) أمالي الصدوق : 697 / 952.

(4) يُنظر : أُصول الكافي 1 : 56 / 8 ، وعقاب الأعمال : 578 / 3.

فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة سبيلها إلى النار ، ثم نزل صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو يقول : قليل في سُنّة خير من كثير في بدعة» (1).

وعن أبي جعفر عليه‌السلام أن رجلاً من الأنصار سأله عن صلاة الضحى ، فقال : «أول من ابتدعها قومك الأنصار ، سمعوا قول رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : صلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة ، فكانوا يأتون من ضياعهم ضحى فيدخلون المسجد فيصلون فيه ، فبلغ ذلك رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فنهاهم عنه» (2).

## ادعاءات وأباطيل :

عمل الحاكم الأموي على تصدير أكذوبة مفادها أن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة ، وأخرى أن اللّه تبارك وتعالى ، أو أن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، حيث صعد إلى السماء ، وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، وتمّ وضع الأحاديث على هذا المنوال ، حين منع عبد الملك بن مروان أهل الشام من الحج أيام كانت مكة بيد ابن الزبير ، فجعل عبد الملك يجبرهم على تغيير وجهة الحج إلى بيت المقدس تحت غطاء أمثال هذه الأحاديث التي تفضل البيت على الكعبة.

قال اليعقوبي : منع عبد الملك أهل الشام من الحج ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم اذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس ، وقالوا : تمنعنا من حج بيت اللّه الحرام ، وهو فرض من اللّه علينا!

فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول اللّه قال : لا تشدّ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) من لايحضره الفقيه 2 : 137 / 1964 ، الاستبصار 1 : 467 / 1807 ، تهذيب الأحكام 3 : 226.

(2) دعائم الإسلام 1 : 214.

الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس. وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول اللّه وضع قدمه عليها ، لما صعد إلى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بني أمية (1).

وكان موقف الإمام الباقر عليه‌السلام يسير باتجاه تكذيب أمثال هذه الأباطيل.

عن زرارة ، قال : كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه‌السلام وهو محتب مستقبل الكعبة ، فقال : «أما أن النظر إليها عبادة ، فجاءه رجل من بجيلة يقال له : عاصم بن عمر ، فقال لأبي جعفر عليه‌السلام : إن كعب الأحبار كان يقول : إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : فما تقول فيما قال كعب؟ فقال : صدق ، القول ما قال كعب. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : كذبت وكذب كعب الأحبار معك ، وغضب. قال زرارة : ما رأيته استقبل أحداً بقول كذبت غيره. ثم قال : ما خلق اللّه عزوجل بقعة في الأرض أحب إليه منها ـ ثم أومأ بيده نحو الكعبة ـ ولا أكرم على اللّه عزوجل منها ، لها حرّم اللّه الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض ، ثلاثة متوالية للحج : شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وشهر مفرد للعمرة وهو رجب» (2).

وروى جابر بن يزيد الجعفي ، قال : قال محمد بن علي الباقر عليهما‌السلام : «يا جابر ، ما أعظم فرية أهل الشام على اللّه عزّوجلّ! يزعمون أن اللّه تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء ، وضع قدمه على صخرة بيت

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ اليعقوبي 2 : 261.

(2) الكافي 4 : 239 / 1.

المقدس ، ولقد وضع عبد من عباد اللّه قدمه على حجره ، فأمرنا اللّه تبارك وتعالى أن نتخذه مصلّى. يا جابر ، إن اللّه تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه ، تعالى عن صفة الواصفين ، وجل عن أوهام المتوهّمين ، واحتجب عن أعين الناظرين ، لا يزول مع الزائلين ، ولا يأفل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم» (1).

ومن الأباطيل التي روّج لها الحاكم الأموي قولهم قبّحهم اللّه : إن أبا طالب في ضحضاح من نار ، للطعن بايمانه ، والحط من أهل بيته ، وقد رد الإمام الباقر عليه‌السلام هذه الفرية بشدة ، فقد سئل عليه‌السلام عما يقوله حثالة الناس : إن أبا طالب في ضحضاح من نار. فقال : «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان ، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه. ثم قال : ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه‌السلام كان يأمر أن يحج عن عبد اللّه وابنه وأبي طالب في حياته ، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم» (2).

وقد قدمنا في الفصل الأول أن حكام بني أمية وعمالهم عملوا على النيل من مقام النبوة ، والاستخفاف بزوار قبر رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بالمدينة (3).

وإزاء ذلك قدم الإمام الباقر دروساً عملية في مشروعية زيارة قبر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقبور الأئمة المعصومين من أهل البيت : وشدَّ الرحال إليهم ، والتوسل والاستشفاع بهم ، منها حديث الإمام الباقر عليه‌السلام عن أبيه علي بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التوحيد : 179.

(2) شرح نهج البلاغة 14 : 68.

(3) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 15 : 242.

الحسين عليهما‌السلام ، أنّه كان يقف على قبر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ويلتزق بالقبر (1).

وروى ابن عساكر بالاسناد عن قيس بن النعمان أنه خرج يوماً إلى بعض مقابر المدينة ، فوجد الإمام الباقر عليه‌السلام جالساً عند قبر أبيه يبكي بكاءً شديداً ، وأن وجهه ليلقي شعاعاً من نور ، فقال له في بعض حديثه : «هذا قبر أبي ، فأي أنس آنس من قربه ، وأي وحشة تكون معه». قال قيس : فانصرفت وما تركت زيارة القبور مذ ذاك (2).

## تصحيح مقولات خاطئة :

مارس الإمام الباقر عليه‌السلام عملية تصحيح لبعض المقولات الخاطئة الجارية على ألسن الناس ، فقال يوماً رجل عنده : اللهم أغننا عن جميع خلقك. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : «لا تقل هكذا. ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك ، فإن المؤمن لا يستغني عن أخيه» (3).

وقال عليه‌السلام : «كم من رجل قد لقي رجلاً فقال له : كب اللّه عدوك ، وما له من عدو إلاّ اللّه» (4).

## مواجهة حركة الغلو :

إن حركة الغلو من الاتجاهات المدمرة في الفكر الإسلامي ، لذلك كان لأهل البيت : كلمتهم حيثما يظهر الغلو ، وهي كلمة واحدة أعلنوا فيها عن كفر الغلاة والحادهم ، ولعنوهم ودعوا أصحابهم إلى البراءة منهم ، لحرصهم على

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 4 : 551 / 2.

(2) تاريخ دمشق 45 : 281.

(3) تحف العقول : 293.

(4) تحف العقول : 294.

تنزيه تعاليم الإسلام من التشويه والتحريف والافتراء ، ولتصحيح المسار الإسلامي بكل ما حوى من علوم ومعارف واتجاهات ، ولم يدخروا في هذا السبيل وسعاً.

وتصدّى الإمام الباقر عليه‌السلام لحركة الغلو وحذر من مقالات الغلاة ، وفنّد ادعاءاتهم الباطلة.

وهكذا فعل مع المغيرة بن سعيد ، روى سليمان الكناني ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، أنه قال له : « هل تدري ما مثل المغيرة؟ قال : قلت : لا. قال : مثله مثل بلعم. قلت : ومن بلعم؟ قال : الذي قال اللّه عزّوجلّ : «الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» (1) ».

وأعلن الإمام الصادق عليه‌السلام عن لعن المغيرة بن سعيد ، وحذر أصحابه مما كان يفتريه المغيرة على أبي جعفر عليه‌السلام ، وصرح أنه كان يكذب على أبي جعفر عليه‌السلام ، فأذاقه اللّه حر الحديد (2) ، وعرى ما دسه من الكفر والزندقة في كتب أصحابه (3). وكان من شيوع ذلك وذيوعه أن ذكره حتى الشعراء ، فقد جاء أبو هريرة العجلي الشاعر إلى الإمام الباقر عليه‌السلام فأنشده :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبا جعفر أنت الولي أحبّه  |  | وأرضى بما ترضى به وأتابعُ  |
| أتتنا رجالٌ يحملون عليكمُ  |  | أحاديث قد ضاقت بهنّ الأضالعُ  |
| أحاديث أفشاها المغيرة فيهم  |  | وشر الأمور المحدثات البدائعُ (4)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال الكشي 2 : 494 / 406 ، والآية من سورة الأعراف : 7 / 175.

(2) رجال الكشي 2 : 436 و 489.

(3) رجال الكشي 2 : 491 / 402.

(4) مناقب آل أبي طالب 3 : 341 ، عيون الأخبار / ابن قتيبة 2 : 151.

ولكي لا يقع أصحابه في متاهة الغلو وأحابيل أهله ومقالاتهم الباطلة ، أكّد الإمام الباقر عليه‌السلام على المؤمنين أن لا يتجاوزوا الحدّ فيهم : ، ولا يغتروا بما يقوله الغلاة من نبوّتهم أو أُلوهيّتهم ، وأكد أنهم عبيد اللّه لا يشركون به شيئاً ، وما بينهم وبين اللّه من قرابة إلاّ بالطاعة ، وطلب من شيعته أن يكونوا النمرقة الوسطى ، يرجع إليهم الغالي ، ويلحق بهم التالي (1).

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اعلام الدين : 143 ، و : 301 ، كشف الغمّة 2 : 362.

الفصل السابع

اسهامه في العلوم

أظهر باقر العلم عليه‌السلام طاقات هائلة من العلم تركت بصماتها إلى اليوم ، في جل العلوم والمعارف التي أسهم فيها ، كعلوم القرآن والتفسير والحديث والأصول والفقه والتشريع والكلام والطب واللغة والأدب والسيرة والتاريخ والملاحم والحكم العالية والمواعظ السامية.

قال الشيخ المفيد : روى أبو جعفر عليه‌السلام أخبار المبتدأ وأخبار الأنبياء ، وكتب عنه الناس المغازي ، وأثروا عنه السنن ، واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وكتبوا عنه تفسير القرآن ، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار ، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء ، وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام (1).

وقال أبو زهرة : كان عليهما‌السلام مفسراً للقرآن ، ومفسراً للفقه الإسلامي ، مدركاً حكمة الأوامر والنواهي ، فاهماً كل الفهم لمراميها ، وكان راوية للأحاديث ، يروي أحاديث آل البيت ، ويروي أحاديث الصحابة من غير تفرقة ، ولكمال نفسه ونور قلبه وقوة مداركه ، أنطقه اللّه تعالى بالحكم الرائعة ، ورويت عنه عبارات في الأخلاق الشخصية والاجتماعية ، ما لو نظم في سلك لتكون فيه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الارشاد 2 : 163.

مذهب خلقي سام ، يعلو بمن يأخذ به إلى مدارج السمو الإنساني (1).

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| والخير كل الخير في لسانه  |  | والعلم كل العلم في بيانه  |
| منطقه منطقة الكمال  |  | ناطقة العدل والاعتدال  |
| بل هو مفتاح مفاتيح الهدى  |  | وعنده الغيب شهود أبدا  |
| به تجلت صفوة المعارف  |  | في قلب كل سالك وعارف (2)  |

ويمكن الإشارة إلى انجازات الإمام الباقر عليه‌السلام العلمية ضمن النقاط التالية :

## 1 ـ الآثار العلمية المنسوبة إليه عليه‌السلام :

نسبت إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه‌السلام مؤلّفات عدة ، رواها عنه أصحابه ، يتضمن غالبها علمي التفسير والحديث ، وهي كما يلي :

1 ـ تفسير القرآن : رواه عنه عليه‌السلام زياد بن المنذر ، أبو الجارود العبدي (3).

2 ـ نسخة أحاديث : رواها عنه عليه‌السلام خالد بن أبي كريمة (4).

3 ـ نسخة أحاديث أخرى : رواها عنه عليه‌السلام خالد بن طهمان ، أبو العلاء الخفّاف. قال مسلم بن الحجاج : أبو العلاء الخفاف له نسخة أحاديث ، رواها عن أبي جعفر عليه‌السلام (5).

4 ـ كتاب : رواه عنه عبد المؤمن بن القاسم الأنصاري (6).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الإمام الصادق / محمد أبو زهرة : 24.

(2) الأنوار القدسية : 75.

(3) الفهرست للنديم : 36 ، الذريعة 4 : 262.

(4) رجال النجاشي : 151 / 396.

(5) رجال النجاشي : 151 / 397.

(6) تأسيس الشيعة : 285.

5 ـ كتاب : رواه زرارة بن أعين الشيباني (1).

6 ـ رسالته عليه‌السلام إلى سعد بن طريف الاسكاف الحنظلي ، وكان قاضياً (2).

7 ـ رسالته عليه‌السلام إلى سعد بن عبد الملك الأموي نسبا ، المعروف بسعد الخير ، وقد روى ثقة الإسلام الكليني هذه الرسالة بسندين (3).

8 ـ نسخة الباقر والصادق عليهما‌السلام لأبي عثمان عمر بن جميع الأزدي البصري ، القاضي بالري ، ذكرها النجاشي مع سندها (4).

9 ـ مناظرته عليه‌السلام مع الهروي في خلافة أبي بكر ، وهي موجودة في مجموعة مع مناظرة ابن أبي جمهور ، ومناظرة ركن الدولة في المكتبة الرضوية (5).

10 ـ ووصلت إلينا عدّة مناظرات وحوارات ساخنة للإمام الباقر عليه‌السلام مع العلماء من مختلف أوساط الامة وغيرهم ، منها : مناظرته مع عمرو بن عبيد المعتزلي (6) ، وسالم التمار من البترية (7) ، ونافع بن الأزرق مولى عبد اللّه بن عمر (8) ، وقتادة بن دعامة البصري (9) ، وطاوس اليماني (10) ، وعبد اللّه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تأسيس الشيعة : 286.

(2) رجال النجاشي : 178 ، نقد الرجال 2 : 309.

(3) الكافي 8 : 53 / 16 و 17.

(4) الذريعة 24 : 148.

(5) كشف الحجب والأستار : 553 ، الذريعة 22 : 287.

(6) روضة الواعظين : 203.

(7) الاحتجاج 2 : 63.

(8) الكافي 8 : 120 / 93 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 330 ، الارشاد 2 : 164 ، الاحتجاج 2 : 57 ، روضة الواعظين : 204 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 330.

(9) الكافي 6 : 256.

(10) الاحتجاج 2 : 61 و 64 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 332.

ابن عباس عليهما‌السلام (1) ، وهشام بن عبد الملك (2) ، والأبرش بن الوليد الكلبي وزير هشام بن عبد الملك (3) ، والخضر عليه‌السلام (4) ، وعالم النصارى (5).

11 ـ ونقلت عنه عليه‌السلام مواعظ ووصايا ورسائل كثيرة ، سنعرض نماذج منها ومن المناظرات في آخر الفصل.

## 2 ـ دوره في علوم القرآن :

## بيان فضل القرآن :

تحدث الإمام الباقر عليه‌السلام عن فضل القرآن ، ولا يخفى ما في ذلك من دفع باتجاه الاهتمام بالكتاب الكريم ، روى سعد الخفاف ، عن أبي جعفر عليه‌السلام في حديث طويل عن فضل القرآن ، قال : «يا سعد ، تعلّموا القرآن ، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق ، والناس صفوف ، إلى أن قال : فيخر تحت العرش ، فيناديه تبارك وتعالى : يا حجّتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ، ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع. فيرفع رأسه ، فيقول اللّه تبارك وتعالى : كيف رأيت عبادي؟ فيقول : يا رب ، منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً ، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 330.

(2) دلائل الإمامة : 235 ، نوادر المعجزات : 131 ، الارشاد 2 : 163 ، تاريخ دمشق 45 : 279 ، الاحتجاج 2 : 57 ، شرح الأخبار 3 : 280 ، سير أعلام النبلاء 4 : 405 ، روضة الواعظين : 203.

(3) الكافي 6 : 286 / 1 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 329.

(4) مناقب آل أبي طالب 3 : 333 ، شرح الأخبار3 : 278 ، ونقله ابن حجر في الاصابة 2 : 264 ، عن كتاب أخبار مكة للفاكهي ، وكتاب النسب للزبيري.

(5) الكافي 8 : 122 / 94 ، دلائل الإمامة : 229 / 157 ، الخرائج والجرائح 1 : 291.

وكذب بي ، وأنا حجّتك على جميع خلقك. فيقول اللّه تبارك وتعالى : وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني ، لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ، ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب» (1).

## قراءته عليه‌السلام :

كان الإمام الباقر عليه‌السلام كآبائه أحسن الناس قراءة وصوتاً ، روى معاوية بن عمار عن أبي عبد اللّه الصادق عليه‌السلام ، قال : «إن أبا جعفر عليه‌السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان إذا قام من الليل وقرأ ، رفع صوته ، فيمر به مار الطريق من الساقين وغيرهم فيقومون فيستمعون إلى قراءته» (2). وقد أخذ عنه القراءة عرضاً بعض أصحابه منهم حمران بن أعين (3).

## شروط تلاوة القرآن :

للإمام الباقر عليه‌السلام وصايا في تحمّل القرآن وقراءته ، تتناغم مع قداسة هذا الكتاب العظيم ، وتحقيق أهدافه في تهذيب النفوس والأخذ بمجامع القلوب ، من هنا جدير بكل مسلم أن يجعل تلك الوصايا نصب عينه حينما يقرأ كتاب اللّه.

قال أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : «قراء القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة ، واستدر به الملوك ، واستطال به على الناس ، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده ، وأقامه اقامة القدح ، فلا كثّر اللّه هؤلاء من حملة القرآن. ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه ، فأسهر به ليله ، وأظمأ به نهاره ، وقام به في مساجده ، وتجافى به عن فراشه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 596 / 1.

(2) مستطرفات السرائر / ابن ادريس : 97 / 17.

(3) غاية النهاية / ابن الجزري 1 : 261.

فبأولئك يدفع العزيز الجبار البلاء ، وباولئك يديل اللّه عز وجل من الأعداء ، وبأولئك ينزل اللّه عزوجل الغيث من السماء ، فواللّه لهؤلاء في قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر» (1).

ثم قال عليه‌السلام : «إذا قرأتم القرآن فبينوه تبياناً ، ولا تهذّوه (2) هذاً كهذّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الرمل ، ولكن افرغوا له القلوب القاسية. ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ، واقرءوه بألحان العرب وأصواتها ، واياكم ولحون أهل الكبائر ، وأعربوا به فإنّه عربي ، ولا تقرأوه هذرمة (3) ، وإذا مررتم بآية فيها ذكر الجنة فقفوا عندها واسألوا اللّه الجنة ، وإذا مررتم بآية فيها ذكر النار فقفوا عندها وتعوذوا باللّه من النار ، وحزّنوه بأصواتكم ، فإن اللّه تعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه‌السلام : إذا وقفت بين يدي فقف موقف الذليل الفقير ، وإذا قرأت التوراة فاسمعنيها بصوت حزين» (4).

وعن جابر ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، قال : «قلت له : إنّ قوما إذا ذُكّروا بشيء من القرآن أو حدثوا به صعق أحدهم حتى يرى أنّه لو قطعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك. فقال : سبحان اللّه! ذاك من الشيطان ، ما بهذا أمروا ، إنّما هو اللين والرقة والدمعة والوجل» (5).

وعن أبي بصير عنه عليه‌السلام : «ورجّع بالقرآن صوتك ، فإن اللّه يحبّ الصوت

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 627 / 1 ، أعلام الدين : 101.

(2) الهذ : السرعة في القطع والقراءة.

(3) الهذرمة : سرعة القراءة.

(4) أعلام الدين : 101.

(5) أمالي الصدوق : 328 / 387.

الحسن يرجع فيه ترجيعاً» (1).

## التفسير :

تعدّ الأخبار الواردة في التفسير عن أهل البيت : بالأسانيد المعتمدة من أوثق مصادر التفسير ، وأثبتت الدلائل أنهم الأقدر على تفسير آي الكتاب وإدراك مضامينها وفهم دقائقها ، لأنهم أعدال الكتاب الذين قرن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بينهم وبينه ، وذكر أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

وأكد الإمام الباقر عليه‌السلام هذه الحقيقة في أكثر من مناسبة ، فقال عليه‌السلام : «إن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أفضل الراسخين في العلم ، فقد علم جميع ما أنزل اللّه عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان اللّه لينزل عليه شيئاً لم يعلمّه إياه ، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه» (2).

وعن جابر ، عن أبي جعفر عليه‌السلام أنه قال : «ما يستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء» (3). أي أن العلم بجميع القرآن من حيث معانيه الظاهرة ومعانيه الباطنة منحصر بهم :.

من هنا فإن الحديث عن تفسير الإمام الباقر عليه‌السلام واسع بسعة التفسير المأثور عنه ، لكننا سوف نقتصر على بيان بعض الأمثلة من التفسير الوارد عن الإمام الباقر عليه‌السلام.

1 ـ عن محمد بن مسلم ، قال : «سألت أبا جعفر عليه‌السلام ، فقلت : قوله

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 616 / 13.

(2) تفسير القمي 1 : 96 ، تفسير العياشي 1 : 164 / 6.

(3) الكافي 1 : 228 / 2.

عزوجل : «يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» (1). فقال عليه‌السلام : اليد في كلام العرب القوّة والنعمة ، قال اللّه : «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الاْءَيْدِ» (2) ، وقال : «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» (3) ، أي : بقوّة ، وقال : «وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» (4) ، أي قوّاهم ، ويقال : لفلان عندي أيادٍ كثيرة. أي فواضل واحسان ، وله عندي يد بيضاء ، أي نعمة» (5).

2 ـ وعن زرارة ومحمّد بن مسلم : أنّهما قالا : قلنا لأبي جعفر عليه‌السلام : «ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي ، وكم هي؟ فقال : إن اللّه عزوجل يقول : «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الاْءَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاة» (6) ، فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر.

قالا : قلنا : إنما قال اللّه عزوجل : «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» ، ولم يقل : افعلوا ، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ فقال : أو ليس قد قال اللّه عزّوجلّ في الصفا والمروة : «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» (7)؟ ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض؟ لأن اللّه عزّوجلّ ذكره في كتابه وصنعه نبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وكذلك التقصير في السفر شيء

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة ص : 38 / 75.

(2) سورة ص : 38 / 17.

(3) سورة الذاريات : 51 / 47.

(4) سورة المجادلة : 58 / 22.

(5) التوحيد : 153 / 1.

(6) سورة النساء : 4 / 101.

(7) سورة البقرة : 2 / 158.

صنعه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وذكره اللّه تعالى في كتابه» (1).

3 ـ وفي حديث نافع بن الأزرق أنه سأل الباقر عليه‌السلام عن مسائل ، منها قوله تعالى : «وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» (2) من الذي يسأل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وكان بينه وبين عيسى خمس مائة سنة؟ قال : فقرأ أبو جعفر عليه‌السلام : «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً» (3) ثم ذكر اجتماعه بالمرسلين والصلاة بهم في المسجد الأقصى وسؤاله منهم على من يشهدون ، وما كانوا يعبدون. قالوا : نشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وحده لا شريك له ، وأنك رسول اللّه ، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا (4).

أولاً : القول بسلامة القرآن من النقصان ، وأنه الذي بأيدي المسلمين مابين الدفتين ، وقد حرص أهل البيت : في الحفاظ على سلامة القرآن من التحريف ، وعدم ضياع أي حرف منه.

وصرح الإمام الباقر عليه‌السلام في رسالته إلى سعد الخير أن التحريف المزعوم في الكتاب الكريم إنما يقع من الجهال في شرحه وتفسيره ، لا في حروفه ، قال عليه‌السلام : «كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه ، وحرفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية» (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) من لا يحضره الفقيه 1 : 278 / 1266.

(2) سورة الزخرف : 43 / 45.

(3) سورة الاسراء : 17 / 1.

(4) الكافي 8 : 103 ـ 104 / 93 ، الاحتجاج 2 : 60 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 333.

(5) الكافي 8 : 56 / 17.

وفي هذا السياق ، نفى الإمام الباقر عليه‌السلام أن يكون القرآن نزل على سبعة أحرف ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : «إن القرآن واحد ، نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة» (1). فالأحرف المدعاة إنما هي أخبار آحاد واختلاف من قبل الرواة ، والقرآن لا اختلاف فيه من حيث صورة ألفاظه ، بل نزل بلغة واحدة ، وعلى قراءة واحدة ، هي لغة قريش ، لقوله تعالى : «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ» (2) وكان رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قرشياً.

رابعاً : تأويل المتشابه الذي يعارض العقائد الإسلامية التي أرادها اللّه ورسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، بمعانٍ مناسبة لجوّ الآيات والروايات ، مثل تنزيه الخالق عن التجسيم التشبيه والتعطيل ، وتنزيه الأنبياء عن المعاصي ، واستحالة روءية الخالق في الدنيا والآخرة ، والأمر بين الأمرين وغيرها من عقائد الإسلام الأصيل ، وذلك بالاستفادة من معاني الكلمات المجازية عند العرب ، أو من الآيات الأخرى التي تكمل بمجموعها معنى النص القرآني ، كما في تأويل الإمام الباقر عليه‌السلام لكلمة اليد في الحديث المتقدم.

ومثال تنزيه الخالق من صفة المخلوق ، ما سأل عمرو بن عبيد الإمام الباقر عليه‌السلام ، عن قول اللّه تبارك وتعالى : «وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى» (3) ، ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه‌السلام : «هو العقاب. يا عمرو ، إنه من زعم أن اللّه قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق ، وإنّ اللّه تعالى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 630 / 12.

(2) سورة إبراهيم : 14 / 4.

(3) سورة طه : 20 / 81.

لا يستفزّه شيء فيغيره» (1).

وعن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : في قول اللّه عزوجل : «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ» (2) ، قال : «فيهلك كل شيء ويبقى وجه اللّه عزوجل ، واللّه أعظم من أن يوصف؟! ولكن معناها كل شيء هالك إلاّ دينه ، ونحن الوجه الذي يؤتى اللّه منه» (3).

ومثال على مبدأ الأمر بين الأمرين ، وهو مبدأ وسط بين الجبر والتفويض ، ما رواه جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام ، قال : «سألته عن معنى (لا حول ولا قوة إلاّ باللّه ). فقال : معناه : لا حول لنا عن معصية اللّه إلاّ بعون اللّه ، ولا قوة لنا على طاعة اللّه إلاّ بتوفيق اللّه عزوجل» (4). فلا تفويض مطلق ، ولا جبر مطلق ، بل إن للإنسان حولاً وقوةً ، لكنهما خاضعان للإرادة الإلهية ، وعلى أساس هذا الاتجاه من الوعي فسروا آيات القرآن ، ونفوا عن كلام اللّه تعالى كل ما يفهم منه الجبر أو التفويض.

خامساً : النهي عن التفسير بالرأي ، ويراد به الأخذ بالاعتبارات الظنية في التفسير ، يقول شيخ الطائفة الطوسي في مقدمة تفسيره : ان تفسير القرآن لا يجوز إلاّ بالأثر الصحيح عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وعن الأئمة : الذين قولهم حجة كقول النبي (5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 110 / 5.

(2) سورة القصص : 28 / 88.

(3) اكمال الدين : 231 / 33 ، المحاسن1 : 218 / 116 ، بصائرالدرجات : 85 / 3 و 5.

(4) التوحيد : 242 / 3 ، معاني الأخبار : 21 ، الاحتجاج : 412.

(5) التبيان 1 : 4.

وقد نهى الإمام أبو جعفر عليه‌السلام عن الأحتكام إلى الحدس والظن والتخمين في التفسير ، أو أن يفسره الإنسان بذوقه ومن تلقاء نفسه ، في عدة أحاديث ، منها ما رواه ثقة الإسلام الكليني عن زيد الشحام ، قال : «دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه‌السلام فقال : يا قتادة ، أنت فقيه أهل البصرة؟ قال : هكذا يزعمون. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة : نعم. فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : بعلم تفسره أم بجهل؟ قال : لا ، بعلم. فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : فإن كنت تفسره بعلم ، فأنت أنت ، وأنا أسألك؟ قال قتادة : سل. قال : أخبرني عن قول اللّه عزوجل في سبأ : «وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ» (1). فقال قتادة : ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال ، يريد هذا البيت ، كان آمنا حتى يرجع إلى أهله. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : نشدتك اللّه يا قتادة ، هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت ، فيقطع عليه الطريق ، فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة : اللهم نعم.

فقال أبو جعفر عليه‌السلام : ويحك يا قتادة ، إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت ، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت. ويحك يا قتادة ، ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا ، يهوانا قلبه ، كما قال اللّه عزّوجلّ : «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» (2) ولم يعن البيت فيقول : إليه ، فنحن واللّه دعوة إبراهيم عليه‌السلام التي من هوانا قلبه قبلت حجّته

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة سبأ : 34 / 18.

(2) سورة إبراهيم : 14 / 37.

وإلاّ فلا ، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنّم يوم القيامة. قال قتادة : لا جرم واللّه لا فسرتها إلاّ هكذا.

فقال أبو جعفر عليه‌السلام : ويحك يا قتادة ، إنما يعرف القرآن من خُوطب به» (1).

وهنا يحصر الإمام أبو جعفر عليه‌السلام ، معرفة الكتاب العزيز تفسيراً وتأويلاً وعلى درجة الكمال بالمعصومين من أهل البيت : دون سواهم ، باعتبارهم المخاطبين الذين نزل الكتاب في بيوتهم ، وعليه لا يجوز تفسير القرآن بغير علم ، وهو المستفاد من قوله عليه‌السلام : «فإن كنت تفسره بعلم ، فأنت أنت» ، وقوله عليه‌السلام : «ما علمتم فقولوا ، وما لم تعلموا فقولوا : اللّه أعلم ، ان الرجل لينزع بالآية من القرآن يخر فيها أبعد من السماء» (2). لأن التفسير الخالي من الدليل العلمي الواضح والبرهان القطعي يعتمد على الظن الذي لا يغني عن الحقّ شيئاً.

## حجم تراثه التفسيري :

أما من حيث حجم التفسير المأثور عن الإمام الباقر عليه‌السلام ، فقد ترك تراثاً هائلاً من الروايات والأخبار التي تدخل في باب التفسير ، ويشكل هذا التراث أهم عناصر التفاسير الأثرية ، مثل تفسير فرات الكوفي ، والعياشي ، وعلي بن ابراهيم القمي.

وأورد تفسيره للآيات علماء التفسير على اختلاف مشاربهم وأطيافهم الشيء الكثير ، كالطبري وسفيان الثوري والثعلبي والبغوي وابن كثير والشوكاني والسيوطي والنقاش والزمخشري وغيرهم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 8 : 311 / 485.

(2) المحاسن 1 : 206 / 62.

أما تفسيره المبثوث في مصادر الحديث وغيرها ، فقد جمعها السيد هاشم البحراني في (البرهان) والعروسي في (نور الثقلين) وهما يتضمنان المزيد من التفسير الأثري الوارد عن الإمام الباقر عليه‌السلام.

وراجعنا معجم تفسير أهل البيت : الذي أسهمنا في اعداده خلال عملنا في قسم الدراسات الإسلامية التابع إلى مؤسسة البعثة ، من خلال تتبّع 177 مصدراً من مصادر المسلمين ، عدا مصادر التفسير ، فأحصينا فيه 2680 مورداً منقولاً عن الإمام الباقر عليه‌السلام في تفسر آي القرآن ، وهو يعكس عظمة جهود الإمام عليه‌السلام في تفسير الكتاب الكريم.

ومن جملة جهود الإمام الباقر عليه‌السلام في هذا السياق ، أنه ألف كتاباً في التفسير ، ذكره ابن النديم في الفهرست ، وقال : رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر ، رئيس الجارودية الزيدية (1). وألف جابر بن يزيد الجعفي كتاباً في تفسير القرآن ، أخذه من الإمام الباقر عليه‌السلام ، وكان أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي أول من صنف في علم أحكام القرآن ، وله تفسير كبير ، وأبو بصير يحيى بن أبي القاسم الأسدي ، له تفسير ، وأبو حمزة الثمالي ، له تفسير ، وصنف أبان بن تغلب في معاني القرآن (2) ، وتفسير غريب القرآن. ولا ريب أن جهود أصحاب الإمام في هذا الاتجاه ، تعكس مقدار اهتمام الإمام عليه‌السلام بعلم التفسير ، لأنه صاحب مدرسة تمتد إلى مختلف ديار الإسلام.

## تنقية التفسير :

أسهم الإمام الباقر عليه‌السلام في تنقية التفسير مما وفد إلى رحابه من آثار

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الفهرست : 36.

(2) ذكره ابن النديم في الفهرست : 308.

إسرائيلية ، وأقوال المغرضين والجهال من أهل الهوى وغيرهم.

قال الباقر عليه‌السلام لجابر الجعفي : «ما يقول فقهاء العراق في قوله تعالى : «لَوْلاَ أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ» (1)؟ قال : رأى يعقوب عاضاً على إبهامه. فقال : لا ، حدثني أبي عن جدي علي بن أبي طالب عليهما‌السلام أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به وهم بها ، قامت إلى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض خشية أن يراها ، أو استحياء منه. فقال لها يوسف عليه‌السلام : ما هذا؟ فقالت : الهي أستحي منه أن يراني على هذه الصورة. فقال يوسف عليه‌السلام : تستحين من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت؟ ثم قال : واللّه لا تنالين مني أبداً ، فهو البرهان» (2).

وعن محمد بن عطية ، قال : «جاء رجل إلى أبي جعفر عليه‌السلام من أهل الشام من علمائهم ، فقال له : يا أبا جعفر ، قول اللّه تعالى : «أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالاْءَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا» (3)؟ فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : فلعلك تزعم أنهما كانتا رتقاً ملتزقتين ملتصقتين ففتقت احداهما من الأخرى؟ فقال : نعم. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : استغفر ربك ، فإنّ قول اللّه عزوجل : «كَانَتَا رَتْقاً»يقول : كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر ، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ ، فلمّا خلق اللّه تبارك وتعالى الخلق وبثّ فيها من كلّ دابة ، فتق السماء بالمطر ، والأرض بنبات الحبّ. فقال الشامي : أشهد أنك من ولد الأنبياء ، وأنّ علمك

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة يوسف : 12 / 24.

(2) البداية والنهاية 9 : 340.

(3) سورة الأنبياء : 21 / 30.

علمهم» (1).

وسأله الأبرش الكلبي عن قول اللّه عزوجل : «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» (2). فقال أبو جعفر عليه‌السلام : «ما قيل لك؟ فقال : قالوا : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة.

فقال أبو جعفر عليه‌السلام : ليس كما قيل لك ، الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم القيامة ، أما تقرأ القرآن؟ قال اللّه عزوجل : «ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ» (3).

## 3 ـ دوره في علوم الحديث :

يشكل الحديث أولى الاهتمامات العلمية للإمام أبو جعفر الباقر عليه‌السلام ، فربى جيلاً من حملة الحديث الثقات ، وحمّلهم حديث جده وآبائه المعصومين : ، كي يحفظونه من الضياع والتحريف ، منهم بريد بن معاوية العجلي ، وأبو بصير بن ليث البختري ، وجابر الجعفي ، ومحمد بن مسلم ، وزرارة بن أعين وغيرهم ، ذلك لكون الحديث ثاني ركائز التشريع ومنابع الفكر الديني بعد كتاب اللّه تعالى ، من هنا يمكن أن نتلمس دور الإمام عليه‌السلام في هذا الاتجاه بما يلي :

## رواية الحديث ودرايته :

هناك جملة قواعد في رواية الحديث أكد عليها الإمام الباقر عليه‌السلام في حديثه ، وهي تحكي مدى عنايته بثاني أثافي التشريع الإسلامي ، وأضحت

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 8 : 95 / 67.

(2) سورة البروج : 85 / 3.

(3) معاني الأخبار : 299 / 5 ، والآية من سورة هود : 11 / 103.

بعض تلك القواعد فيما بعد من جملة القواعد التي تبحث في أصول الفقه الذي وضع الإمام الباقر عليه‌السلام حجره الأساس.

ومن تلك القواعد الوقوف عند الشبهات ، حيث يلتبس وجه الحق بالباطل ، سيما في مجال العقيدة والمسؤلية الشرعية ، عن أبي سعيد الزهري ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه» (1).

فإذا كان ثمة حالة يشتبه فيها الأمر عليك ، فلا تملك وضوحا في معرفة الخير والشر ، أو الصلاح والفساد ، أو الحق والباطل ، فإن عليك أن تقف لتبحث وتسأل وتتثبت ، حتى تعرف الحقيقة التي تضيء لك الموقف كله ، أما اذا ألقيت نفسك في الشبهة ، وأصدرت الأحكام بلا رويّة ، فقد تنتظرك الهلكة التي قد تقع فيها وأنت لا تعلم.

واذا أردت أن تنقل حديثا ، فان عليك أن تعرفه ، وأن تحفظ عناصره كلها ، متناً وسنداً من غير تبديل وتغيير مخل بالمعنى المقصود ، لتكون دقيقا في نقله ، وواعيا لمفاهيمه وعناصره ، لا أن تنقله كيفما اتفق ، بل إن ترك رواية حديث لم تنقله بعناصره المذكورة خير من روايتك إيّاه ، لأنك إن رويته هلكت وأهلكت الناس المتابعين لك فيما ليس لك به علم ، وإن تركت روايته سلمت وسلم الناس من الوقوع في الضلال.

وعلى نفس المنوال اهتم الإمام الباقر عليه‌السلام بضرورة إدراك الحديث والوقوف على مضامينه ، وجعل ذلك ميزاناً للتفاضل بين الرواة ، ودليلاً على سمو منزلتهم العلمية.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 50 / 9 ، المحاسن 1 : 215.

روى الشيخ الصدوق عن بريد الرزاز ، عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام ، قال : «قال أبو جعفر عليه‌السلام : يا بني ، أعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإن المعرفة هي الدراية للرواية ، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان ، إني نظرت في كتاب لعلي عليه‌السلام فوجدت في الكتاب : أن قيمة كل امرء وقدره معرفته ، إن اللّه تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا» (1).

كما أكد على تحري الدقة في الرواية ، وأن تكون عن الثقات الصادقين ، قال الباقر عليه‌السلام : «يا جابر ، واللّه لحديث تصيبه من صادق في حلال وحرام ، خير لك مما طلعت عليه الشمس حتى تغرب» (2).

وقد صنف أحد أصحاب الإمام الباقر عليه‌السلام كتاباً بعنوان (من الأصول في الرواية على مذاهب الشيعة) ذكره ابن النديم في الفهرست (3) ، وهو يعكس مدى اهتمام الإمام عليه‌السلام وأصحابه بمبادئ الرواية والدراية.

## عرض الحديث وتدوينه :

أكد الإمام الباقر عليه‌السلام ضرورة عرض وقراءة الكتب على مشيخة الحديث ، وعدّ ذلك بمثابة السماع منهم ، عن داود بن عطاء المديني ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما‌السلام ، قال : «عرض الكتاب والحديث سواء» (4).

وعلى ضوء ذلك بادر بعض الأصحاب إلى عرض كتبهم على الإمام عليه‌السلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) معاني الأخبار : 1.

(2) الكافي 1 : 7.

(3) الفهرست : 276.

(4) سنن الدارمي 1 : 152 ، الكفاية في علم الرواية / الخطيب : 301.

بهدف توثيقها وتصحيحها ، قال الشيخ الطوسي في ترجمة عبيد بن محمد بن قيس البجلي : «له كتاب ، يرويه عن أبيه ... وقال أبوه : عرضنا هذا الكتاب على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما‌السلام ، فقال : هذا قول أمير المؤمنين عليه‌السلام ، انّه كان يقول إذا صلّى قال في أول الصلاة ... وذكر الكتاب» (1).

إلى جانب ذلك كان الإمام الباقر عليه‌السلام يدعو أصحابه إلى ضرورة تدوين الحديث ووجوب كتابته ، وحفظه كما يحفظ الذهب والفضة ، كي لا يتعرض بتمادي الأيام إلى الضياع والنسيان ، عن جابر الجعفي ، قال : قلت لأبي جعفر عليه‌السلام : «أقيد الحديث إذا سمعت؟ قال : إذا سمعت حديثاً من فقيه خير ممّا في الأرض من ذهب وفضة» (2). وقد حدث ذلك في وقت كان يعدّ خرقاً للحظر الذي فرضه الخلفاء على تدوين الحديث وروايته.

ومارس الإمام الباقر عليه‌السلام الكتابة بنفسه ، فقد ورد في أول الصحيفة السجادية أن السجاد عليه‌السلام أملاها على ولده الإمام الباقر عليه‌السلام وزيد الشهيد ، وكتباه بخطهما (3).

ومارس الإمام عليه‌السلام الكتابة للسنة ، قال عبد اللّه بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب : كنت أختلف إلى جابر بن عبد اللّه ، أنا ، وأبو جعفر ، معنا ألواح نكتب فيها. وقال فنسأله عن سنن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وعن صلاته ، فنكتب عنه» (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الفهرست : 176.

(2) أدب الاملاء والاستملاء / السمعاني : 67.

(3) الذريعة 1 : 396.

(4) تقييد العلم / للخطيب البغدادي : 104 ، المحدث الفاصل / الرامهرمزي : 370 ، سير أعلام النبلاء 4 : 403 ، تاريخ دمشق 45 : 277.

## ممارسة التصحيح :

وضع الإمام الباقر عليه‌السلام يده على الاختلاق الذي مارسه الحكام في ساحة الحديث الشريف ، منبهاً إلى أن كثيراً من أحاديث الفضائل التي رويت في السلف من الولاة موضوع ، وإن كانت قد رويت عن الثقات بتقادم الأيام ، وهم يعتقدون صحتها ، قال عليه‌السلام لبعض أصحابه وهو يذكر ما لقوا من ظلم قريش : «حتى صار الرجل الذي يُذكر بالخير ، ولعله يكون ورعا صدوقا ، يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض مَن قد سلف من الولاة ، ولم يخلق اللّه تعالى شيئا منها ، ولا كانت وقعت ، وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من رواها ممّن لم يُعرف بالكذب ولابقلة ورع» (1).

ومارس الإمام التصحيح لبعض السنن المنقولة على غير وجهها عن المعصومين ، ومنه ما رواه زرارة ، قال : «كنت عند أبي جعفر عليه‌السلام وعنده رجل من الأنصار ، فمرت به جنازة ، فقام الأنصاري ولم يقم أبو جعفر عليه‌السلام ، فقعدت معه ، ولم يزل الأنصاري قائماً حتى مضوا بها ، ثم جلس ، فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : ما أقامك؟ قال : رأيت الحسين بن علي عليهما‌السلام يفعل ذلك. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : واللّه ما فعله الحسين عليه‌السلام ، ولا قام لها أحد منا أهل البيت قط. فقال الأنصاري : شككتني أصلحك اللّه ، قد كنت أظن أني رأيت» (2).

## عناية الإمام عليه‌السلام بالحديث :

خلّف الإمام الباقر عليه‌السلام تراثاً حديثياً هائلاً يستوعب مختلف مجالات الأحكام والشرائع والتفسير وآداب السلوك والأخلاق ، وشتى فروع المعرفة ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 11 : 43.

(2) الكافي 3 : 191 / 1 ، تهذيب الأحكام 1 : 456 / 1486.

وقد وصل الينا مدوّناً في موسوعات الفقه والحديث ، التي اعتمدت الأصول الأربعمائة المروية عن الإمام الباقر وولده الصادق عليهما‌السلام ، كما نسبت إليه عدّة كتب ورسائل ومسائل في أبواب الفقه المختلفة ذكرناها آنفاً.

من هنا كان الإمام الباقر عليه‌السلام معدوداً في كتب الرجال السنية من صفوة التابعين ، ومن رؤوس المحدثين المكثرين الصادقين فيما يروون (1).

وأخرج أصحاب المسانيد والسنن التسعة نحو تسعة وثلاثين حديثاً عن الإمام الباقر عليه‌السلام ، وهو بلا ريب ظلم بحق باقر العلم عليه‌السلام فرضته مواقف السياسة وقت تدوين تلك المسانيد والسنن.

ولعل ذلك دفع الذهبي إلى القول في ترجمة الإمام الباقر عليه‌السلام : وليس هو بالمكثر ، هو في الرواية كأبيه وابنه جعفر ، ثلاثتهم لا يبلغ حديث كل واحد منهم جزءاً ضخماً ، ولكن لهم مسائل وفتاو (2).

والحق كان الإمام عليه‌السلام كثير الحديث كما وصفه ابن سعد (3) ، ولو اطلع الذهبي على تراث الإمام الباقر عليه‌السلام في غير المسانيد لوجد الكثير ، سيما في مصادر التفسير والسيرة والتاريخ وشتى فروع المعرفة.

من جانب آخر أن أصحاب المسانيد تجافوا حديثه وحديث أبيه وولده الصادق : وكل من ينتمي إلى شجرة النبوة ، تزلفاً أو خوفاً من الحكام الذين شددوا من ممارساتهم التعسفية القائمة على الإرهاب الفكري والتعتيم وكم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الطبقات الكبرى 5 : 346 ، تاريخ الثقات / العجلي بترتيب الحافظ نور الدين الهيثمي : 410 ، تاريخ دمشق 45 : 279 ، البداية والنهاية 9 : 338.

(2) سير أعلام النبلاء 4 : 401.

(3) الطبقات الكبرى 5 : 346.

الأفواه ، وفرضوا حظراً على أهل هذا البيت حسداً لمكانتهم السامية.

وكمثال على ما نقول أنهم أعرضوا عن الحديث الذي رواه جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه‌السلام وتركوه ، لا لشيء إلاّ لأنّه يقول : حدثني وصي الأوصياء ، يريد بذلك الإمام الباقر عليه‌السلام ، مع أن الذهبي يصف جابراً بأنه أحد أوعية العلم (1).

جاء في مقدمة صحيح مسلم عن الجراح بن مليح ، قال : سمعت جابرا يقول : عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر الباقر عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، تركوها كلّها (2). فاذا كان هذا الكم الهائل من الحديث ، هو لراوٍ واحد من أصحاب الإمام عليه‌السلام ، فكيف حال مجموع الرواة ، بل وكيف يمكن الإحاطة بعلم الإمام عليه‌السلام ، فضلاً عن التجرؤ عليه وهو باقر العلم ، ووضعه مع أبيه وولده : في خانة قليلي العلم؟ وأي ذنبٍ لباقر العلم عليه‌السلام حتى يسقط حديثه؟! إن الجواب نلتمسه منه عليه‌السلام حيث يقول : «بلية الناس علينا عظيمة ، إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا» (3).

ولو استثنينا جابر الجعفي ، فإن الوارد عن بعض أصحابه الثقات أنهم سمعوا منه كماً هائلاً من الحديث ، فهذا محمد بن مسلم يقول : «ما شجر في رأيي شيء إلاّ سألت عنه أبا جعفر عليه‌السلام حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث ، وسألت أبا عبد اللّه الصادق عن ستة عشر ألف حديث» (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ الإسلام / الذهبي وفيات سنة 121 ـ 140 هـ : 59.

(2) صحيح مسلم ـ المقدمة : 25 ، ميزان الاعتدال 1 : 383.

(3) الارشاد 2 : 167 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 336 ، الاحتجاج : 2 : 68.

(4) رجال الكشي 1 : 386 / 276 ، الاختصاص : 201.

وعن أبي عبد اللّه عليه‌السلام : «إن أبان بن تغلب روى عني ثلاثين ألف حديث ، فاروها عنه» (1).

وفي رجال ابن داود في ذكر جماعة ضبطت روايتهم بالعدد ، قال يعقوب ابن شعيب : روى عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام خمسة آلاف حديث (2).

ومما يدل على سعة علوم الإمام الباقر عليه‌السلام وعمقها ، أنه مع الكم الهائل المروي عنه من علوم أهل البيت ، كان يقول : «لو كان لألسنتكم أوكية لحدثت كلّ امرئ بما له وعليه» (3).

ويقول عليه‌السلام : « لو وجدت لعلمي الذي آتاني اللّه عز وجل حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد ، وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه‌السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين الجوانح مني علماً جماً ... » (4).

فأين الذهبي عن كل هذا؟! انه التعصب الذي يعمي ويصم؟!

قال الشاعر في الباقر عليه‌السلام :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأشرقت به سماء المعرفه  |  | مذ أصبحت وشمسها منكسفه  |
| بل استنار عالم الأنوار  |  | بنوره الخاطف للأبصار  |
| علومه الغر مصابيح الهدى  |  | بنور علمه اهتدى من اهتدى  |
| علومه أثماره الزكيه  |  | من دوحة العلم المحمديه  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 11.

(2) رجال ابن داود : 212.

(3) أصول الكافي 1 : 264 / 1.

(4) التوحيد : 92.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جوهر علمه من الكنز الخفي  |  | فياله من شرف في شرف (1)  |

## 4 ـ دوره في علم الفقه والتشريع :

كان للإمام الباقر عليه‌السلام دور كبير في نشر الفقه ، وأعاد له نضارته ، وحافظ على أصوله من الضياع ، في وقت درج فيه الناس على إهمال شؤون الدين ، والجهل بمسائل الحلال والحرام.

قال ابن أبي الحديد : كان محمد بن علي بن الحسين سيد فقهاء الحجاز ، ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه (2).

وقال الشيخ المفيد : آثر عنه الناس السنن ، واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (3).

وعدّ باقر العلم عليه‌السلام من قبل أعلام أهل السنة كالنسائي وغيره في فقهاء التابعين من أهل المدينة (4) ، واتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر عليه‌السلام (5).

أما انجازاته على هذا الصعيد ، فيمكن بلورتها من خلال النقاط التالية :

أولاً : ترك الإمام عليه‌السلام تراثاً ضخماً يغطي معظم أبواب الفقه والتشريع ، حفلت بها موسوعات فقه وحديث الإمامية ، وكانت ولا تزال رافداً ومعيناً للفقهاء.

ثانياً : كان في حلقة درسه في بيته وفي مسجد مكة والمدينة ، سيما في موسم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأنوار القدسية : 73.

(2) شرح نهج البلاغة 15 : 277.

(3) الإرشاد 2 : 163.

(4) تذكرة الحفّاظ / الذهبي 1 : 124 ، طبقات الحفّاظ / السيوطي : 56.

(5) سير أعلام النبلاء 4 : 403.

الحج ، بمثابة مدرسة سيارة في افتاء الناس وحلّ المسائل المعضلة ، وكان ضمن الوافدين إليه الذين سألوه عن مسائل في الحلال والحرام ، فأجابهم : نافع بن الأزرق (1) ، والحكم بن عتيبة (2) ، والحسن الزيات (3) ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، ووفد من أهل خراسان (4) ، ووفد من أهل فلسطين (5).

وكان يجلس حوله عالم من الناس ، فلم يبرح مكانه حتى يفتي في ألف مسألة ، وهو في الساعة الأخيرة من يومه. قالت حبابة الوالبية : رأيته بمكة أصيلاً (6) في الملتزم ، أو بين الباب والحجر ، على صعدة من الأرض ، وقد حزم وسطه على المئرز بعمامة خز ، والغزالة (7) تخال على قلل الجبال كالعمائم على قمم الرجال ، وقد صاعد كفه وطرفه نحو السماء ويدعو ، فلما انثال الناس عليه يستفتونه عن المعضلات ، ويستفتحون أبواب المشكلات ، فلم يرم (8) حتى أفتاهم في ألف مسألة ، ثم نهض يريد رحله (9).

ثالثاً : هناك جملة من الإرشادات في مجال الفقه والتشريع ، وردت في حديث الإمام عليه‌السلام ، منها أن على الفقيه أن يعتمد الكتاب والسنة فيما يصدر من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 8 : 120 / 93 ، الإرشاد 2 : 164 ، روضة الواعظين / الفتال : 204.

(2) الكافي 6 : 446 / 1.

(3) الكافي 6 : 477 / 5.

(4) الكافي 6 : 256.

(5) التوحيد / الصدوق : 92 ، معاني الأخبار / الصدوق : 7.

(6) أي وقت الأصيل.

(7) أي الشمس.

(8) أي لم يبرح مكانه.

(9) مناقب آل أبي طالب 3 : 317 ، بحار الأنوار 46 : 259 / 60.

أحكام ، ولا يعتمد رأيه واستحسانه. عن أبي بصير ، قال : قلت لأبي جعفر عليه‌السلام : «يرد علينا أشياء لا نجدها في الكتاب والسنة ، فنقول فيها برأينا؟ فقال : أما إنّك إن أصبت لم تؤجر ، وإن أخطأت كذبت على اللّه» (1).

ونهى الفقهاء عن الفتوى بغير علم ، لأنها سبب للضلال والانحراف ، من هنا يستحق فاعلها لعنة الملائكة ، قال عليه‌السلام : «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى ، لعنته ملائكة الرحمن وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه» (2).

وتحدث عن الصفات الواجب توافرها في الفقيه ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : «قال أمير المؤمنين عليه‌السلام : ألا أخبركم بالفقيه حقاً؟ قالوا : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : من لم يقنط الناس من رحمة اللّه ، ولم يؤمنهم من عذاب اللّه ، ولم يرخص لهم في معاصي اللّه ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره» (3).

وعن أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، أنه سئل عن مسألة فأجاب فيها ، قال : فقال الرجل : «إنّ الفقهاء لا يقولون هذا ، فقال : يا ويحك ، وهل رأيت فقيهاً قط؟! إنّ الفقيه حقّ الفقيه ؛ الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، المتمسّك بسنّة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم» (4).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المحاسن 1 : 215 / 99.

(2) المحاسن 1 : 205 / 60 ، الكافي 1 : 42 / 3.

(3) معاني الأخبار : 226 / 1.

(4) الكافي 1 : 70 / 8.

رابعاً : على أساس هذا الاتجاه من الوعي والمعرفة ، وعلى ضوء هذه الإرشادات ، ربّى جيلاً من الفقهاء الرواة ، وتخرج على يده جمهرة كبيرة من مراجع الفتيا ، ممن أجمعت الطائفة على تصديقهم ، وكونهم أفقه الأولين ، أمثال زرارة ومعروف بن خربوذ وبريد بن معاوية وأبي بصير الأسدي والفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم الطائفي وأبان بن تغلب ، وغير هؤلاء كثير.

وكان الإمام عليه‌السلام يخلق فيهم حوافز الاهتمام بالفقه والاجتهاد به وإفادة الناس منه ، عن طريق ممارسة التوثيق للنابهين منهم ، على مستوى الشهادة له بالفقاهة وجواز الإفتاء ، ومن ذلك قوله عليه‌السلام لأبان بن تغلب : «اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس ، فإني أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك» (1).

وكان التنوع صفة بارزة في مدرسته الفقهية على ما قدمنا ، فكان يقصده العلماء من كل البلاد الإسلامية ، وفيهم من أئمة الفقه والحديث كثيرون ، فأخذ منه ومن ولده الصادق عليهما‌السلام ، أعلام الأُمّة آنذاك كأبي حنيفة ومالك وسفيان الثوري وأبي اسحاق السبيعي والأوزاعي وحجاج بن أرطاة وحفص بن غياث والحكم بن عتيبة وربيعة الرأي والزهري وعبد الملك بن جريج وعطاء بن أبي رباح ووكيع وغيرهم.

خامساً : حثّ شيعته سيما شبابهم على التفقه في الدين ، قال عليه‌السلام : «تفقهوا في الحلال والحرام ، وإلاّ فأنتم أعراب» (2). وقال عليه‌السلام : «لو أتيت بشاب من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 11 ، الفهرست / الشيخ الطوسي : 57 ، خلاصة الأقوال : 73 ، الذريعة 2 : 135.

(2) المحاسن 1 : 227 / 158.

شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لأوجعته» (2).

سادساً : رجع الفقهاء إلى رأيه في المسائل الغامضة من أحكام الشريعة ، منهم أبو أسحاق السبيعي ، في مسألة المسح على الخفين (3) ، وعبد اللّه بن عمر حين سأله رجل عن مسألة ، فلم يدر بما يجيبه ، فأرسله إلى الباقر عليه‌السلام (4).

وروي أنه جاءت امرأة إلى محمد بن مسلم الثقفي فقالت : «لي بنت عروس ضربها الطلق ، فما زالت تطلق حتى ماتت ، والولد يتحرك في بطنها ، ويذهب ويجيء ، فما أصنع؟ فقال : يا أَمَة اللّه ، سئل الباقر عليه‌السلام عن مثل ذلك فقال : يشق بطن الميت ويستخرج الولد ، أفعلي مثل ذلك يا أَمة اللّه ، أنا في ستر ، من وجّهك إليّ؟ قالت : سألت أبا حنيفة فقال : عليك بالثقفي ، فإذا افتاك فأعلمينيه» (5).

وروي عن ابن أبي ليلى أنه قدّم إليه رجل خصماً له ، فقال : «إنّ هذا باعني هذه الجارية فلم أجد على ركبها حين كشفتها شعراً ، وزعمت أنه لم يكن لها قط.

قال : فقال له ابن أبي ليلى : إن الناس ليحتالون لهذا بالحيل حتى يذهبوا به ، فما الذي كرهت؟ قال : أيها القاضي ، إن كان عيباً فاقضِ لي به. قال : حتى أخرج إليك ، فإنّي أجد أذىً في بطني. ثم دخل وخرج من باب آخر ، فأتى محمد ابن مسلم الثقفي ، فقال له : أي شيء تروون عن أبي جعفر في المرأة لا يكون على

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(2) المحاسن 1 : 228 / 161.

(3) روضة الواعظين : 202 ، شرح الأخبار 3 : 281.

(4) مناقب آل أبي طالب 3 : 329 ، الايضاح / النيسابوري : 458.

(5) مناقب آل أبي طالب 3 : 331.

ركبها شعر ، أيكون ذلك عيباً؟ فقال له محمد بن مسلم : أما هذا نصاً فلا أعرفه ، ولكن حدثني أبو جعفر ، عن أبيه ، عن آبائه : ، عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنّه قال : كل ما كان في أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيب. فقال له ابن أبي ليلى : حسبك ، ثم رجع إلى القوم ، فقضى لهم بالعيب» (1). وهنا استفاد محمد بن مسلم من هذا الحديث كقاعدة فقهية عينت موضوع الحكم.

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ناشر آثار النبي الهادي  |  | بالعلم والحكمة والارشاد  |
| به استبانت لأولي الأفهام  |  | معالم الحلال والحرام  |
| به صفت شريعة المختار  |  | عن كدر الأهواء والأفكار  |
| كأنها الكوثر في الصفاء  |  | طاب ورودها لطيب الماء  |
| به نمت وأورقت أشجارها  |  | به زكت وأينعت أثمارها  |
| به تدلّت لذوى المعالي  |  | أغصانها في غاية الكمال (2)  |

##  5 ـ دوره في علم الأصول :

إنّ الحاجة إلى هذا العلم تكمن في ابتلاء المكلفين بمسائل قد لا تكون هناك أخبار خاصة تجيب عنها ، لبعد الشقة عن الإمام أو لغيبته ، من هنا تصبح قواعد وأصول الفقه المعين الذي يتكفل بتعيين الحكم الذي يحدد وظيفة المكلف العملية وتعين له حكم موضوعه ، وعليه لايمكن أن يحصل المجتهد على ملكة الاجتهاد واستنباط الأحكام حتى يطلع على بحوث هذا العلم ، وكان الإمام الباقر عليه‌السلام الرائد الأول في هذا العلم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 5 : 215 / 12.

(2) الأنوار القدسية : 74.

يقول السيد حسن الصدر عن علم الأصول : ان أول من فتح بابه وفتق مسائله ، هو باقر العلوم الإمام أبو جعفر الباقر ، وبعده ابنه أبو عبد اللّه الصادق عليهما‌السلام ، وقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله ، جمعوا من ذلك مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحثه ، ككتاب أصول آل الرسول ، وكتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة ، وكتاب الأصول الأصلية ، كلها بروايات الثقات مسندة متصلة الاسناد إلى أهل البيت :. وأول من أفرد بعض مباحثه بالتصنيف هشام بن الحكم شيخ المتكلمين تلميذ أبي عبد اللّه الصادق عليه‌السلام ، صنف كتاب الألفاظ ... (1).

وحفلت كتب الحديث بالأخبار التي أضحت دليلاً على قواعد الأصول ، كقاعدة الاستصحاب ، والترجيح عند تعارض الأخبار ، والتعادل ، والتجاوز ، والفراغ ، والبراءة الشرعية وغيرها ، وانتقد الإمام الباقر عليه‌السلام بعض المباني الأصولية التي اعتمدها بعض أئمة الفقه كمسألة القياس والاستحسان كما قدمنا.

وإنّما أدلى الإمام عليه‌السلام بتلك القواعد إلى طلاّبه ، كي يخلق فيهم القدرة العلمية على الاستقراء والاستنتاج ، فيزود من يراه أهلاً بالمزيد ويأمره بالتفريع على القاعدة ، والتطبيق على مواردها.

ومن أمثلة تلك الأصول والقواعد العامة ، قاعدة الترجيح التي تعين على التمييز بين الصحيح وغيره في حال تعارض الأخبار ، وذلك بالردّ إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فلا يؤخذ إلاّ بما وافق كتاب اللّه أو سنّة رسول اللّه ، لقول أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما‌السلام : «لا تصدق علينا إلاّ ما وافق كتاب اللّه وسنّة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الشيعة وفنون الإسلام : 95.

نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم» (1).

ومن قواعد الترجيح الأخرى الأخذ بالمشهور ، والنظر إلى حال الراوي من حيث الوثاقة والعدالة ، لرواية زرارة بن أعين قال : «سألت الباقر عليه‌السلام فقلت : جعلت فداك ، يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ؟ فقال : يا زرارة ، خذ بما اشتهر بين أصحابك ، ودع الشاذ النادر. فقلت : يا سيدي ، إنّهما معا مشهوران مرويان مأثوران عنكم؟ فقال عليه‌السلام : خذ بقول أعدلهما عندك ، وأوثقهما في نفسك» (2).

ومنها ما يصطلح عليه قاعدة الفراغ ، وهي الحكم بصحة الفعل فيما لو شك في صحته بعد الفراغ منه ، لحديث محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «كلّما شككت فيه مما قد مضى فامضه كما هو» (3). ولقوله عليه‌السلام : «كل شيء شك فيه مما قد جاوزه ودخل في غيره فليمضِ عليه» (4).

ومنها قاعدة الاستصحاب ، كما في صحيحة زرارة عن الباقر عليه‌السلام : «لا تنقض اليقين بالشك أبداً ، وإنّما تنقضه بيقين آخر» (5).

## 6 ـ دوره في علوم اللغة والأدب :

## أصحابه الأدباء :

كان لأصحاب الإمام الباقر عليه‌السلام دور ملحوظ في علوم اللغة وقواعدها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تفسير العياشي 1 : 9 / 6.

(2) غوالي اللآلي 4 : 133 / 229.

(3) تهذيب الأحكام 2 : 344 / 1426.

(4) الاستبصار 1 : 358 / 1359.

(5) التهذيب 1 : 8 / 11.

والأدب ورواية الشعر ، منهم أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي ، أُستاذ الكسائي والفرّاء ، وإمام الكوفيين في النحو ، وأقدمهم بالتصنيف فيه ، فقد صنف كتاب الوقف والابتداء ، وكتاب الهمز ، وكتاب إعراب القران (1).

ومن أعلام الأدب واللغة والنحو أبان بن تغلب ، والأديب وراوية الشعر ابراهيم بن أبي البلاد ، والشاعر الأديب زرارة بن أعين ، وذكر ابن النديم أن زرارة كان نحوياً (2) ، والنحوي المشهور معاذ بن مسلم بن أبي سارة النحوي.

ومن أعلام الأدب : الشاعر الحجازي سديف بن مهران بن ميمون المكي ، ومالك بن أعين الجهني ، والكميت بن زيد الأسدي ، والورد أخوه ، والشاعر عبد اللّه بن غالب الأسدي ، وكثير عزّة ، وأبو هريرة العجلي.

## الشعر المنسوب إليه عليه‌السلام :

لم يكن الإمام الباقر عليه‌السلام يعنى بنظم الشعر ، رغم أن قول الشعر لم يكن بعزيز على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، أما الأشعار المنسوبة إليه فان بعضها لا يرقى إلى بلاغة الإمام وفصاحته المعهودة في قصار كلماته ومواعظه وسائر حديثه. ومنها ما رواه ابن عساكر بالاسناد عن قيس بن النعمان أن الباقر عليه‌السلام أنشده :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ الصبي صبي العقل ، لا صغر  |  | أزرى بذي العقل فينا ، لا ولا كبر  |

 وفي نفس الخبر أنّه عليه‌السلام زار قبر أبيه فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما غاض دمعي عند نازلة  |  | إلاّ جعلتك للبكا سببا  |
| إنّي أجلّ ثرىً حللت به  |  | من أن أرى لسواك مكتئبا  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 324.

(2) الفهرست : 276.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإذا ذكرتك سامحتك به  |  | مني الدموع ففاض فانسكبا (1)  |

ومن كتاب جمعه الوزير مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد العلقمي أنّه عليه‌السلام أنشد يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نحن على الحوض رواده (2)  |  | نذود ويسعد (3) ورّاده  |
| فما فاز من فاز إلاّ بنا  |  | وما خاب من حبنا زاده  |
| فمن سرنا نال منا السرور (4)  |  | ومن ساءنا ساء ميلاده  |
| ومن كان غاصبنا حقنا (5)  |  | فيوم القيامة ميعاده (6)  |

وأنشد عليه‌السلام مخاطباً العصاة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تعصي الإله وأنت تظهر حبّه  |  | هذا لعمرك في الفعال بديع  |
| لو كان حبّك صادقاً لأطعته  |  | إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع (7)  |

وأنشأ عليه‌السلام يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شفاء العمى طول السؤال وإنما  |  | تمام العمى طول السكوت على الجهل (8)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ دمشق 45 : 281.

(2) في نسخة : ذواده.

(3) في نسخة : ونسقي.

(4) في نسخة : فمن سرنا نال منا مناه.

(5) في نسخة : ومن فاتنا غاصبا حقنا.

(6) كشف الغمة 2 : 353 ، الفصول المهمة : 202.

(7) تحف العقول : 294.

(8) كفاية الأثر : 252.

وقال في ظلم الحكام لمحبي آل البيت : :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ اليهود بحبّهم لنبيّهم  |  | قد آمنوا من حادث الأزمان  |
| وذوو الصليب بحبّ عيسى أصبحوا  |  | يمشون زهواً في قرى نجران  |
| والمؤمنون بحبّ آل محمد  |  | يُرمَون في الآفاق بالنيران (1)  |

## ما تمثّل به من الشعر :

روي أن هناك أشعاراً تمثل بها الإمام الباقر عليه‌السلام ، منها أنه تمثل بشعر لحاتم الطائي في حديثه عن فضل اليأس ممّا في أيدي الناس ، روى نجم بن حطيم (2) الغنوي ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : «اليأس ممّا في أيدي الناس عزّ المؤمن في دينه ، أما سمعت قول حاتم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى  |  | إذا عرفته النفس والطمع الفقر» (3)  |

وعن أبي خالد البرقي في كتاب (الشعر والشعراء) أن الباقر عليه‌السلام تمثل بقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأطرق اطراق الشجاع ولو يرى  |  | مساغاً لنايبه الشجاع لصمها (4)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينابيع المودة / القندوزي 3 : 42 ، كفاية الأثر / الخزاز : 247.

(2) في الكافي : نجم بن خطيم.

(3) الكافي 2 : 149 / 6.

(4) مناقب آل أبي طالب 3 : 338.

## استنشاده الشعراء :

روى المؤرخون عن رجل من بني هاشم ، قال : «كنا عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجل من أهل الكوفة ، فقال له محمد بن علي عليهما‌السلام : إنّك لتروي طرائف من نوادر الشعر ، فكيف قال الأنصاري لأخيه؟

فأنشده :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لعمرك ما إن أبو مالك  |  | بواهٍ ولا بضعيف قواه  |
| ولا بالألد (2) له وازع  |  | يعادي أخاه إذا ما نهاه  |
| ولكنّه هين لين  |  | كعالية الرمح عرد نساه (3)  |
| اذا سدته سدت مطواعة  |  | ومهما وكلت إليه كفاه  |
| أبو مالك قاصر فقره  |  | على نفسه ومشيع غناه  |

 فوضع أبو جعفر عليه‌السلام يده على كتف زيد ، وقال له : هذه صفتك يا أخي ، وأعيذك باللّه أن تكون قتيل العراق» (3).

ورواها الشيخ الصدوق عن جابر الجعفي ، وفيها أن أبا جعفر عليه‌السلام استنشد معروف بن خربوذ المكي ، قائلاً له : «يا معروف ، أنشدني من طرائف ما عندك» فأنشده الأبيات (4).

وروى أبو الفرج عن الإمام الباقر عليه‌السلام أنّه كان إذا نظر إلى أخيه زيد تمثّل

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الألد : شديد الخصومة.

(2) أي شديد ساقه.

(3) زهرالآداب / القيرواني 1 : 118 ، والأبيات من قصيدة للمتنخل بن عويمر الهذلي.

(4) الأمالي / الصدوق : 94 / 73 ، عيون أخبار الرضا عليه‌السلام 1 : 251 / 2 ، وروى القصيدة السيد المرتضى في الأمالي 1 : 222.

بهذه الأبيات (3).

والأبيات التي أراد الإمام عليه‌السلام وصف أخيه زيد بها ، تعني أنّه كان كريماً في طباعه ، صلباً في إرادته ، وإن ساده أخوه في أمر الإمامة فهو مطيع لأخيه لا يعصيه ولا يحسده ، ومهما وكل إليه من أمر عظيم فإنّه أهل للقيام به.

## تصحيح الشعر :

روي أنّ الكميت أتى المدينة ، فأنشد الباقر عليه‌السلام قصيدته التي يقول فيها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| من لقلب متيم مستهام  |  | غير ما صبوة ولا أحلام  |

 فلما بلغ إلى قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أخلص اللّه لي هواي فما أُغـ  |  | رقُ نزعا ولا تطيش سهامي (4)  |

قال له محمد بن علي الباقر عليه‌السلام : «من لم يُغرق النزع لم يبلغ غايته بسهمه ، ولكن لو قلت : فقد اُغرق نزعا ولا تطيش سهامي» (5).

وفي رواية ابن شهر آشوب والطبرسي : فقال الكميت : «يا مولاي ، أنت أشعر منّي في هذا المعنى» (6).

قال العلاّمة المجلسي : إن فيما ذكره عليه‌السلام معنى لطيفاً كاملاً ، وهو أن المداحين إذا بالغوا في مدح ممدوحهم ، خرجوا عن الحقّ ، وكذبوا فيما يثبتون له ، كما أن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأغاني 20 : 127.

(2) البيت من أوّل قصيدة في الهاشميّات ، ورد في الهاشميات : 23 ، شرح الهاشميات / أبو رياش القيسي : 37 ، رجال الكشي : 206 / 362 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 337 ، اعلام الورى 1 : 510.

(3) شرح الهاشميات : 37.

(4) المناقب 3 : 337 ، اعلام الورى 1 : 510.

الرامي إذا أغرق نزعاً أخطأ الهدف ، وإنّي كلّما أبالغ في مدحكم ، لا يعدل سهمي عن هدف الحقّ والصدق (1).

وفي مورد آخر نقل العلاّمة المجلسي عن خط الشيخ ابن فهد الحلي : أنّ رجلاً ورد على أبي جعفر الأول عليه‌السلام بقصيدة مطلعها :

عليك السلام أبا جعفر

فلم يمنحه شيئاً ، فسأله في ذلك وقال : لِمَ لا تمنحني وقد مدحتك؟ فقال : «حييتني تحية الأموات ، أما سمعت قول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا طرقتنا آخر الليل زينب  |  | عليك سلام لما فات مطلب  |
| فقلت لها حييت زينب خدنكم  |  | تحية ميت وهو في الحي يشرب  |

 مع أنه كان يكفيك أن تقول : سلام عليك أبا جعفر» (2).

## علم العروض :

في كتاب (الزينة) للحافظ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي : كان الخليل بن أحمد أول من استخرج العروض ، فاستنبط منها ومن علل النحو ما لم يستخرجه أحد ، ولم يسبق إلى مثله سابق. وسمعت بعض أهل العلم يذكر أن الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب محمد بن علي ، أو من أصحاب علي بن الحسين ، فوضع له أصولاً ، وقسم الشعر ضروباً ، وسماه بها ، وجعل لتلك الأقسام دوائر وأسطراً ... (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بحار الأنوار 46 : 339.

(2) بحار الأنوار 46 : 345.

(3) شرح إحقاق الحق 12 : 170 عن كتاب الزينة : 80.

## 7 ـ دوره في السيرة والتاريخ :

قلما يخلو كتاب من كتب التاريخ عن ذكر الأخبار المنقولة عن الإمام الباقر عليه‌السلام ، فقد أخذ عنه المؤرخون وكتاب السيرة وقصص الأنبياء.

قال الشيخ المفيد : كتب عنه الناس المغازي (1).

وقال ابن شهر آشوب : روى عنه من المصنفين نحو الطبري والبلاذري والسلامي والخطيب في تواريخهم (2). ونقل عنه غيرهم من المؤرخين كابن اسحاق وابن هشام والواقدي واليعقوبي والمسعودي والمنقري وابن شبة وابن عساكر والشيخ المفيد وأبو الفرج الاصفهاني والذهبي وابن كثير وابن سيد الناس وآخرون غيرهم ، ونقلت عنه عليه‌السلام أخبار في غير كتب التاريخ ، مما يصلح أن يكون مادة تاريخية مهمة. ونكتفي هنا بالاشارة إلى مضامين بعض الأخبار التاريخية المنقولة عن باقر العلم مع ذكر مظانها.

فمن جملة المباحث التي نقلت عنه أخبار ومواعظ وسنن الأنبياء : ، ومن ذلك أخبار خلق آدم عليه‌السلام (3) ، وابنا آدم اذ قربا القربان (4) ، وولادة عيسى عليه‌السلام وتأديبه ونشأته (5) ، والذبيح اسماعيل بن ابراهيم (6) ، وذو القرنين (7).

ونقلت عنه أخبار في التاريخ العربي والإسلامي ، منها : أصنام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الارشاد 2 : 163.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 327.

(3) البداية والنهاية 1 : 77.

(4) البداية والنهاية 1 : 103 ، قصص الأنبياء / ابن كثير 1 : 6 و 56.

(5) التوحيد : 236.

(6) تحف العقول : 297.

(7) البداية والنهاية 1 : 127.

 العرب (1) ، وما عند العرب من خصال الحنيفية ، وما خالفوا من تلك الخصال (2) ، ونذر عبد المطلب بذبح ولده العاشر عبد اللّه ، وما فداه به من الابل (3) ، ومولد البشير النذير رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وذكر تسميته محمداً وأحمد ، وابتداء الوحي ، وصفته وسمته وهديه وصفة حجّه ، وتاريخ نبوته حتى وفاته ، وكيف غسّله علي عليه‌السلام عند وفاته من بئر سعد بن خيثمة ، وذكر أولاده صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من خديجة ، ووفاة القاسم والطاهر ولدا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (4) ، وأحكام السيوف التي بعث اللّه بها محمداً صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (5) ، وبعض أحداث وقعة بدر ، ووقعة أحد (6) ، وزيارة فاطمة 3 قبر حمزة ، وأنها كانت ترمّه وتصلحه وتعلّمه بحجر (7) ، ووفاة فاطمة 3 ومقدار عمرها ومدة بقائها بعد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (8) ، وغزوة خيبر وتترس علي عليه‌السلام بباب خيبر حتى صعد المسلمون عليه (9) ، وذكر الخبر عن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البداية والنهاية 1 : 119 ، قصص الأنبياء / ابن كثير 1 : 86.

(2) الكافي 4 : 210 / 17.

(3) الخصال : 156 / 198.

(4) تاريخ المدينة / ابن شبة 1 : 142 و 162 ، البداية والنهاية 2 : 314 و 320 ، 3 : 10 ، 5 : 180 و 293 ، السيرة النبوية 4 : 323 ، عيون الأثر / ابن سيد الناس 1 : 45 ، البحار22 : 151 عن قرب الاسناد.

(5) تحف العقول : 287.

(6) إعلام الورى 1 : 170 ، تاريخ الطبري 2 : 148 ، السيرة النبويّة / ابن هشام 1 : 158 ، 2 : 456.

(7) تاريخ المدينة / ابن شبة 1 : 132.

(8) المنتخب من ذيل المذيل / الطبري : 6 ، البداية والنهاية 4 : 611 ، 5 : 330 ، السيرة النبوية / ابن كثير 4 : 611.

(9) تاريخ الإسلام / الذهبي ـ المغازي : 412 ، البداية والنهاية 4 : 216.

غزوة رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم هوازن بحنين (1) ، وبعثة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (2) ، وبعثة علي عليه‌السلام إلى اليمن (3) ، ومقتل عثمان (4) ، ومسير علي عليه‌السلام من ذي قار إلى حرب البصرة (5) ، ومسير علي عليه‌السلام ولقاؤه أهل الشام في صفين (6) ، وتحكيم الحكمين بعد الحرب (7) ، وشهادة أمير المؤمنين علي عليه‌السلام ومحل دفنه (8) ، وذكر الخبر عن صفته (9) ، ورووا عنه أحداث الطف ، ومقتل الحسين عليه‌السلام وأهل بيته وأصحابه (10) ، ووقعة الحرة (11) ، وأخبار المختار (12).

وممن صنف في التاريخ من أصحابه : أبان بن تغلب ، له كتاب الفضائل ، وكتاب صفين ، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى ، قيل : ان كتب الواقدي سائرها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ الطبري 2 : 344 و 346.

(2) السيرة النبويّة / ابن هشام 4 : 882 ، تاريخ الطبري 2 : 341 ، تاريخ الإسلام : 568.

(3) تاريخ الإسلام : 691.

(4) البداية والنهاية 7 : 218 ، تاريخ المدينة 4 : 1220.

(5) الجمل / الشيخ المفيد : 158.

(6) البداية والنهاية 7 : 289 و 8 : 138.

(7) وقعة صفين : 500.

(8) البداية والنهاية 7 : 365 و 8 : 15.

(9) تاريخ الطبري 4 : 117 ، المنتخب من ذيل المذيل : 6.

(10) مقاتل الطالبيين : 54 ـ62 ، تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، مقتل الحسين عليه‌السلام / أبو مخنف : 173 و 197 ، تاريخ الطبري 4 : 342 ، ترجمة الإمام الحسين عليه‌السلام / ابن عساكر : 270 ، البداية والنهاية 8 : 42.

(11) البداية والنهاية 8 : 256.

(12) تاريخ الطبري 4 : 532 ، البداية والنهاية 8 : 301.

إنّما هي كتب ابن أبي يحيى ، نقلها الواقدي وادّعاها (1) ، وجابر بن يزيد الجعفي ، له كتاب الفضائل ، وعبد اللّه بن ابراهيم بن محمد الجعفري ، له كتب منها : كتاب خروج محمد بن عبد اللّه ومقتله ، وكتاب خروج صاحب فخ ومقتله (2) ، وغياث بن ابراهيم التميمي ، له كتاب مقتل أمير المؤمنين عليه‌السلام (3) ، ومحمد بن مبشر الثقفي ، له كتاب أخبار السلف ، وكتاب جمل وصية محمد بن الحنفية (4) ، ومسمع ابن عبد الملك ، له كتاب أيام البسوس (5).

## الملاحم والفتن :

وأخبر الإمام الباقر عليه‌السلام عن وقوع الكثير من الملاحم وحوادث المستقبل وأخبار الغيب التي رواها عن آبائه عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وقد تحقق بعضها ، وبعض منها لا يزال بظهر الغيب ، منها : اخباره عن عمر بن عبد العزيز بأنّه يلي الأمر (6) ، وأخباره بزوال دولة بني أمية ، وظهور الرايات السود (7) ، وقيام ملك بني العباس (8) ، وأخبر بدخول نافع بن الأزرق المدينة وقتله جماعة كثيرة (9) ، وشهادة أخيه زيد والطواف برأسه ، وأنه صليب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) رجال النجاشي : 14 ، الذريعة 7 : 61.

(2) رجال النجاشي : 216.

(3) الفهرست / الطوسي : 196 ، خلاصة الأقوال : 385.

(4) رجال النجاشي : 146 / 379.

(5) رجال النجاشي : 420 ، نقد الرجال 4 : 375.

(6) الخرائج والجرائح / الراوندي 1 : 276.

(7) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 118.

(8) الكافي 8 : 210 / 256 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 320 ، الصواعق المحرقة : 121.

(9) الخرائج والجرائح 1 : 289 ، الصراط المستقيم 2 : 182.

الكناسة (1) ، وهدم دار هشام بن عبد الملك في يثرب التي بناها بأحجار الزيت ، وأخبر أن أحجار الزيت هي موضع شهادة النفس الزكية ، وهو ما حدث (2) ، وأخبر عن شهادة الحسين بن علي بن الحسن صاحب فخ (3) ، وقال لأهل الكوفة : يخطب على أعوادكم سنة تسع وتسعين ومائة رجل منا أهل البيت ، يباهي اللّه به الملائكة (4) ، وقام محمد بن إبراهيم بن طباطبا وداعيته أبو السرايا بثورته ضد حكم المأمون ، بنفس التاريخ المذكور (5) ، كما أُخبر عليه‌السلام بوقوع غيبة الإمام المهدي عليه‌السلام بأحاديث كثيرة جدّاً وحدّد تاريخها بسنة 260 هـ (6).

ووردت عنه عليه‌السلام أخبار لا يبلغها الاحصاء عن أحداث وفتن آخر الزمان ، سيما ما يتعلق بأشراط الظهور وعلاماته ، كظهور اثنتي عشرة راية بالكوفة ، ومقتل أربعة نفر بالشام كلهم ولد خليفة (7) ، وظهور السفياني وبيان صفته ومدة ملكه ، وغلبته الكندي والترك والروم والأبقع الذي بمصر ، واليماني الذي يأتي من صنعاء بجنوده بعد ملاحم عظيمة ، ثم خروجه إلى العراق ونشر جنوده في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مقاتل الطالبيين : 89.

(2) دلائل الإمامة : 243.

(3) مقاتل الطالبيين : 289.

(4) مقاتل الطالبيين : 348.

(5) تاريخ الطبري 8 : 528 ـ 535.

(6) أُصول الكافي 1 : 341 / 22 ، وإكمال الدين 2 : 324 / 1 باب (32) ، وكتاب الغيبة / النعماني : 149 / 1 باب (10) ، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي : 101 ، والهداية الكبرى : 88.

(7) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 171.

الآفاق (1) ، وخروج الحسني من خراسان برايات سود وبين يديه شعيب بن صالح ، فيقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم (2) ، ونزول راياته السود الكوفة ، فاذا ظهر المهدي عليه‌السلام بمكة بعثت إليه بالبيعة (3) ، ومقتل نفس زكية من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عند أحجار الزيت (4) ، والخسف بجيش السفياني (5) ، والنداء من السماء (6) ، وظهور المهدي عليه‌السلام بمكة عند العشاء ومعه راية رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان (7) ، وتراث الإمام الباقر عليه‌السلام في هذا الباب واسع جداً (8).

هذا فضلاً عما قدمناه من أخباره عليه‌السلام في الغيبة.

## 8 ـ دوره في علم الطب :

وردت عن الإمام الباقر عليه‌السلام ارشادات كثيرة في مجال الطب الروحاني ، وعلاجات لبعض الأمراض ، ومواصفات لبعض الأدوية والأغذية.

ونقل عنه عليه‌السلام الكثير من العلاجات بطريقة الطب الروحاني ، ولا يخفى أن البحوث الطبية الحديثة أكدت أنّ الطبّ الروحاني من أهمّ الأسباب المؤدّية إلى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 129 و 165 و 174 و 184 و 192 و 202.

(2) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 189.

(3) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 190 و 198 و 199.

(4) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 200.

(5) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 203.

(6) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 208.

(7) كتاب الفتن / نعيم بن حماد : 213.

(8) راجع : كتاب معجم أحاديث المهدي عليه‌السلام بأجزائه الخمسة ، لتطلع على حجم المرويات عنه عليه‌السلام في هذا الاطار.

تخفيف الأمراض النفسية المستعصية ، والكثيرة الشيوع في زماننا هذا ، ولا ريب أنّ القرآن الكريم والدعاء يقفان على رأس مفردات الطبّ الروحاني والعلاج النفساني ، قال تعالى : «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُوءْمِنِينَ» (1).

من هنا أكد الإمام الباقر عليه‌السلام أن يتعوذ المسلم بالرقى المستخرجة من القرآن ، دون غيرها لأن كثيراً منها قد يؤدي بالمرء إلى الشرك دون أن يشعر.

روى أحمد بن محمد بن مسلم ، قال : سألت أبا جعفر محمد الباقر عليه‌السلام : «أنتعوّذ بشيء من هذه الرقى؟ قال : إلاّ من القرآن ، فإن علياً عليه‌السلام كان يقول : إنّ كثيراً من الرقى والتمائم من الإشراك» (2).

وأكد على خصوصية سورة الحمد والإخلاص في علاج جميع الأمراض ، قال عليه‌السلام : «كل من لم تبرأه سورة الحمد ، وقل هو اللّه أحد ، لم يبرأه شيء ، كلّ علّة تبرأها هاتان السورتان» (3).

ونقل عن الإمام الباقر عليه‌السلام مزيد من العلاجات والوصفات الروحانية التي تعتمد القرآن أو الدعاء ، منها في علاج آلام الجسد (4) ، ووجع الرأس والشقيقة (5) ، والصمم (6) ، ووجع

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الإسراء : 17 / 82.

(2) طب الأئمة : 48.

(3) طب الأئمة : 39.

(4) طب الأئمة : 17.

(5) طب الأئمة : 18 و 20

(6) طب الأئمة : 23.

الأضراس (1) ، ووجع الخاصرة (2) ، ووجع الظهر (3) ، ووجع الرجلين (4) ، وبكاء الصبيان (5) ، والسل (6) ، وكل ما يشتكي منه الإنسان (7) ، وشدّة الطلق وعسر الولادة (8) ، والرمد (9) ، وعبث الشيطان (10) ، وتعرّض الأرواح (11) ، وشدّة النزع عند الموت (12) ، وآثار الهوام (13) ، والجراح (14).

كما نقلت عن الإمام الباقر عليه‌السلام وصفات طبية لبعض الأمراض ، تعتمد العلاج بالأعشاب ، منها في علاج الطحال (15) ، وضعف البدن (16) ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) طب الأئمة : 23.

(2) طب الأئمة : 28.

(3) طب الأئمة : 30.

(4) طب الأئمة : 33.

(5) طب الأئمة : 36.

(6) طب الأئمة : 37.

(7) طب الأئمة : 39.

(8) طب الأئمة : 69.

(9) طب الأئمة : 83.

(10) طب الأئمة : 97.

(11) طب الأئمة : 108.

(12) طب الأئمة : 118.

(13) طب الأئمة : 119.

(14) دعائم الإسلام 2 : 142.

(15) طب الأئمّة : 30.

(16) طب الأئمّة : 64.

والزحير (1) ، والبلغم (2) ، وتقطير البول (3) ، والبواسير (4) ، وبياض العين (5) ، والحمى (6) ، وأوجاع الجسد (7) ، والجنون والصرع (8) ، وعلاج السموم ولدغ المؤذيات (9).

وذكر في طب الإمام الباقر عليه‌السلام خواص بعض الأغذية والعلاجات وآثارها الطبية ، منها : السويق (10) ، والحبة السوداء (11) ، والبيض (12) ، والتفاح (13) ، والكمثرى (14) ، والكمأة (15) ، والسلجم (16) ، والحجامة (17) ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) طب الأئمّة : 65.

(2) طب الأئمة : 66.

(3) طب الأئمة : 68.

(4) طب الأئمة : 81.

(5) طب الأئمة : 87.

(6) بحار الأنوار 59 : 96.

(7) طب الأئمة : 94.

(8) طب الأئمة : 112 ، بحار الأنوار 59 : 156.

(9) بحار الأنوار 59 : 207.

(10) طب الأئمة : 67.

(11) طب الأئمة : 68 ، دعائم الإسلام 2 : 149 ، بحار الأنوار 59 : 228.

(12) طب الأئمة : 130.

(13) طب الأئمة : 135.

(14) طب الأئمة : 135.

(15) بحار الأنوار 59 : 208.

(16) بحار الأنوار 59 : 214.

(17) بحار الأنوار 59 : 120 و 121.

والكحل المعروف بكحل أبي جعفر (1) ، وبخور مريم (2) ، والإدهان بالبان والزنبق أو الرازقي (3).

وهناك مجموعة إرشادات طبّية أثرت عنه عليه‌السلام ، وهي تدخل في صميم هذا العلم ، منها تشخيصه نوع المرض من خلال الأعراض البادية على الوجه ، كاستدلاله على البواسير من خلال امتقاع لون الوجه البادي على إسحاق الجريري وعلاجه إيّاه (4).

ونقل عنه عليه‌السلام أصناف طب العرب في قوله : «طب العرب في سبعة : شرطة الحجامة ، والحقنة ، والحمام ، والسعوط ، والقيء ، وشربة عسل ، وآخر الدواء الكي. وربّما يزاد فيه النورة» (5).

وفي هذا الاتجاه ذكر عليه‌السلام أنّ إخراج الحمى في ثلاثة أشياء : في القيء ، وفي العرق ، وفي إسهال البطن (6).

وفي حديث آخر ذكر عليه‌السلام «أن القيء يخرج كل داء وعلّة» (7).

وذكر عليه‌السلام أن خير الدواء الحقنة والسعوط والحجامة والحمام (8).

وعنه عليه‌السلام أنه قال : «إذا دخلتم أرضاً وبيئةً فكلوا من بصلها ، فإنّه يذهب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بحار الأنوار 59 : 150.

(2) بحار الأنوار 59 : 156.

(3) طب الأئمة : 93 و 94.

(4) طب الأئمة : 81.

(5) طب الأئمة : 4 و 55.

(6) طب الأئمة : 50.

(7) طب الأئمة : 67.

(8) طب الأئمة : 57.

عنك وباءها» (2).

## 9 ـ نماذج من مواعظه ووصاياه ورسائله :

كان الإمام الباقر عليه‌السلام يثير بعض الكلمات في مختلف جوانب المعرفة ، كي يزيد من حالة ارتباط الناس وتواصلهم الروحي والتربوي مع شخصيات الإسلام المتحركة مع كل جيل ، ويجعلهم حاضرين معه في عقولهم وتعاملهم ومجالات حياتهم كلها ، من خلال جملة مواعظه ووصاياه تقعد القواعد المشرقة لآداب السلوك ، وتسهم في تنظيم الأسرة وصيانتها من الانحراف ، وتلبي ما يحتاج إليه الناس في حياتهم على مستوى الفرد والمجتمع.

## أولاً ـ المواعظ وقصار الحكم :

ذكرنا في الفصل الرابع السيرة العملية للإمام الباقر عليه‌السلام ، وتتجلى فيها حركة التأصيل للمفاهيم التربوية التي رسمها من خلال خصائص شخصه وتحركه في أوساط الأمة ، ونذكر هنا السيرة القولية المتمثلة بما أدلى به من النصح والارشاد والموعظة والحكمة والوصايا والرسائل التي حرص من خلالها على تقويم سلوك الفرد المسلم ، وغرس بذور الخير والصلاح في النفوس وتقويم اعوجاجها ، واعدادها للسير في مدارج الكمال ، والارتقاء إلى مراحل إيمانية عالية ، وإلى حقيقة اليقين المتمثل بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بالقضاء.

وقد نالت الحكم المنقولة عنه عليه‌السلام اعجاب الأدباء على مر العصور ، لأنها لوحات جميلة من حيث الشكل والمحتوى ، قال الجاحظ : قد جمع محمد بن علي ابن الحسين صلاح حال الدنيا بحذافيرها في كلمتين ، فقال : «صلاح شأن جميع

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(3) دعائم الإسلام 2 : 149.

المعايش والتعاشر مل ء مكيال : ثلثاه فطنة ، وثلث تغافل» (1).

وفيما يلي نماذج مختارة من المواعظ البليغة والحكم الرائعة والأقوال الجامعة الواردة عنه عليه‌السلام مرتبة على الحروف :

قال الإمام الباقر عليه‌السلام :

1 ـ «إذا علم اللّه تعالى حسن نيّة من أحد ، اكتنفه بالعصمة» (2).

2 ـ «أربع من كنوز البر : كتمان الحاجة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الوجع ، وكتمان المصيبة» (3).

3 ـ قال عليه‌السلام لابنه : «اصبر نفسك على الحق ، فانه من منع شيئاً في حق ، أعطى في باطل مثليه» (4).

4 ـ «اعرف مودة أخيك لك بما له في قلبك من المودة ، فان القلوب تتكافأ» (5).

5 ـ «إن استطعت أن لا تعامل أحداً إلاّ ولك الفضل عليه فافعل» (6).

6 ـ «إن أسرع الخير ثواباً البر ، وإن أسرع الشر عقوبة البغي» (7).

7 ـ «إن اللّه يتعهّد عبده المؤمن بالبلاء ، كما يتعهّد الغائب أهله

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البيان والتبيين 1 : ، مناقب آل أبي طالب 3 : 334 ، كشف الغمة 2 : 361.

(2) أعلام الدين : 301.

(3) تحف العقول : 295.

(4) تحف العقول : 296.

(5) تحف العقول : 295 ، حلية الأولياء 3 : 187 ، البداية والنهاية 9 : 340.

(6) تحف العقول : 293.

(7) حلية الأولياء 3 : 187 ، تاريخ دمشق 45 : 293 ، أعلام الدين : 301 ، البداية والنهاية 9 : 341.

بالهدية ، ويحميه عن الدنيا كما يحمي الطبيب المريض» (1).

8 ـ «إن اللّه يحبّ إفشاء السلام» (2).

9 ـ «إن اللّه يعطي الدنيا من يحبّ ويبغض ، ولا يعطي دينه إلاّ من يحبّ» (3).

10 ـ «إنّما يُبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه» (4).

11 ـ «إنّ المؤمن أخ المؤمن لايشتمه ولايحرمه ، ولايسيء به الظن» (5).

12 ـ «إنّ هذه الدنيا تعاطاها البرّ والفاجر ، وإن هذا الدين لا يعطيه اللّه إلاّ أهل خاصّته» (6).

13 ـ «إنّي لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله» (7).

14 ـ «بئس الأخ أخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً» (8).

15 ـ «بئس العبد عبداً يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، إن أعطي حسده ، وإن ابتلي خذله» (9).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 2 : 255 / 17 ، تحف العقول : 300.

(2) تحف العقول : 300.

(3) تحف العقول : 300.

(4) الكافي 2 : 253 / 9.

(5) تحف العقول : 296.

(6) تحف العقول : 297.

(7) شرح نهج البلاغة 7 : 92.

(8) البداية والنهاية 9 : 341.

(9) عقاب الأعمال : 269 ، الخصال : 38 / 20 ، معاني الأخبار : 185 / 1.

16 ـ «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة : أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم إذا جهل عليك» (1).

17 ـ «ثلاث لم يجعل اللّه عزّوجلّ لأحد فيهنّ رخصة : أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر ، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر ، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين» (2).

18 ـ «ثلاث من عمل الجاهلية : الفخر بالأنساب ، والطعن في الأحساب ، والاستقساء بالأنواء» (3).

19 ـ «الحياء والإيمان مقرونان في قرن ، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه» (4).

20 ـ «سلاح اللئام قبح الكلام» (5).

21 ـ «شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الإفراط ، وشرّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق» (6).

22 ـ «صلة الأرحام تزكّي الأعمال ، وتنمّي الأموال ، وتدفع البلوى ، وتيسّر الحساب ، وتنسئ في الأجل» (7).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تحف العقول : 293.

(2) الكافي 2 : 162 / 15.

(3) معاني الأخبار : 326.

(4) تحف العقول : 297.

(5) حلية الأولياء 3 : 182 ، سير أعلام النبلاء 4 : 408 ، كشف الغمة 2 : 333.

(6) تاريخ اليعقوبي 2 : 320.

(7) تحف العقول : 299.

23 ـ «صمت الأديب عند اللّه ، أفضل من تسبيح الجاهل» (1).

24 ـ «عليكم بالورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها بَرّاً كان أو فاجراً ، فلو أن قاتل علي بن أبي طالب عليه‌السلام ائتمنني على أمانة لأدّيتها إليه» (2).

25 ـ «في كلّ قضاء اللّه خير للمؤمن» (3).

26 ـ «كان لي أخ في عيني عظيم ، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه» (4).

27 ـ «الكسل يضرّ بالدين والدنيا» (5).

28 ـ «كفى بالمرء غشّاً لنفسه أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه ، أو يعيب غيره بما لا يستطيع تركه ، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه» (6).

29 ـ «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فإنّ موسى عليه‌السلام خرج ليقتبس ناراً فرجع نبيّاً مرسلاً» (7).

30 ـ «كفى العبد من اللّه ناصراً أن يرى عدوّه يعصي اللّه» (8).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أعلام الدين : 96.

(2) تحف العقول : 299.

(3) تحف العقول : 293.

(4) حلية الأولياء 3 : 186 ، البداية والنهاية 9 : 340.

(5) تحف العقول : 300.

(6) تحف العقول : 296 ، حلية الأولياء 3 : 187 ، تاريخ دمشق 45 : 293.

(7) أعلام الدين : 301.

(8) تاريخ اليعقوبي 2 : 320.

31 ـ «لا تجالسوا أصحاب الخصومات ، فإنّهم الذين يخوضون في آيات اللّه» (1).

32 ـ «ما استوى رجلان في حسب ودين قط ، إلاّ كان أفضلهما عند اللّه آدبهما» (2).

33 ـ «ما عرف اللّه من عصاه» (3).

34 ـ «من أعطي الخلق والرفق فقد أعطي الخير والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرم الخلق والرفق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية إلاّ من عصمه اللّه» (4).

35 ـ وقيل له عليه‌السلام : من أخسر الناس صفقة؟ فقال عليه‌السلام : «من باع الباقي بالفاني» (5).

36 ـ «من صدق لسانه زكا عمله ، ومن حسنت نيّته زِيد في رزقه ، ومن حسن برّه بأهله زِيد في عمره» (6).

37 ـ «من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره اللّه عليه ، فأما الأمر الظاهر منه مثل الحِدّة والعجلة فلا بأس أن تقوله ، وإن البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه» (7).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الطبقات الكبرى 5 : 246 ، حلية الأولياء 3 : 184 ، كشف الغمة 2 : 332.

(2) تاريخ دمشق 45 : 292.

(3) تحف العقول : 294.

(4) البداية والنهاية 9 : 340 ، كشف الغمة 2 : 346 ، حلية الأولياء 3 : 186.

(5) البيان والتبيين : 159.

(6) تحف العقول : 295.

(7) تحف العقول : 298.

38 ـ «من قسم له الخُرق حجب عنه الإيمان» (3).

39 ـ «من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه» (4).

40 ـ وقيل له : من أعظم الناس قدراً؟ فقال عليه‌السلام : «من لا يبالي في يد من كانت الدنيا» (5).

41 ـ «من لم يجعل اللّه له من نفسه واعظاً ، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً» (6).

42 ـ وقال جرير بن يزيد : قلت لمحمد بن علي بن حسين : : «عظني. قال : يا جرير ، اجعل الدنيا مالاً أصبته في منامك ثم انتبهت وليس معك منه شيء» (7).

## ثانياً ـ الوصايا :

ترك الإمام الباقر عليه‌السلام وصايا كثيرة حافلة بالحكم والمعارف والآداب ، حرص من خلالها على التوجيه والإصلاح ، والحفاظ على الشريعة الغراء ، وكان منها عدة وصايا لأولاده ولأصحابه سيما جابر الجعفي ، ونقل عدة وصايا من كتاب التوراة ، وعن أبيه السجاد عليه‌السلام ، وعن جده رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وفيما يلي نماذج منها :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تحف العقول : 296.

(2) تحف العقول : 294.

(3) البيان والتبيين : 159 ، أعلام الدين : 302 ، البداية والنهاية 9 : 340.

(4) تحف العقول : 294.

(5) تاريخ دمشق 45 : 292.

### 1 ـ من وصيته لابنه الصادق عليهما‌السلام :

قال عليه‌السلام : «يا بني ، إذا أنعم اللّه عليك نعمة فقل : الحمد للّه ، وإذا أحزنك أمر فقل : لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم ، وإذا أبطأ عليك الرزق فقل : استغفر اللّه» (1).

### 2 ـ ومن وصيته له أيضاً :

قال عليه‌السلام : «إن اللّه خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء : خبأ رضاه في طاعته ، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً ، فلعل رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته ، فلا تحقرن من المعصية شيئاً ، فلعل سخطه فيه ، وخبأ أولياءه في خلقه ، فلا تحقرن أحداً ، فلعله ذلك الولي» (2).

### 3 ـ من وصيته لجابر :

وهي طويلة جمع فيها مكارم الأخلاق ، اخترنا منها : «يا جابر ، اغتنم من أهل زمانك خمساً : إن حضرت لم تعرف ، وإن غبت لم تفتقد ، وإن شهدت لم تشاور ، وإن قلت لم يقبل قولك ، وإن خطبت لم تزوج. وأوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا تخن ، وإن كُذِّبت فلا تغضب ، وإن مُدِحتَ فلا تفرح ، وإن ذُمِمت فلا تجزع ... يا جابر ، استكثر لنفسك من اللّه قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر ، واستقلل من نفسك كثير الطاعة للّه إزراء على النفس وتعرضاً للعفو ، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم ، واستعمل حاضر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البيان والتبيين : 257.

(2) كشف الغمة 2 : 361 ، سير أعلام النبلاء 4 : 408.

العلم بخالص العمل ، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقّظ ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف ... واعلم أنّه لا علم كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا خوف كخوف حاجز ، ولا رجاء كرجاء معين ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة كغلبة الهوى ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغارك الدنيا ، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك ، ولا نعمة كالعافية ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا شرف كبعد الهمة ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات ، ولا عدل كالإنصاف» (1).

### 4 ـ ومن وصيته لمحمد بن مسلم :

«يا محمد بن مسلم ، لا يغرّنك الناس من نفسك ، فإنّ الأمر يصل إليك دونهم ، ولا تقطع النهار عنك كذا وكذا ، فإنّ معك من يحصي عليك ، ولا تستصغرن حسنة تعمل بها ، فإنّك تراها حيث تسوءك ، وأحسن فإنّي لم أرَ شيئاً قط أشدّ طلباً ، ولا أسرع دركاً ، من حسنة محدثة لذنب قديم» (2).

### 5 ـ ومن وصيته لرجل :

عن جعفر بن محمد الصادق ، عن أبيه عليهما‌السلام ، قال : «جاءه رجل فقال : أوصني. قال : هيء جهازك ، وقدم زادك ، وكن وصي نفسك» (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تحف العقول : 284.

(2) علل الشرائع 2 : 599 / 49.

(3) تاريخ دمشق 45 : 292.

## ثالثاً ـ الرسائل والمكاتيب :

للإمام الباقر عليه‌السلام رسائل بعث بها إلى أصحابه ومواليه وغيرهم ، تشتمل على وصايا قيمة في السلوك والآداب ، ويحث فيها على اتباع التقوى والعمل الصالح ، ويشرح حال الأمة بعد رحلة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ودور العلماء في تلبية حاجات الأمة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومواضيع أخرى مختلفة.

وعلى رأس تلك الرسائل ، هناك رسالتان كتبها إلى سعد بن عبد الملك الأُموي نسبا ، المعروف بسعد الخير (1).

كتب أبو جعفر عليه‌السلام بعد البسملة ، « أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى اللّه ، فإن فيها السلامة من التلف ، والغنيمة في المنقلب ، إن اللّه عزّوجلّ يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله ، ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهله ، وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة ، وصالح ومن معه من الصاعقة ، وبالتقوى فاز الصابرون ، ونجت تلك العصب من المهالك ... » (2).

وكتب رسالة ثانية جوابية إلى سعد الخير ، ومنها : «يا أخي ، إن اللّه عزّوجلّ جعل في كل من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون معهم على الأذى ، يجيبون داعي اللّه ، ويدعون إلى اللّه ، فأبصرهم رحمك اللّه ، فإنهم في منزلة رفيعة ، وإن أصابتهم في الدنيا وضيعة ، أنهم يحيون بكتاب اللّه الموتى ، ويبصرن بنور اللّه من العمى ، كم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) للاطلاع على المزيد من الرسائل ، راجع : معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة : لمحمد بن الفيض الكاشاني.

(2) الكافي 8 : 52 / 16.

من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من تائه ضال قد هدوه ، يبذلون دماءهم دون هلكة العباد ، وما أحسن أثرهم على العباد ، وأقبح آثار العباد عليهم» (1).

## 10 ـ حوارات ومناظرات :

ناظر الإمام الباقر عليه‌السلام العديد من أهل النظر والكلام ، وأثبت لهم بصائب الدليل وصحيح البرهان عقائد الإسلام الأصيل ، قال الشيخ المفيد : «ناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء ، وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام» (2).

وفيما يلي نماذج من مناظراته المسكتة مع بعض الأعلام في زمانه :

### 1 ـ نافع بن الأزرق الخارجي :

للإمام الباقر عليه‌السلام على المستوى العقائدي مناظرة أفحم فيها نافع بن الأزرق. قال الشيخ المفيد : جاءت الأخبار أن نافع بن الأزرق جاء إلى محمد بن علي عليهما‌السلام ، فجلس بين يديه ، فسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : «قل لهذه المارقة بم استحللتم فراق أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى اللّه بنصرته؟! فسيقولون لك : إنّه حكّم في دين اللّه ، فقل لهم : قد حكّم اللّه تعالى في شريعة نبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رجلين من خلقه فقال تعالى : «فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُّرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» (3) وحكّم رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سعد بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 8 : 56 / 17.

(2) الارشاد 2 : 163.

(3) سورة النساء : 4 / 35.

معاذ في بني قريظة ، فحكم فيهم بما أمضاه اللّه.

أو ما علمتم أن أمير المؤمنين عليه‌السلام إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه ، واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال ، وقال حين قالوا له : حكمت على نفسك من حكم عليك. فقال : ما حكّمت مخلوقاً ، وإنّما حكّمت كتاب اللّه ، فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشترط رد ما خالفه؟! لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان. فقال نافع بن الأزرق : هذا كلام ما مر بسمعي قط ، ولا خطر مني ببال ، وهو الحقّ إن شاء اللّه» (1).

### 2 ـ عبد اللّه بن نافع :

قال ابن شهرآشوب : روي أن عبد اللّه بن نافع بن الأزرق كان يقول : «لو عرفت أن بين قطريها أحداً تبلغني إليه الإبل يخصمني بأن علياً قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لرحلت إليه.

قيل له : ائت ولده محمد الباقر ، فأتاه فسأله فقال عليه‌السلام بعد كلام : الحمد للّه الذي أكرمنا بنبوته ، واختصّنا بولايته. يا معشر أولاد المهاجرين والأنصار ، من كان عنده منقبة في أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فليقم فليحدّث. فقاموا ونشروا من مناقبه ، فلما انتهوا إلى قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب اللّه ورسوله ، ويحبه اللّه ورسوله ، كراراً غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح اللّه على يديه ، سأله أبو جعفر عليه‌السلام عن صحّته ، فقال : هو حقّ لا شكّ فيه ، ولكن عليّاً أحدث الكفر بعد.

فقال أبو جعفر عليه‌السلام : أخبرني عن اللّه أحبّ عليّ بن بي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان ، أم لم يعلم؟ قال : إن قلتَ : لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الارشاد 2 : 164 ، روضة الواعظين : 204 ، الاحتجاج 2 : 57.

كفرتَ.

قال : فقال : قد علم. قال : فأحبّه على أن يعمل بطاعته ، أو على أن يعمل بمعصيته؟ قال : على أن يعمل بطاعته. فقال أبو جعفر عليه‌السلام : قم مخصوماً. فقام وهو يقول : «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الاْءَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ» (1) اللّه يعلم حيث يجعل رسالاته» (2).

### 3 ـ عمرو بن عبيد :

قال الشيخ المفيد : روى العلماء أن عمرو بن عبيد ، وهو من أئمّة الاعتزال ، وفد على محمد بن علي بن الحسين : ليمتحنه بالسؤال ، فقال له : «جعلت فداك ، ما معنى قوله عزّ اسمه : «أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالاْءَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» (3) ما هذا الرتق والفتق؟ فقال له أبو جعفر عليه‌السلام : كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر ، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ، فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً» (4).

### 4 ـ احتجاج علّمه لأبي الجارود :

وله عليه‌السلام احتجاج لقنه أبا الجارود في ردّ المنكرين بأن الحسن والحسين ابنا رسول اللّه من الصلب ، قال أبو جعفر عليه‌السلام : «واللّه يا أبا الجارود لأعطينّكم من كتاب اللّه آية تسمّيها أنّهما لصلب رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لا يردّها إلاّ كافر. قال : قلت :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة البقرة : 2 / 187.

(2) مناقب آل أبي طالب 3 : 332 ، وورد مفصلاً في الكافي 8 : 349 / 548.

(3) سورة الأنبياء : 21 / 30.

(4) الارشاد 2 : 165 ، الاحتجاج 2 : 61 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 329 ، روضة الواعظين : 203.

جعلت فداك ، وأين؟ قال : حيث قال : «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ـ إلى قوله ـ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ» (1) فسلهم ـ يا أبا الجارود ـ هل يحلّ لرسول اللّه نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا : نعم ، فكذبوا واللّه ، وإن قالوا : لا ، فهما واللّه ابنا رسول اللّه لصلبه ، وما حرمن عليه إلاّ للصلب» (2).

### 5 ـ مناظرة حول ظلم الأمة لعلي عليه‌السلام :

وله مناظرة مع رجل في مجلس أبيه السجاد عليه‌السلام ، حول مظلومية أمير المؤمنين ، قال له الباقر عليه‌السلام : «يا عبد اللّه ، ما أكثر ظلم كثير من هذه الأُمّة لعلي بن أبي طالب عليه‌السلام ، وأقلّ أنصارهم ، إنّهم يمنعون علياً عليه‌السلام ما يعطونه سائر الصحابة ، وعلي أفضلهم ، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره؟!

قيل : وكيف ذاك يا بن رسول اللّه؟ قال : لأنّكم تتولّون محبّي أبي بكر بن أبي قحافة ، وتتبرّءون من أعدائه كائناً من كان ، وكذلك تتولّون عمر بن الخطّاب ، وتتبرّءون من أعدائه كائناً من كان ، وتتولّون عثمان بن عفّان ، وتتبرّءون من أعدائه كائناً من كان ، حتّى إذا صار إلى علي بن أبي طالب عليه‌السلام ، قالوا : نتولّى محبّيه ، ولا نتبرّأ من أعدائه ، بل نحبّهم ، فكيف يجوز هذا لهم ، ورسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول في علي عليه‌السلام : اللّهمّ والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله. أفترونه لا يعادي من عاداه ، ولا يخذل من خذله؟! ليس هذا بإنصاف.

ثم أخرى : إنّهم إذا ذكر لهم ما أخصّ اللّه به عليّاً عليه‌السلام بدعاء رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وكرامته على ربّه تعالى جحدوه ، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة البقرة : 2 / 187.

(2) الاحتجاج 2 : 58.

الصحابة ، فما الذي منع علياً عليه‌السلام ما جعله لسائر أصحاب رسول اللّه؟

هذا عمر بن الخطّاب ، إذا قيل لهم : إنّه كان على المنبر بالمدينة يخطب ، إذ نادى في خلال خطبته : يا سارية الجبل. وعجب القوم ، وقالوا : ما هذا من الكلام الذي في هذه الخطبة ، فلما قضى الخطبة والصلاة قالوا : ما قولك في خطبتك : يا سارية الجبل؟

فقال : اعلموا أنّي وأنا أخطب إذ رميت ببصري نحو الناحية التي خرج فيها إخوانكم إلى غزوة الكافرين بنهاوند ، وعليهم سعد بن أبي وقاص ، ففتح اللّه لي الأستار والحجب ، وقوّى بصري حتى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك ، وقد جاء بعض الكفار ليدور خلف سارية ، وساير من معه من المسلمين ، فيحيطوا بهم فيقتلوهم ، فقلت : يا سارية الجبل ، ليلتجئ إليه ، فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به ، ثم يقاتلوا ، ومنح اللّه إخوانكم المؤمنين أكتاف الكافرين ، وفتح اللّه عليهم بلادهم ، فاحفظوا هذا الوقت ، فسيرد عليكم الخبر بذلك ، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة أكثر من خمسين يوماً.

قال الباقر عليه‌السلام : فإذا كان مثل هذا لعمر ، فكيف لا يكون مثل هذا لعلي ابن أبي طالب عليه‌السلام؟! ولكنّهم قوم لا ينصفون ، بل يكابرون» (1).

### 6 ـ عالم النصارى :

ناظره بالشام حين أشخصه هشام بن عبد الملك إلى هناك ، أخرجه ثقة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الاحتجاج 2 : 67 ، وحديث سارية الجبل من الأحاديث الموضوعة بنظر أهل البيت : ولكن لاعتقاد جهلة العامّة بصحّتها ذكرها الإمام عليه‌السلام من باب الاحتجاج عليهم بما صحّ عندهم ، فلاحظ.

الإسلام الكليني عن عمر بن عبد اللّه الثقفي ، والطبري في دلائل الإمامة عن أبي بصير ، وأجاب فيها الإمام عليه‌السلام عن عدّة تساؤلات ، منها : قال النصراني : «أنتم الذين تزعمون أنّكم تذهبون إلى الجنّة فتأكلون وتشربون ولا تحدثون؟ قال عليه‌السلام : نعم ، الجنين يأكل في بطن أُمّه من طعامها ، ويشرب من شرابها ولا يحدث.

قال : أخبرني عن رجلين ولدا في ساعة واحدة ، وماتا في ساعة واحدة ، عاش أحدهما خمسين ومئة سنة ، وعاش الآخر خمسين سنة. قال عليه‌السلام : هما عزير وعزرة ، عاش عزرة مع عزير ثلاثين سنة ، ثم أمات اللّه عزيراً مائة سنة ، وبقي عزرة يحيا ، ثم بعث اللّه عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة.

قال النصراني : يا معشر النصارى ، ما رأيت أحداً قط أعلم من هذا الرجل ، لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام» (1).

وللإمـام الباقـر عليه‌السلام حوارات أُخـرى مع آخريـن ، منـهم : سالم التمّار من البترية (1) ، وقتادة بن دعامة البصـري (2) ، وطاوس اليماني (3) ، وهشام ابن عبد الملك (4) ، والأبرش بن الوليد الكلبي وزير هشام بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 8 : 122 / 94 ، دلائل الإمامة : 229 ، الخرائج والجرائح 1 : 291.

(2) الاحتجاج 2 : 63.

(3) الكافي 6 : 256.

(4) الاحتجاج 2 : 61 و 64 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 332.

(5) دلائل الإمامة : 235 ، نوادر المعجزات : 131 ، الارشاد 2 : 163 ، تاريخ دمشق

عبد الملك (1).

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

45 : 279 ، الاحتجاج 2 : 57 ، شرح الأخبار 3 : 280 ، سير أعلام النبلاء 4 : 405 ، روضة الواعظين : 203.

(5) الكافي 6 : 286 / 1 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 329.

الفصل الثامن

شهادة الإمام الباقر عليه السلام

## تاريخ شهادته :

انتقل الإمام الباقر عليه‌السلام إلى رضوان بارئه بالحميمة من الشراة ، ثم نقل إلى بقيع المدينة يوم الإثنين ، السابع من ذي الحجة ، في ملك هشام بن عبد الملك ، سنة 114 هـ ، وسنّه يومئذ سبع وخمسون سنة ، وهو المشهور عند غالبية المؤرخين والمحدثين (1) ، والموافق لما قرّر في المشهور من تاريخ ولادته ، وما قدّر من عمره.

واختلفوا في تعيين اليوم والشهر والسنة التي توفّي فيها على أقوال عدة ، فقيل : الثالث أو السابع من ذيالحجة ، والثالث والعشرون من صفر ، والسابع من ربيع الأول أو من ربيع الآخر. وقيل في ذكر سنة وفاته : 105 و 112 و 113 و 115 و 116 و 117 و 118 و 119 و 124 و 125 من الهجرة (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكافي 1 : 469 و 472 / 6 ، الارشاد 2 : 158 ، دلائل الإمامة : 215 ، الهداية الكبرى 238 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، روضة الواعظين : 207 ، كشف الغمة 2 : 347 ، مصباح الكفعمي : 522 ، اعلام الورى 1 : 497 ، تاج المواليد : 41 ، التتمة : 96 ، تاريخ مواليد الأئمّة / ابن الخشاب : 26 ، اثبات الوصية : 153 ، بحار الأنوار 46 : 217.

(2) راجع إضافة لما تقدّم : الطبقات الكبرى 5 : 248 ، تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، تاريخ

واختلف في الحاكم الذي توفي في زمانه ، فهناك أخبار تصرح بوفاة الإمام عليه‌السلام في زمان عبد الملك بن مروان (1). وهو غريب ، لأن خلافة عبد الملك ابن مروان كانت من سنة 65 إلى 86 هـ ، ولم يقل أحد بهذا التاريخ ، بل الأخبار الصحيحة صرحت بوفاته سنة 114 هـ ، أي بعد مضي نحو تسع سنين من أيام هشام بن عبد الملك 105 ـ 125 هـ. واستظهر العلاّمة المجلسي كونه هشام بن عبد الملك بن مروان ، فسقط اسم هشام من الرواة أو النساخ ، وبقي عبد الملك ابن مروان (2).

وذكر الطبري أنه قبض في أول ملك إبراهيم بن الوليد (3) ، وذكر القرماني وابن شهرآشوب عن أبي جعفر بن بابويه أنّه سمّه إبراهيم بن الوليد (4).

وروى الطبري عن أبي محمد الحسن العسكري عليه‌السلام ، أنّ سبب وفاته عليه‌السلام أنّ إبراهيم بن الوليد سمّه (5).

وقال السيد بن طاوس في الزيارة الكبيرة : وضاعف العذاب على من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

مدينة دمشق 45 : 271 و 297 و 299 ، الهداية الكبرى : 237 و 241 ، مروج الذهب 3 : 244 ، سير أعلام النبلاء 4 : 409 ، نور الأبصار : 195 ، تذكرة الخواص : 350 ، مطالب السؤول : 80 ، كفاية الطالب : 306 ، تاريخ أهل البيت / رواية كبار المحدثين والمؤرخين : 79 ، شرح الأخبار 3 : 288 ، المنتظم 7 : 161 ، صفة الصفوة 2 : 108.

(1) الثاقب في المناقب : 389 ، الصراط المستقيم : 184 ، بحار الأنوار 46 : 329 / 12.

(2) بحار الأنوار 46 : 331.

(3) دلائل الإمامة : 215.

(4) أخبار الدول 1 : 332 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339.

(5) دلائل الإمامة : 216.

شرك في دمه ، وهو إبراهيم بن الوليد (1).

فإذا كان الباقر عليه‌السلام قبض سنة 114 هـ ، على المشهور ، فوفاته في ملك هشام 105 ـ 125 هـ ، لا في ملك إبراهيم الذي ولي وقتل سنة 127 هـ ، فهذا القول معارض بالمشهور ، إلاّ أن نقول أن إبراهيم بن الوليد قد نفذ هذه الجريمة العظمى في زمان هشام بن عبد الملك ، وبإشارة منه ، وليس في زمان ملك إبراهيم.

وذكر المسعودي أن وفاة أبي جعفر الباقر عليه‌السلام كانت أيام الوليد بن يزيد 125 هـ ، ثم قال : وقد تنوزع في ذلك ، فمن الناس من رأى أن وفاته كانت على أيام هشام بن عبد الملك ، وذلك سنة 117 هـ ، ومن الناس من رأى أنه مات في أيام يزيد بن عبد الملك (2) ، وكانت أيام يزيد من سنة 101 إلى 105 هـ.

## مقدار عمره الشريف :

الرواية المشهورة في مقدار عمر الإمام الباقر عليه‌السلام هي سبع وخمسون سنة ، بناءً على القول المشهور في ولادته ووفاته ، وهناك أقوال أخرى تتفاوت بحسب تعدّد الأقوال المتقدمة في الولادة والوفاة ، والمذكور منها 55 و 60 و 56 و 58 و 63 و 73 سنة (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بحار الأنوار 46 : 218.

(2) مروج الذهب 3 : 244.

(3) الثقات / ابن حبان 5 : 348 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 ، البداية والنهاية 9 : 338 ، طبقات الحفاظ / السيوطي : 56 ، كشف الغمة 2 : 331 و 332 و 361 ، تاريخ دمشق 45 : 272 ، تاج المواليد : 40 ، اسعاف الراغبين : 254 ، عمدة الطالب : 194 ، تاريخ ابن خلدون 4 : 217 ، تاريخ اليعقوبي 2 : 320 ، نور الأبصار : 195 ، ذيل تاريخ أبي الفداء / ابن الوردي 1 : 277 ، تاريخ أهل البيت / رواية كبار المحدثين : 79 ، شرح الأخبار 3 : 288.

ورجّح سبط ابن الجوزي وفاته عن ثمان وخمسين سنة ، لما روي عنه عليه‌السلام : أنّ علياً عليه‌السلام قتل وهو ابن ثمان وخمسين ، ومات لها الحسن عليه‌السلام ، ومات لها الحسين عليه‌السلام ، ومات لها علي بن الحسين عليه‌السلام.

وروي عن جعفر بن محمد عليهما‌السلام يقول : سمعت أبي يقول لعمتي فاطمة بنت الحسين عليه‌السلام : قد أتت علي ثمان وخمسون ، فتوفّي لها (1) ، وروي نحو ذلك ابن سعد ، والجنابذي ، وابن عساكر ، والقاضي النعمان (2).

## شهادته عليه‌السلام :

رغم ابتعاد الإمام الباقر ، ومن قبله أبوه الإمام السجّاد عليهما‌السلام ، عن كل ما يمت بصلة إلى السلطة ورموز بلاطها ، إلاّ أنّه يمثل بالنسبة للسلطات الأُمويّة هاجساً من الخوف المشوب بالغيرة والحقد ونصب العداء ، ويدخل ذلك ضمن الثقافة التي توارثها الأبناء عن الآباء من رجالات السلطة ، ذلك لأنّهم يدركون خطورة النشاط الذي يمارسه عليها ، لكونه مصدر الوعي الإسلامي الصحيح ورائد الحركة الاصلاحية في الأُمّة ، التي تكنّ له التبجيل والاحترام ، فعملت السلطة على تصفيته جسدياً ، ولجأت إلى سلاحها المعهود فاغتالته بالسم في زمان هشام بن عبد الملك ، الذي نقل أنّه كان شديد العداوة والعناد لأبي جعفر الباقر عليه‌السلام ولأهل بيته (3). ولم تذكر الروايات تفاصيل أسباب دسّ السم إليه وكيفية شهادته.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تذكرة الخواص : 350.

(2) الطبقات الكبرى 5 : 248 ، كشف الغمة 2 : 331 عن الحافظ عبد العزيز الجنابذي ، تاريخ دمشق 45 : 295 ، شرح الأخبار 3 : 288.

(3) الهداية الكبرى : 237.

ومهما يكن فإنّ بعض المصادر ذكرت أنّ سبب موته مرض ، بينما اكتفت بعض المصادر أنّ الإمام الباقر عليه‌السلام استُشهد مسموماً كأبيه ، ولم تذكر الذي باشر ذلك ، في حين ذكرت بعضها أنّ هشام بن عبد الملك هو الذي سمّه ، وذكرت أُخرى أنّ إبراهيم بن الوليد هو الذي سمّه (1).

غير أنّ هناك رواية طويلة لأبي بصير عن أبي عبد اللّه الصادق عليه‌السلام ، جاء فيها أنّ سبب إقدام السلطة على قتل الإمام عليه‌السلام هو وشاية زيد بن الحسن إلى عبد الملك بن مروان ، وأنّه قال له حين دخل عليه : أتيتك من عند ساحر كذّاب لا يحلّ لك تركه ، وأنّ عنده سلاح رسول اللّه وسيفه ودرعه وخاتمه وعصاه وترِكته ، مما أثار حفيظة عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنّ زيداً خاصم الإمام الباقر عليه‌السلام في ميراث رسول اللّه إلى القاضي ، ثمّ أنّ عبد الملك بعث بسرج إلى الإمام الباقر عليه‌السلام ، فلما أسرج له نزل متورّماً ، وعاش ثلاثاً ، ثم مضى إلى كرامة ربّه (2).

وتقدّم أنّ الرواية تذكر الأحداث في زمان عبد الملك ، ولا يصحّ إلاّ بافتراض السقط والتحريف ، لتكون أجواء الرواية في أيام هشام بن عبد الملك.

وممّا يدلّ على إصرار هشام على قتل الإمام عليه‌السلام ، أنّه كتب إلى عامل المدينة بعد أن أشخص الإمام مع ولده الصادق عليهما‌السلام أن يحتال في سمّ أبي جعفر عليه‌السلام عند

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 339. دلائل الإمامة : 215 و 216 ، نور الأبصار : 195 ، الصواعق المحرقة : 201 ، اسعاف الراغبين : 254 ، مصباح الكفعمي : 522 ، أحسن القصص / الشريف علي فكري 4 : 272 ، الفصول المهمة : 222 ، بحار الانوار 46 : 217 / 19 ، التتمة : 96.

(2) الثاقب في المناقب : 389 ، الصراط المستقيم : 184 ، بحار الأنوار 46 : 329 / 12.

عودته في طعام أو شراب ، فلم يتهيّأ له شيء من ذلك (1).

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هلم بنا نبكي على باقر العلم  |  | سليل النبي المصطفى الأُمّي  |
| على لذّة العيش العفا بعد ما قضى  |  | شهيداً بلا ذنب أتاه ولا جرم  |
| له طول حزني ما حييت وحرقتي  |  | ونوحي ولو أنّ البكا قد برى عظمي  |
| سقاه على رغم الوقى السمّ خفية  |  | هشام ردي الأب والجدّ والأُم  |
| عليه من الرحمن لعن مؤبّد  |  | بما سرّ من بغي وما سنّ من ظلم (2)  |

## وصاياه وجهازه :

كان الإمام الباقر عليه‌السلام قد نعى نفسه المقدسة لولده الصادق عليه‌السلام ، وأوصاه عدّة وصايا تتعلّق بالإمامة وبجهازه ودفنه ، في أكثر من مناسبة ، ففي الليلة التي قبض فيها ، أدنى ولده الصادق عليه‌السلام فناجاه ، فلما فرغ من المناجاة ، قال : يا بني هذه الليلة التي وُعدت أن أُقبض فيها.

ولما حان حينه ، وتيقن وفاته ، وعزم إلى أن يصير إلى روح اللّه وريحانه ، ويعرج إلى معارج فوزه وجنانه ، أوصى إلى ابنه أبي عبد اللّه جعفر الصادق عليه‌السلام بجميع ما يحتاج إليه الناس ، واستودعه ما كان محفوظاً عنده من الكتب والسلاح وآثار الأنبياء وودائعهم ، وأوصاه بأشياء في غسله وكفنه ودخوله قبره.

وكان فيما أوصى إليه أن قال : «يا بني ، إذا أنا مت فلا يلي غسلي أحد غيرك ، فإنّ الإمام لا يغسله إلاّ إمام».

وفي خبر آخر أنّه أمر حين حضرته الوفاة بإدخال أربعة من قريش من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) دلائل الإمامة : 240.

(2) وفيات الأئمة : 210.

أهل المدينة فأشهدهم ، وكان منهم نافع مولى عبد اللّه بن عمر ، ثم قال : «اكتب : هذا ما وصى به يعقوب بنيه «يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (1) وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد ، وأمره أن يكفّنه في ثلاثة أثواب أحدها رداء له حبرة كان يصلّي فيه الجمع ، وثوب آخر ، وقميص ، وأن يعمّمه بعمامته (2) ، وأن يربّع قبره ، ويرفعه أربع أصابع ، ثم يخلى عنه ، ويرشّه بالماء ، وأن يحلّ عنه أطماره عند دفنه. وأوصاه أيضاً أن يحفر له ويشقّ له شقّ ، وقال : إن قيل لكم : إنّ رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لُحّد له ، فقد صدقوا» ، وعلّل الإمام الصادق عليه‌السلام بقوله : وشققنا له الأرض من أجل أنّه كان بادناً.

وحين سأله الإمام الصادق عليه‌السلام عن سبب الإشهاد على وصيّته قال : «يا بني ، أردت أن لا تنازع» ، وفي خبر آخر : «كرهت أن تغلب ، وأن يقال إنّه لم يوصَ إليه ، فأردت أن تكون لك الحجّة».

ومن جملة وصاياه أنه أوصى بثمان مئة درهم لمأتمه ، لأنّه السنّة ، لأن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال : اتّخذوا لآل جعفر طعاماً فقد شُغلوا.

وفي يوم وفاته قام الإمام الصادق عليه‌السلام بتهيئته ، فغسله كما أمره وحنّطه بحنوطه ، وأدرجه في أكفانه ، وصلى عليه مع شيعته ، وروي أنه كان على نعشه برد حبرة ، وخرج الناس لجنازته بالبكاء والعويل ، وكان يوماً عظيماً مشهوداً ، وأخرجه إلى بقيع الغرقد بالمدينة ، في القبر الذي فيه أبوه علي بن الحسين عليهما‌السلام ، وعمّ أبيه الحسن عليه‌السلام ، في القبّة التي فيها قبر العباس عليهما‌السلام ، وهكذا رحل باقر العلم إلى كرامة ربه الأعلى سبحانه صابراً محتسباً ، شاهداً وشهيداً (3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة البقرة : 2 / 132.

(2) وروي : ليس تعد العمامة من الكفن ، انما تعد مما يلف به الجسد.

(3) راجع : الكافي 1 : 307 / 8 و 378 / 2 و 469 ، و 3 : 140 / 3 و 217 / 4 ، من

## ما قيل فيه من الشعر :

فيما يلي نخبة من الأشعار التي قيلت في مدح أو رثاء الإمام الباقر عليه‌السلام ، مرتبة على وفق حرف الروي.

1 ـ قال زيد بن علي عليه‌السلام في رثائه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ثوى باقر العلم في ملحد  |  | إمام الورى طيب المولد  |
| فمن لي سوى جعفر بعده  |  | إمام الورى الأوحد الأمجد  |
| أبا جعفر الخير أنت الإمام  |  | وأنت المرجى لبلوى غد (1)  |

2 ـ وأنشد الكميت الأسدي بحضرته عليه‌السلام :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ذهب الذين يعاش في أكنافهم  |  | لم يبقَ إلاّ شامت أو حاسد  |
| وبقى على ظهر البسيطة واحد  |  | فهو المراد وأنت ذاك الواحد (2)  |

3 ـ وقال الشيخ حسين البحراني :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سأقضي حياتي بالكآبة والشجا  |  | على باقر العلم الذي ليس يوجد  |
| له شبه في العالمين وقد حوى  |  | فنون علوم اللّه فهو الموحّد  |
| فيا قاتل اللّه الغوي الذي سعى  |  | له بسموم فهو باغ ومخلد  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

لا يحضره الفقيه 1 : 182 / 546 ، الإرشاد 2 : 181 ، تهذيب الأحكام 1 : 300 / 876 ، بصائر الدرجات : 502 / 6 ، روضة الواعظين : 208 ، الطبقات الكبرى 5 : 248 ، دلائل الإمامة : 216 ، الهداية الكبرى : 238 ، مروج الذهب 3 : 244 ، كشف الغمّة 2 : 331 و 349 و 352 ، مناقب آل أبي طالب 3 : 339 و 398 ، الفصول المهمّة : 222 ، كفاية الطالب : 306 ، إعلام الورى 1 : 497 ، تاج المواليد : 41 ، التتمّة : 97 ، نور الأبصار : 159 ، بحار الأنوار 46 : 212.

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 329.

(2) روضات الجنات 6 : 56.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أيقتل نفس المصطفى ووصيه  |  | ونجل حسين وابنه ويشرد  |
| فذاك كتاب اللّه يبكي لفقدهم  |  | وهذا رسول اللّه حزناً يعدد   |
| وتلك محاريب المساجد قد خلت  |  | فلا عابد فيها ولا متهجّد (1)  |

4 ـ وقال الشيخ علي بن عيسى الإربلي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عرج على طيبة وانزل بها  |  | وقف مقام الضارع الصاغر  |
| وعج على أرض البقيع الذي  |  | ترابه يجلو قذى الناظر  |
| وبلغن عني سكانه  |  | تحية كالمثل السائر  |
| قوم هم الغاية في فضلهم  |  | فالأول السابق كالأخر  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هم الألى شادوا بناء العلى  |  | بالأسمر الذابل والباتر  |
| وأشرقت في المجد أحسابهم  |  | إشراق نور القمر الباهر  |
| وبخلوا الغيث ويوم الوغى  |  | راعوا جنان الأسد الخادر  |
| بدا بهم نور الهدى مشرقاً  |  | وميز البر من الفاجر  |
| فحبهم وقف على مؤمن  |  | وبغضهم حتم على كافر  |
| كم لي مديح فيهم شائع  |  | وهذه تختص بالباقر  |
| إمام حقّ فاق في فضله  |  | العالم من باد ومن حاضر  |
| أخلاقه الغرّ رياض فما  |  | الروض غداة الصيب الماطر  |
| ما ضرّ قوماً غصبوا حقّه  |  | والظلم من شنشنة الجائر  |
| لو حكموه فقضى بينهم  |  | أبلج مثل القمر الزاهر  |
| جرى على سنّة آبائه  |  | جري الجواد السابق الضامر  |
| وجاء من بعد بنوه على  |  | آثاره الوارد كالصادر  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وفيات الأئمة : 189.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قد كثرت في الفضل أوصافه  |  | وإنّما العزّة للكاثر  |
| محمد الخير استمع شاعراً  |  | لولاكم ما كان بالشاعر  |
| قد قصر المدح على مجدكم  |  | وليس في ذلك بالقاصر (1)  |

5 ـ وقال السيد محسن الأمين العاملي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واذرِ دموع العين فيها دماً  |  | على ضريح السيد الباقر  |
| على إمام ما جرى ذكره  |  | في خاطري إلاّ جرى ناظري  |
| على إمام لم يدع رزؤه  |  | صبراً لجلد في الورى صابر  |
| على إمام هدّ ركن الهدى  |  | مصابه بالقاصم الفاقر  |
| وبدر تم في الثرى غائب  |  | وبحر علم في الثرى غائر  |
| يا أقبراً منها البقيع اغتدى  |  | يسمو سنام الفلك الدائر  |
| سقاك يا أقبر رب السما  |  | من الحيا بالصيب الماطر  |
| لا ينقضي وجدي ولا حسرتي  |  | لساكني مربعك العاطر (2)  |

 6 ـ وقال أيضاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جلّت مصيبته على كل الورى  |  | فالكل بات لها بطرف ساهر  |
| يذري الدموع على مصيبة سيد  |  | من آل أحمد بذ كل مفاخر  |
| للّه أيّ مصيبة جلت فلا  |  | يلفى لها في الكون بعض نظائر  |
| ذهبت بركن الدين مصباح الهدى  |  | غوث المؤمّل والإمام الطاهر  |
| الصبر عزّ لها فكم من جازع  |  | تهفو جوانحه ولا من صابر (3)  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كشف الغمة 2 : 366.

(2) المجالس السنية 5 : 458.

(3) المجالس السنية 5 : 459.

7 ـ وقال منصور :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا ابن الأئمّة من بعد النبي ويا  |  | ابن الأوصياء أقرّ الناس أم دفعوا  |
| إنّ الخلافة كانت إرث والدكم  |  | من دون تيم وعفو اللّه متّسع (1)  |

8 ـ وأشار إليه الكميت عليهما‌السلام في قصيدته اللاّميّة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وقالت فعد نفسك صابراً  |  | كما صبروا أيّ القضاءين يعجل  |
| أموتاً على حقّ كمن مات منهم  |  | أبو جعفر دون الذي كنت تأمل  |
| أم الغاية القصوى التي إن بلغتها  |  | فأنت إذا ما أنت والصبر أجمل (2)  |

9 ـ وقال المغربي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا ابن الذي بلسانه وبيانه  |  | هدي الأنام ونزل التنزيل  |
| عن فضله نطق الكتاب وبشّرت  |  | بقدومه التوراة والإنجيل  |
| لولا انقطاع الوحي بعد محمد  |  | قلنا محمد من أبيه بديل  |
| هو مثله في الفضل إلاّ أنّه  |  | لم يأتِه برسالة جبريل (1)  |

10 ـ وقال آخر من قصيدة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأبرز حكم اللّه بعد خفائه  |  | وأوضح برهاناً له والدلاله  |
| حوى من صفات المصطفى بعد اسمه  |  | شمائله قد أورثته الجلاله  |
| وقد حسدته أمة السوء يا لها  |  | أمية إذ نالت هناك السفاله  |
| فأردوه مسموماً على غير جرمة  |  | فآذوا رسول اللّه أهل الضلاله  |
| برئت إلى اللّه المهيمن منهم  |  | فقد قابلوا علم النبي بالجهاله  |

 \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مناقب آل أبي طالب 3 : 341.

(2) الهاشميات : 71. والمراد بأبي جعفر الإمام الباقر عليه‌السلام.

(3) مناقب آل أبي طالب 3 : 315.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فكيف لنفسي لا تموت صبابة  |  | وقد لقيت آل النبي النكاله (1)  |

11 ـ وقال آخر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بني أمية لا قرّت عيونكم  |  | بما جنيتم على أبناء ياسين  |
| جحدتم لحقوق أوجبت لهم  |  | بنص قرآنه في آي تبيين  |
| أسقيتموهم سموماً بعد ما نهلت  |  | في دمهم عنوة بتر الملاعين  |
| أطفيتم لمصابيح الهدى فغدت  |  | دياجي الكفر عمت كل مسكين  |
| يا نسل مروان ماذا قد أباح لكم  |  | دم الرسالة يا نسل الملاعين  |
| أمليتم الأرض من جاري دمائهم  |  | وقد غدوا بين مأسور ومسجون  |
| فما هشامكم قد عف مذ ملكت  |  | يمينه عنهم من بعد تمكين  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سعى لقتلهم حتى أبادهم  |  | عن البسيط بتنكيل وتوهين  |
| يا باقر العلم قد جلت رزيتكم  |  | على القلوب فما دمعي بمخزون  |
| وقد تنسى لهاتيك الخطوب وقد  |  | دكت معالم دين اللّه في حين  |
| اللّه يجبر كسراً قد أصابكم  |  | بالقائم المرتجى بالنصر والعون (2)  |

انتهى بحمد اللّه في غرة رجب سنة 1428 هـ

وسلامٌ على عباده

الذين اصطفى

محمد وآله

الطاهرين

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وفيات الأئمة : 186.

(2) وفيات الأئمة : 203.

المحتويات

مقدمة المركز 4

المقدمة 6

الفصل الأوّل 10

عصر الإمام الباقر عليه السلام 57 ـ 114 هـ 10

تاريخ الباقر عليه‌السلام : 10

الحكام المعاصرون له عليه‌السلام : 11

خصائص عصره : 12

أولاً ـ انحراف المسار : 12

ثانياً ـ سياسة الارهاب والترويع : 14

ثالثاً ـ نصب العداء لآل البيت : : 16

البطش بشيعتهم : 19

رابعاً ـ ظهور الحركات المناهضة للسلطة : 22

1 ـ نهضة الطف (سنة 60 ـ 61 هـ ) : 22

2 ـ ثورة أهل المدينة (سنة / 63 هـ ) : 23

3 ـ حركة التوابين (سنة / 65 هـ ) : 24

4 ـ حركة ابن الزبير (سنة / 73 هـ ) : 24

5 ـ حركة المختار الثقفي (سنة / 65 ـ 67 هـ ) : 25

6 ـ حركة ابن الأشعث (سنة / 81 ـ 82 هـ ) : 26

7 ـ ثورة زيد بن علي عليه‌السلام (سنة / 121 هـ ) : 27

8 ـ ظهور الدعوة العباسية (سنة / 87 ـ 132 هـ ) : 28

9 ـ حركات الخوارج : 30

خامساً ـ نشوء العقائد المنحرفة : 31

1 ـ الدعوة إلى الجبر : 31

2 ـ ظهور المفوضة : 31

3 ـ الدعوة إلى الإرجاء : 32

مواقف الإمام عليه‌السلام من السلطة : 35

1 ـ الدور العلمي : 35

2 ـ بيان مظلومية أهل البيت : : 36

3 ـ مقاطعة السلطة : 38

4 ـ إسداء النصيحة : 40

5 ـ الدعاء : 42

6 ـ المواجهة : 44

7 ـ التقية : 48

8 ـ الدعوة إلى اللّه : 50

9 ـ تنبيه الأُمّة : 52

10 ـ قضاء حقوق المسلمين : 52

الفصل الثاني 54

الهوية الشخصية للإمام الباقر عليه السلام 54

نسبه : 54

أحوال أمّه وفضلها : 55

ولادته عليه‌السلام : 56

وفاته : 58

كنيته : 58

ألقابه : 59

معنى الباقر : 59

بشارة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بالباقر عليه‌السلام : 60

أصل اللقب : 62

هشام يخالف الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : 63

مخالفة لابن تيمية : 64

شمائله وحليته عليه‌السلام : 65

زوجاته : 66

نقش خاتمه : 68

شعراؤه : 69

1 ـ الكميت الأسدي : 70

2 ـ الورد بن زيد الأسدي : 74

3 ـ كثير عزّة : 75

4 ـ مالك بن أعين الجهني : 78

5 ـ أبو هريرة العجلي : 79

بوّابه : 79

أولاده: 79

1 ـ أبو عبد اللّه جعفر الصادق عليه‌السلام : 81

2 ـ عبد اللّه بن محمد الباقر عليه‌السلام : 82

3 ـ أُم سلمة بنت محمد الباقر عليه‌السلام : 83

4 ـ زينب بنت محمد الباقر عليه‌السلام : 84

اُخوته : 84

1 ـ زيد الشهيد عليه‌السلام : 85

2 ـ الحسين بن علي عليه‌السلام : 86

3 ـ عبد اللّه بن علي عليه‌السلام : 87

4 ـ عمر بن علي عليه‌السلام : 87

الفصل الثالث 88

إمامته عليه السلام 88

أولاً : نصّ آبائه عليه : : 91

ثانياً : نصّ أبيه عليه عليهما‌السلام : 95

ثالثا : من أقوال العامّة حول الإمام الباقر عليه‌السلام : 97

الفصل الرابع 100

مكارم أخلاقه عليه السلام 100

1 ـ العلم : 103

نبوغه العلمي : 103

أعلم أهل زمانه : 107

أجوبة واحتجاج : 110

2 ـ العبادة : 113

البكاء العبادي : 115

الدعاء : 117

3 ـ الزهد : 121

4 ـ الكرم : 125

عتق المماليك : 130

5 ـ التواضع : 133

6 ـ الصبر والحلم : 136

7 ـ الهيبة والوقار : 139

8 ـ حسن العشرة : 141

الفصل الخامس 146

على أعتاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام 146

تأسيس مدرسة أهل البيت : : 146

اجراءاته عليه‌السلام في هذا السبيل : 149

1 ـ إعداد الجماعة الصالحة : 149

2 ـ الحثّ على طلب العلم وتعليمه : 154

3 ـ الانفتاح على الأمة بكل طوائفها : 158

هل روى عنه عليه‌السلام من يحتج به؟ 163

4 ـ اعتماد الكتاب والسنة : 163

5 ـ مجابهة الرأي والقياس : 168

6 ـ اعداد المؤلفين والثقات : 173

الفصل السادس 189

دوره عليه السلام في تأصيل عقائد الإسلام 189

في أصول الاعتقاد : 189

1 ـ كلماته في التوحيد ومعرفة الخالق : 190

إخلاص التوحيد : 190

العقول لا تدرك كنه الذات : 192

صفات الذات : 194

أزلية الذات : 195

معنى الصمد : 196

العلم الإلهي : 198

2 ـ كلماته في الإمامة : 199

ضرورة ووجوب الإمامة : 199

وجه الحاجة إلى الإمام : 200

وجوب معرفة الإمام : 201

الآثار المترتبة على عدم المعرفة : 202

كيف يُعْرَف الإمام؟ 203

أئمة أهل البيت : : 204

الوصية : 205

التمسك بالأئمة وطاعتهم : : 206

إخلاص الموالاة لهم : : 208

مودتهم : : 209

آثار مودّتهم : : 210

الصلاة عليهم : 211

فضل أهل البيت : ومنزلتهم : 212

فضل الحسين عليه‌السلام وزيارته : 214

الغيبة : 215

1 ـ نفي ادعاء مهدويته عليه‌السلام : 216

أولاً : خفاء ولادته : 217

ثانياً : الفتنة والتمحيص : 218

2 ـ تشخيص هوية المهدي عليه‌السلام وبيان خصاله : 218

3 ـ كلماته عليه‌السلام في الموت والجنّة والنار : 220

معنى الموت : 220

عظمة الجنة والنار : 220

وصف النار وأهلها : 221

4 ـ مجابهة البدع والمفاهيم الخاطئة : 222

الابتداع شرك وضلال : 222

ادعاءات وأباطيل : 223

تصحيح مقولات خاطئة : 226

مواجهة حركة الغلو : 226

الفصل السابع 229

اسهامه في العلوم 229

1 ـ الآثار العلمية المنسوبة إليه عليه‌السلام : 230

2 ـ دوره في علوم القرآن : 232

بيان فضل القرآن : 232

قراءته عليه‌السلام : 233

شروط تلاوة القرآن : 233

التفسير : 235

حجم تراثه التفسيري : 241

تنقية التفسير : 242

3 ـ دوره في علوم الحديث : 244

رواية الحديث ودرايته : 244

عرض الحديث وتدوينه : 246

ممارسة التصحيح : 248

عناية الإمام عليه‌السلام بالحديث : 248

4 ـ دوره في علم الفقه والتشريع : 252

5 ـ دوره في علم الأصول : 257

6 ـ دوره في علوم اللغة والأدب : 259

أصحابه الأدباء : 259

الشعر المنسوب إليه عليه‌السلام : 260

ما تمثّل به من الشعر : 262

استنشاده الشعراء : 263

تصحيح الشعر : 264

علم العروض : 265

7 ـ دوره في السيرة والتاريخ : 266

الملاحم والفتن : 269

8 ـ دوره في علم الطب : 271

9 ـ نماذج من مواعظه ووصاياه ورسائله : 276

أولاً ـ المواعظ وقصار الحكم : 276

ثانياً ـ الوصايا : 282

1 ـ من وصيته لابنه الصادق عليهما‌السلام : 283

2 ـ ومن وصيته له أيضاً : 283

3 ـ من وصيته لجابر : 283

4 ـ ومن وصيته لمحمد بن مسلم : 284

5 ـ ومن وصيته لرجل : 284

ثالثاً ـ الرسائل والمكاتيب : 285

10 ـ حوارات ومناظرات : 286

1 ـ نافع بن الأزرق الخارجي : 286

2 ـ عبد اللّه بن نافع : 287

3 ـ عمرو بن عبيد : 288

4 ـ احتجاج علّمه لأبي الجارود : 288

5 ـ مناظرة حول ظلم الأمة لعلي عليه‌السلام : 289

6 ـ عالم النصارى : 290

الفصل الثامن 293

شهادة الإمام الباقر عليه‌السلام 293

تاريخ شهادته : 293

مقدار عمره الشريف : 295

شهادته عليه‌السلام : 296

وصاياه وجهازه : 298

ما قيل فيه من الشعر : 300

المحتويات 310